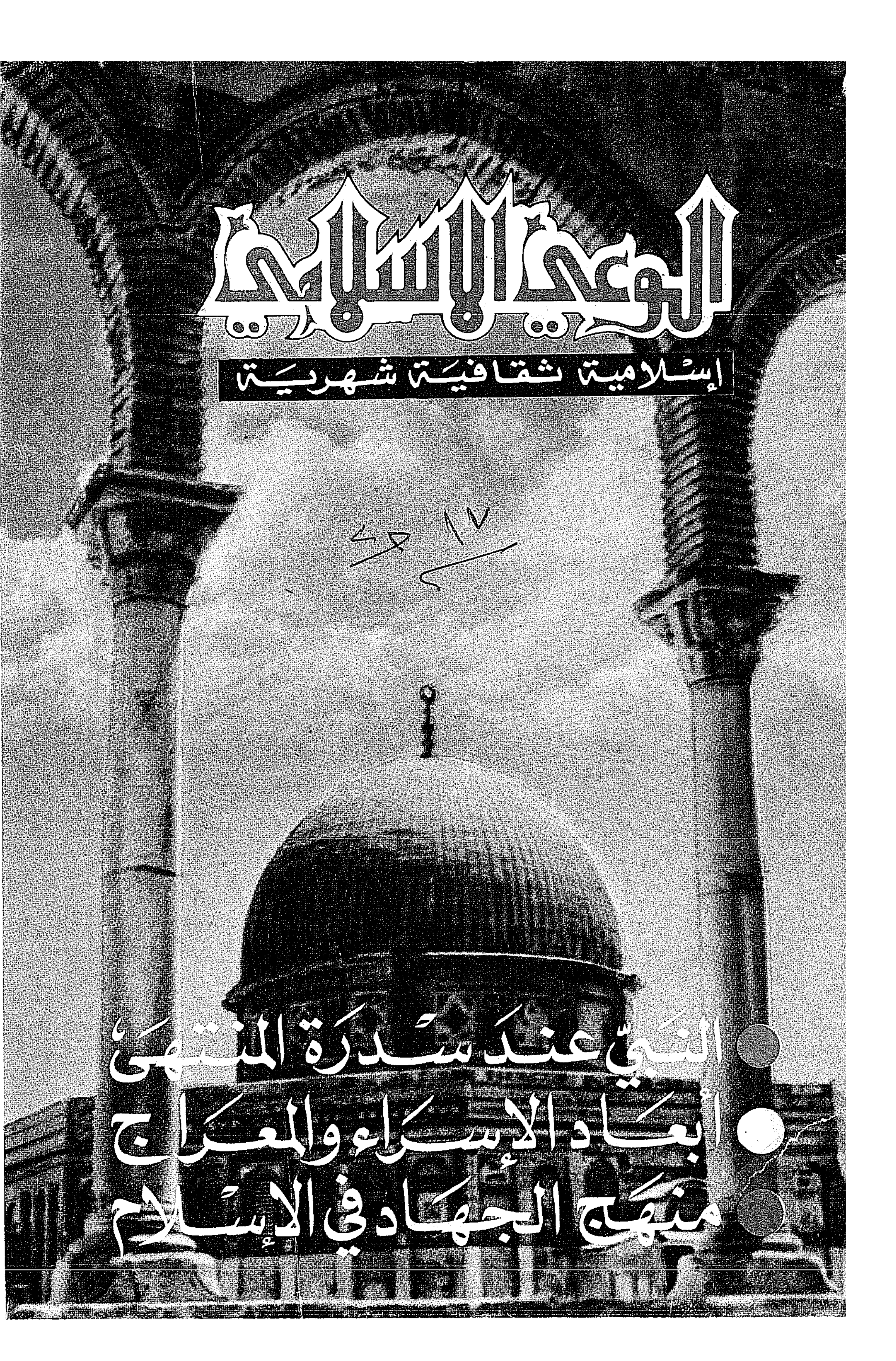
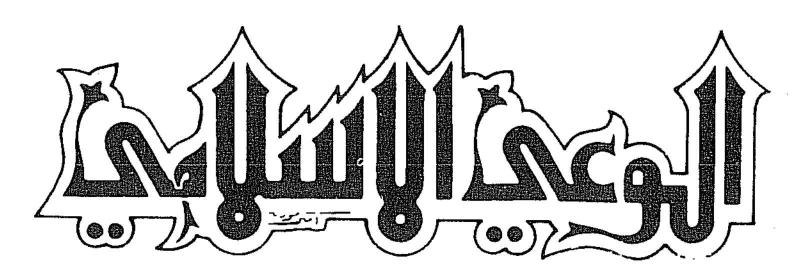


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
● النبيّ عند سدرة المنتهى
● أبعاد الإسراء والمعراج
● منهج الجهاد في الإسلام



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٩ ● رجب ١٤٠١ هـ ● مايو ١٩٨١ م

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطـر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغـرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هـدفهـــا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـــا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

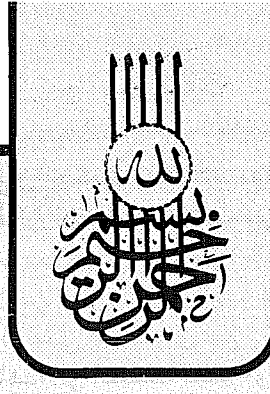
مجلة:



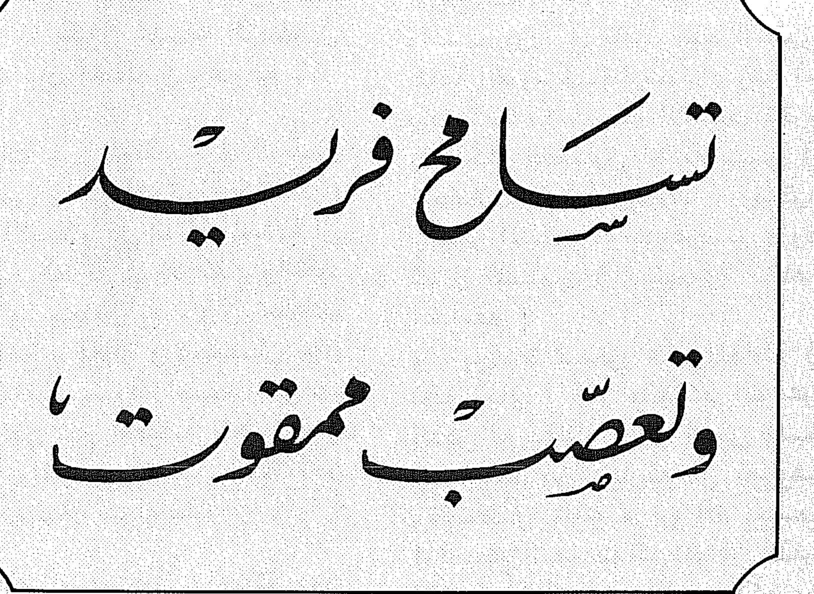
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●



كلمة الوعي



انزل الله الاسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة تسمو بالنفس الى معرفة الله وتوحيده ،

وشريعة تبين الأحكام والآداب والقواعد والأخلاق والمعاملات التي يسير عليها الناس في دنياهم .

وقد أمر الله تعالى أن تكون الدعوة لهذا الدين بالبيان والحجة في رفق ولين فقال تعالى : (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

ومنح الانسان الحرية والاختيار فيما يعتقد وفيما يفعل ويترك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ..(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .
وبذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته ان يكون بين الناس مؤمنون وكافرون : (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) .

ومن ثم كانت شريعة الله الى خلقه شاملة لما يكون عليه التعامل السديد بين المسلمين وغيرهم .

فالأقليات غير المسلمة في الوطن الاسلامي (من اي نحلة كانت) يوجب الاسلام على الدولة المسلمة ان تدع لهم الحرية في الاعتقاد والتعبد حسب ما يدينون به ، وان تعاملهم بالتسامح والعدل والاحسان وان تصون نفوسهم وأعراضهم وأموالهم وأن تكفل لهم المعيشة الملائمة في المطعم والملبس والمسكن كما تكفل ذلك للمسلمين سواء بسواء .

والاسلام يقرهم على ما يعتقدون حله ـ وان كان قد حرم في الاسلام ـ كما في الزواج والطلاق وأكل لحم الخنزير ، فاذا رضوا بالاحتكام الى الاسلام في أحوالهم الشخصية ، فالمسلمون بالاختيار بين ان يحكموا بينهم بشريعة الاسلام ، أو يمتنعوا عن الحكم لقوله تعالى : **(فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) .**
والاسلام يحرم على المسلمين ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة » وقال « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما) » .
والمسلم يرى في تنفيذ هذه الحقوق طاعة الله ومرضاة لرسوله ، ومن ثم يؤديها ما دامت تلك الاقليات تلتزم بأحكام القانون الاسلامي في المعاملات المدنية ونحوها ، وتحترم شعائر المسلمين ومشاعرهم ، ولا تقاتل المسلمين في دينهم ولا تظاهر اعداءهم .
وقد بين الله دستور هذه المعاملة في قوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين.انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .**

هذا تسامح الاسلام وتلك معاملته للأقليات غير المسلمة فاين ما تفعله الدول غير الاسلامية مع الأقليات المسلمة من هذا التسامح الفريد الذي يصنعه الاسلام مع غير

المسلمين .

ان كثيرا من الدول غير الاسلامية تجتاح الأقليات المسلمة وتبيدها وتغتصب حقوقها تحت سمع العالم وبصره .. فما يحدث للمسلمين في جنوب الفلبين .. وما يحدث للمسلمين في ارتيريا وفي الحبشة نموذج كريه بالغ السوء .. يعطي الدليل كل الدليل على التعصب المقوت ، وعلى ضياع حقوق الانسان تحت سمع وبصر من يتشدقون بأنهم رعاة هذه الحقوق .

اما غير المسلمين خارج الأوطان الاسلامية فالاسلام يأمر المسلمين بالتسامح معهم ما داموا لا يعتدون على المسلمين ولا ينتقصون حقوقهم ولا يطعنون في دينهم قال تعالى : **(فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين)** .. فاذا حدث منهم شيء من هذا فالاسلام يأمر بجهادهم ، فان جنحوا للسلم وعدلوا عن الظلم في صدق ووفاء فالاسلام يرحب بالوسائل السلمية متى أدت الى الوصول الى الحق كاملا **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)** اما اذا أرادوا المخادعة والمماطلة فعلى المسلمين ان ينبذوا اليهم على سواء وأن يعلنوا الخصومة وأن يأخذوا فورا بكل وسائل الجهاد **(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .**

وعلى المسلمين – حينئذ ان يهيئوا نفوس الشعوب الاسلامية وأن يأخذوا بأسباب النصر اقتصاديا بالاكتفاء الذاتي ، واجتماعيا باحياء روح العزة والكرامة ، وعمليا بتدريب أبناء الأمة تدريبا عسكريا دقيقا .

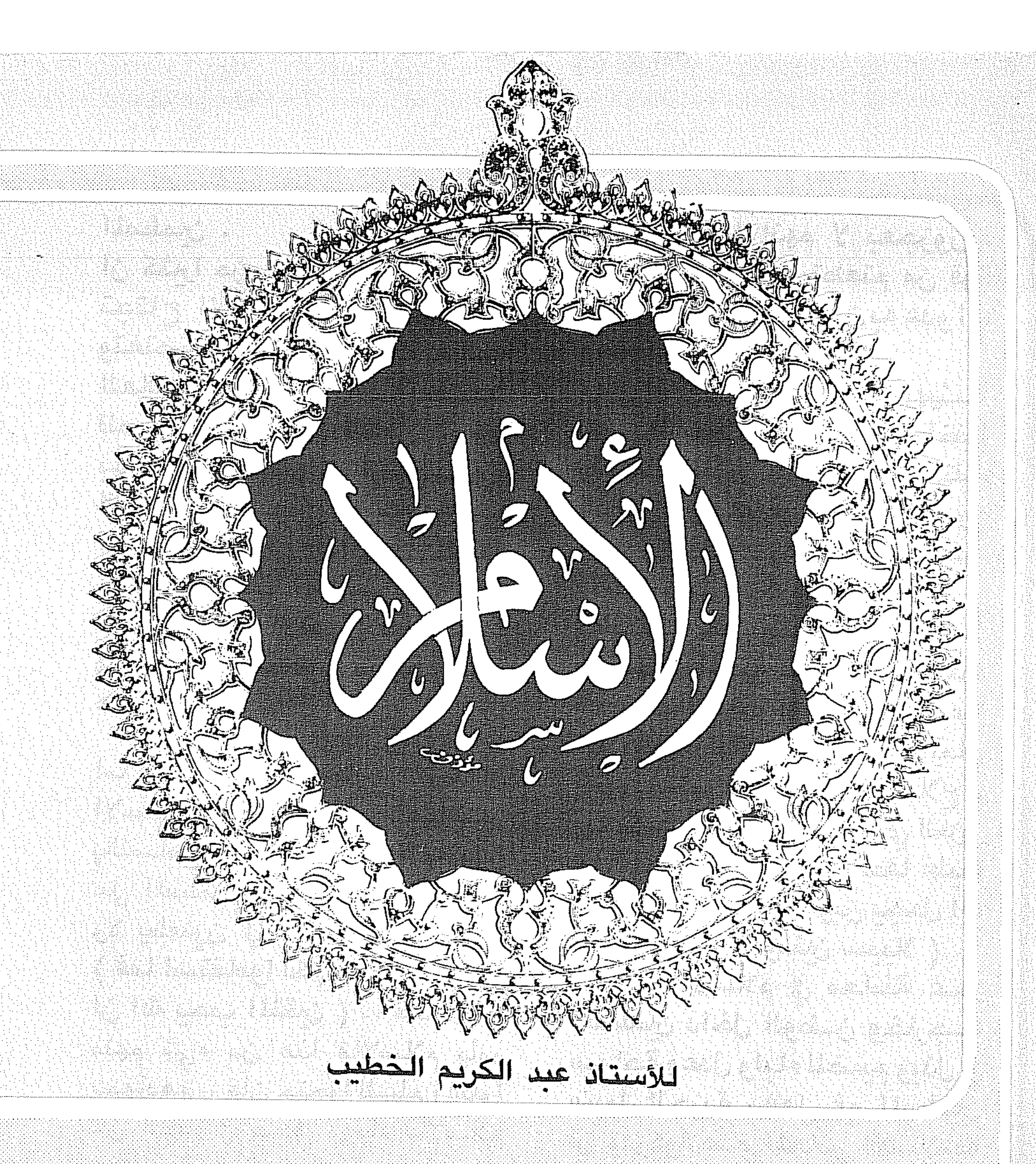
وعليهم – حين يتم لهم الأخذ بالأسباب المادية – ألا يعبأوا بقوة العدو مهما بلغت ، وأن يعتمدوا على الله وحده ، وأن يعلموا ان الايمان الذي يستتبع العمل هو أقوى سلاح ، وبه يكون النصر من الله القوي العزيز الغالب على امره **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** .. **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .**

هذا هو الاسلام في معاملة غير المسلمين داخل الوطن وخارجه سماحة وعدل واباء للضيم وبذل في سبيل الحرية ، فعلى غير المسلمين ان يدركوا هذه المعاني الاسلامية حتى لا يشتطوا في العدوان والظلم .. وعلى المسلمين أن يستمسكوا باسلامهم فهو أساس مجدهم ، وليذكروا دائما قول الله تعالى : (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) .

والله يوفق من اتبع هداه

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للأستاذ عبد الكريم الخطيب

ـ نحن المسلمين ـ اليوم على مشارف القرن الخامس عشر من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، من موطنه ، مكة ، البلد الحرام ، الى المدينة المنورة ، حيث اتخذها أفقا جديدا لمطلع الدعوة الاسلامية ، بعد أن تنكر لها مشركو قومه ، وأصموا أبصارهم عنها ، وأغلقوا عيونهم دون النظر في أنوارها ..

وقد كان المسلمون من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وعنهم ـ كانوا موفقين أعظم التوفيق ، حين هداهم الله تعالى الى أن يجعلوا مبدأ التاريخ الاسلامي ، ويوم مولده ، هو مطلع الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، اذ لم تكن سنوات الاسلام الأولى ، من مبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الى يوم هجرته ،

ماضيه وحاضره ومستقبله

الا ارهاصا لمولد الاسـلام ، والا الشفق الذي يؤذن بميلاد فجر جديد ، واشراق صبح يفيض بأنـواره على العالمين ، ويخرج الناس من ظلمات الشرك والبغي والضـلال ، الى نور الهدى ، والعدل ، والاحسان .

هنالك ملأت الأسماع كلمة : « لا اله الا الله ، محمد رسول اللـه » فنفـذت الى القلـوب ، وخالطـت المشاعر ، وسرت في النفوس مسري الأرواح في الأجسام ، فبعثت الحياة في الأموات الأحياء ، كما يقول الله تعالى : (**أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**) الأنعام/١٢٢ .

وبهذه الهجرة المباركة ، ارتفعت راية الاسلام ، ودالت دولـة الشرك

وأهله ، وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا !!

وبهذا الفتح والنصر ، رد للانسان اعتباره ، وأعيد اليه منصب الخلافة على هذه الأرض ، من بعد أن تحول بشركه وضلاله الى عالم الحيوان ، ورد الى أسفل سافلين .. وكان من هذا أن قامت دولة الاسلام ، وأخرج الله تعالى منها خير أمة أخرجت للناس ، أقامت تلك الحضارات المزدهرة بالعلوم والفنون ، على أساس من الحق والعدل ، مما يعيش الناس في آثاره الى اليوم والى ما بعد اليوم ، وذلك ما شهد به أعداء الاسلام ، قبل أوليائه ، حيث لا تزال آثار الاسلام باقية ، هي اليوم جامعة العلوم والمعارف ، يتلقى عنها علماء الغرب ركائز العلوم وذخائر المعارف ، وروائع الفنون ، وان كنا نحن المسلمين في غفلة عنها ، وفي شبه عزلة بيننا وبينها ، فنتجه الى الغرب ، ونتتلمذ على علمائه ، وأصل العلم عندنا ، قد حوته الخزائن ، وعلاه التراب ، ، حتى لقد صدق علينا قول شاعرنا :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

واذا كان للزمن دورة يومية ، يتقلب فيها بين نهار وليل ، وليل ونهار ، واذا كان للحياة سننها في الناس ، أفرادا وجماعات وأمما ، بين عز وذل ، وقوة وضعف ، وصعود وهبوط ، كما يقول الحق سبحانه : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** آل عمران/ ١٤٠ ..

نقول : اذا كان الأمر كذلك ، جاريا في دورة الزمن ، وسنة الحياة ، فليس يعني هذا أن يستسلم الانسان ــ وبخاصة المؤمن ــ للواقع الذي هو فيه ، اذا كان هذا الواقع فيه جور على انسانيته ، أو حط من شأنه ، أو امتهان لكرامته ، مما لا يرضاه له دينه ، ولا تقبله شريعة هذا الدين .

ان المؤمن عزيز بعزة الله ، قوي بقوة الله ، فلا يقبل الهوان أبدا ، ولا يبيت على ضيم بحال أبدا ، والله تعال يقول : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون/٨ . ويقول سبحانه : **(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)** فاطر/ ١٠ .

فمن عزة الله يبتغي المؤمنون عزتهم ، وذلك بالايمان الخالص لله ، والعزيمة الصادقة للعمل بمرضاة الله ، وطلب معونته ، وبذلك يخلع المؤمن برقعات الضعف والاستخذاء ، ويلبس أثواب العزة والقوة ، والله تعالى يقول : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)** آل عمران/ ١٣٩ .

وفي هذا المعني يقول الشاعر :

ولا يبيت على ضيم يراد به
الا الأذلان : عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

ونحن المسلمين اليوم ـ ونقولها في صدق واخلاص ـ في حال لا يرضى عنها الاسلام منا ، ولا يرتضيها أهل الحق والتقوى من المسلمين .

فالمسلمون اليوم ـ كما نرى ـ عالة على أمم الغرب ، يلتقطون ما يتساقط من فتات موائدهم المزدحمة بالرذائل ، التي تعافها النفوس السليمة ، وتأباها الفطر النقية الخالصة من مفاسد الموروثات المنحرفة الضالة .

وما هذا التهافت منا نحن المسلمين ـ على موائد الغرب ، وانقيادنا الأعمى لعادات أهله وتقاليدهم ، التي تأخذ طريقا غير طريق الاسلام ـ الا أننا قد صغر في أنفسنا قدرنا وهانت علينا كرامتنا ، وخف عندنا ميزان ديننا ، وكنا كما قال الله تعالى : (**نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون**) الحشر/١٩ ، فغزاهم المستعمرون الملحدون بعاداتهم وتقاليدهم ، وأشاعوا فيهم الفاحشة ، وصبغوهم بصبغتهم المادية التي تستخف بكل خلق ودين ، وذلك بعد أن احتلوا أوطانهم أزمانا ، امتصوا فيها ثرواتهم ، وسخروا الناس لمآربهم ، وأقاموا منهم الحجة على دينهم ، وأنه لو كان الدين الحق لظهرت ثمراته فيهم ، ولما صار بهم الحال الى ما هم فيه من فرقة ، وتخلف ، وضعف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ..

ان الذين يشنعون على الاسلام ، ويلقون في حرمه الطهور بالتهم الظالمة ، والسفاهات المضللة ، و يتقولون عليه بأنه السبب فيما عليه حال المسلمين اليوم من ضعف وتخلف عن ركب الحياة ، المنطلق في كل ميدان ، والمحلق في كل أفق ـ انهم ليقيمون على هذا شاهدا من حال المسلمين ، ومن مكانهم القلق المضطرب بين شعوب العالم المتمدن المتحضر .

واذا كنا نلتمس لهؤلاء الطاعنين على الاسلام ، من أعدائه ، وأعداء أهله ـ اذا كنا نلتمس لهؤلاء العذر لما يقولون في الاسلام ، وأهله ، فانه لا عذر لنا نحن أبناء الاسلام ، اذا كنا نحن الذين أقمنا من حياتنا الهابطة ، الحجة على أن يقول أعداء الاسلام ، ما يقولون عن الاسلام من مفتريات وأباطيل !!

ان الدين بأهله !! وعلى أهل الدين ـ أي دين ـ تظهر آثاره ومعطياته فيهم ، محمودة كانت أو مذمومة ، فيقبل الناس على الدين ، أو يعرضون عنه ، بقدر ما يرون من آثاره ومعطياته عند من يدينون به !

ولقد صغرت نفوسنا عن حمل تبعات ديننا ، والوفاء لأحكامه وتعاليمه ، في حين أننا نمثل الاسلام في نظرنا ، ونظر الناظرين الينا من أعداء وأصدقاء ، على السواء ..

ان النفوس المريضة تنقلب فيها حقائق الأشياء ، وتتغاير فيها صور المعاني الكريمة ، كما تنقلب صور المرئيات ، وتتغاير حقائقها في الأعين

المريضة ، وكما تنحرف طعوم المذاقات في الفم السقيم .

والواقع أننا أصبنا في القرون الأخيرة ، بكثير من العلل والآفات النفسية والعقلية ، التي أفسدت حياتنا ، وأوشكت أن تغتال وجودنا ، حتى نزلنا منزل الهوان في دنيا الناس . فتقدم اناس وتأخرنا ، ونهضت شعوب وقعدنا .. وكنا كما يقول الشاعر :

وتقدمتنا اناس كان خطوهم
وراء خطونا اذ نمشي على مهل

لقد كان من خداع أعداء الاسلام لنا ، وكيدهم لديننا ، أن صوروا لنا الاسلام في صورة الآفة التي رمتنا بما نحن فيه من ضعف وجهل ، وتخلف ، واننا لو لم نكن ندين بهذا الدين ، وأخذنا طريقنا مع ما تدين به دول الغرب ، وما تتمذهب به من مذاهب المادية والالحاد ، لكنا في مصاف هذه الدول ، ولكانت لنا المراكب الفضائية التي ترتاد الأقمار والنجوم ، وتعمل على أن تتخذ لها مواطن فيها .

وهكذا عمل هذا الكيد فينا عمله الذي قدره أعداؤنا ، وأعداء دين الله ، حتى لقد وقع كثير من ضعاف العقول والنفوس من أبنائنا فريسة لهذا الكيد ، إذ لم يعرفوا حقيقة دينهم ، ولم يستقيموا عليها ، ولم يغرسوها في ميادين الحياة ، ولم يجنوا ثمرا من ثمارها الطيبة المباركة !!

ومن هنا كان هؤلاء المسلمون ـ ولا اسلام ـ طليعة للانهزامية في مجتمعنا ، ووجها ممسوخا للانسان السوي ، المستظل بظل الله ، المصطبغ بصبغة الدين الحنيف ، فكان منا هذا التهافت على النار ، التي يجذبنا الغرب اليها ، كما يتهافت البعوض على الوقود !!

ونحن اليوم في مطلع ميلاد جديد ، وفي لقاء مجدد مع ديننا ، الذي أشرف به علينا القرن الخامس عشر ، من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، والذي يحمل الينا من نفحات هذه الهجرة ، ما من شأنه أن يردنا من غربتنا التي باعدت بيننا وبين ديننا ، وأخلت أيدينا من آيات العزة والمجادة التي أورثنا اياها آباؤنا الأولون الأكرمون .

يقول الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه : « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم والبيهقي . ومعنى هذا أن الله تعالى قد أقام على دينه الخاتم للأديان ، من يدفع عنه عوادي الجهالات والضلالات ، التي تدخل عليه من أهله ومن غير أهله ، وذلك بدعاة الحق من العلماء والفقهاء ، الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وبهذا تظل شعاعات الاسلام وأنواره ، نورا للبصائر ، وهدي للحائرين ، كلما أطبق ليل ، وهجم ظلام .

ومعنى هذا أيضا أن علماء المسلمين وفقهاءهم الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان ـ هم أشبه

بالشفق الذي يسبق انبلاج الصبح ، ومطلع الشمس ، الذي يطلع على المسلمين على رأس كل مائة عام ، في شخص مصلح ذي علم غزير ، وايمان وثيق ، ونية خالصة . وعزيمة صادقة ، فيهز أقطار الاسلام ، ويجمع فرقة المسلمين ، ويعيد اليهم الصحة والعافية من دينهم .

وهكذا يعود المسلمون الى دينهم ، ويعود اليهم من هذا الدين ما أفلت من أيديهم من العزة والمنعة ، والسلطان ..

ثم يدور الزمن دورته ، ويفعل في الناس فعله ، وبعد مائة عام يطلع من يجدد لهذه الأمة دينها ، ويوثق صلتها بالله ، وبدين الله .. وهكذا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

لقد تكشف لنا من هذا البريق الخادع من مدنية الغرب وحضارته ، كما تكشف لأصحاب هذه المدنية وتلك الحضارة ، ما تنطوي عليه ، من سموم قاتلة ، وأدواء مهلكة فتاكة ، يعاني منها أهل الغرب اليوم ما يعانون ، من جفاف العواطف ، وغياب المشاعر ، ومن انحلال الأخلاق ، وتفكك الأسر والمجتمعات ، ومن عرى نفسي وجسدي ، يكشف عن سوءات الانسان وبهيميته .. فلا تعاطف ولا تراحم ، حتى بين الآباء والأبناء ، اذ أتى سعار المادية على كل عاطفة انسانية في تلك المجتمعات التي تتزيى بزي الحضارة والمدنية .. حتى لكأن الشاعر العربي القديم ، نظر الى تلك المجتمعات ، فقال فيها :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

وهذا عالم من علماء الغرب ، وفيلسوف من أكبر فلاسفته ، هو الفيلسوف « نيتشه » الذي يدين معظم الغرب اليوم بمذهبه المادي .

انه ينظر الى المجتمعات من حوله ، فلا يملك الا أن يقرر هذا القرار الخطير المدمر .. اذ يقول : « ان الرحمة ، والتعاون ، والحب ، وكافة الفضائل المسيحية ، هي مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء والدهماء والقطعان من الناس .. وهؤلاء جميعا فقراء ، ومرضى ، وضعفاء ، يعوقون التطور الانساني ، في حين أنه يجب أن نخلص نبوغنا البشري ، بأن نبقى على الأقوياء في الذهن ، والجسم والروح ، ونعمل على افناء الآخرين » !! (من كتاب الديانات والحضارات — لطه المدور) .

ونقول : أي مجتمع هذا الذي يتحدث عنه الفيلسوف الألماني (نيتشه) ؟ ان عالم الحيوان أحسن منه حالا ، وأسلم طبيعة !! ثم أي انسان ذلك الذي يتحدث عنه هذا الفيلسوف ، وقد سلب النماذج المتخيرة منه ، المشاعر ، والعواطف ، والحب والرحمة والتعاون ؟ ثم أي عالم الذي يغري فيه الأقوياء والأصحاء بافناء الضعفاء ، والعجزة والمرضى ؟

ومع هذا ، فقد وجد نيتشه لفلسفته هذه من يدين بها ، ويطبقها

في مجتمعه ، كما فعل « هتلر » في الشعب الألماني ، الذي صوره على صورة غير صورة الناس ، وجعله من طينة غير طينة أبناء آدم ، حتى لقد أغراه ذلك الجنون أن يفني شعوبا بأكملها ، ولو استطاع لأفنى العالم كله حتى لا يبقى الا الشعب الألماني ، الذي هو وحده الذي يستحق الحياة !!

وماذا في الاسلام ، وفي شريعة الاسلام ، وحقائق الاسلام ، من معطيات القوى التي يبني عليها الانسان السوي ، ويقام عليها صرحه ، ليكون ذلك الانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ، وخلقه في أحسن تقويم ، وليظل محتفظا بهذا الخلق الكريم ، ولا يرد الى أسفل سافلين ؟

ماذا في الاسلام من قوى الحق والخير ، التي اذا تعامل معها الانسان ، وأخذ حظه منها ، كان في أحسن تقويم ، وحلق بها الى أعلى عليين ، في سماوات العزة والقوة والكرامة ؟

وماذا عليه المسلمون اليوم ، من هزال ، وضعف ، وتخلف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ؟ انه لا بد من البحث عن هذا التناقض الواضح ، وعن أسبابه ، بين معطيات الاسلام ، وبين الحال التي عليها الذين ينتسبون الى الاسلام ، في يومنا هذا ، حتى ينكشف الغطاء عن هذا الاختلاف بين المقدمات والنتائج ، وبين الأسباب والمسببات !!

والدين الاسلامي ، لا يمكن أن يكون موضع لبس أو اتهام ، من حيث مادة تعاليمه وأحكامه ، ومن حيث المنهج الذي رسمه ، والدستور الذي أقامه للتربية بهذه التعاليم ، وتلك الأحكام .

فهذه مسألة قد فرغ البحث فيها ، وقال التاريخ كلمته فيها ، وحكمه عليها .. فلقد سجل التاريخ نتائج واقعة خالدة لتلك الآثار ، التي تركها الاسلام ، في المواطن التي حل بها ، وفي الأمم والشعوب التي قدر لها أن تتصل بالاسلام ، وتأخذ أنفسها بهديه ، وتستقيم على تعاليمه ..

ولا نستشهد لهذا بتلك الآثار العظيمة الباقية على الزمن ، بل نأخذ هذه الشهادة من فم الذين لا يدينون بالاسلام ، من علماء الغرب المعاصرين ، الذين غلبهم البحث العلمي ، فقالوا كلمة الحق في الاسلام ، بعد أن رأوا أقوامهم فريسة للمذاهب والمعتقدات التي اغتالت معالم الانسانية فيهم ..

فهذا المستر (داود أوركوهرت) يقول في كتابه (روح الشرق) وفي المجلد الأول منه ، المطبوع سنة ١٨٢٩م .. ما نصه :

« ان الاسلام لم يكن دينا مبتدعا ، ولا وحيا مخترعا .. ليس به قومية ، ولا حكومة كنائسية ، بل سن شريعة للناس كافة ، ونظاما مدنيا محكما ، يجب على كل فرد الانقياد له » (من كتاب : الايمان والعلم الحديث ، لمحمد الحسين الأديب ..ص : ٦٨) ..

ويقول المسيو « جون هرمـن » العالم الفرنسي المعروف :

« قد يكون الأوروبيون مستعمرين ماهرين ، ولكن الأمة التي استطاعت بعد الرومان أن تمـدن الشعـوب الأخرى ، هي الأمـة العربيـة .. فالعـرب وحدهـم ، هم الذيـن استطاعوا في الحقيقة أن يجعلـوا شعوبا أخرى تعتنق حضارتهـم ، وتقبل دينهم ، وأنظمتهم وفنونهم .. فيا ليت فرنسا تعرف هذه الحقائق ، وتعلم أن العربي لا يبدل دينه ، ولا يبدل أنظمته ومعتقداتـه ، فتكفـي نفسهـا مؤونـة ابتـكار المبـادىء الغربية » !!

ويقول « جون ديورانت » المؤرخ الانجليـزي ، صاحـب موسوعـة « قصة الحضارة » :

« لولم تقم في جنوب أوروبا ـ أي أسبانيـا ـ الحضـارة الاندلسيـة العربية لظلت أوروبا تسبح الى اليوم مع شعوبها المختلفي النحل والنزعات في حلك من ظلمة الجهل والبداوة ولما ظهر للمدنية الأوروبية الحالية من أثر في الوجود » !!

ويقول « برنارد شو » :

« ان انجلتـرا بل أوروبـا ، لو احتاجت الى دين تتبعه ، لينقذها مما هي سائرة اليه ، من دمار محقق ، ودمار لا مناص لها منـه ـ فليس أمامها الا الاسلام » ويقول « برنارد شو » أيضا :

« إني أعتقد أن رجلا كمحمد ، لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجـاح في حكمه ، ولقاده الى الخير ، ولحـل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » (من كتاب : الايمان والعلم الحديث ـ تأليف محمد الحسين الأديب ـ ص : ١٣٣) ..

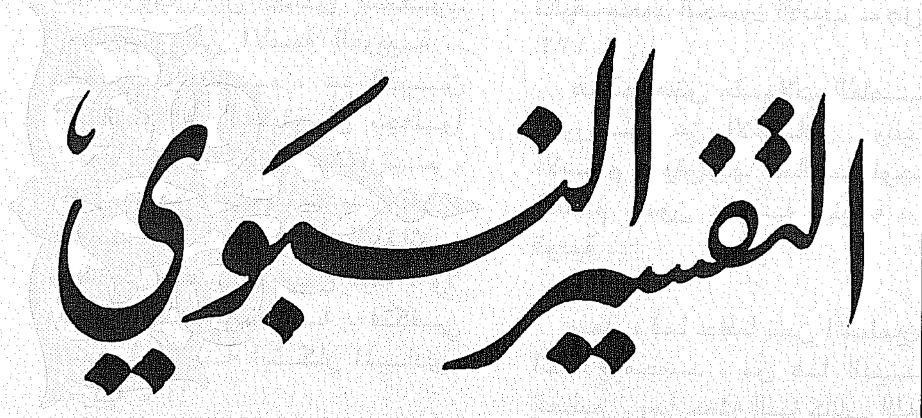
هـذه بعض مقـولات العلمـاء الأوربيـين عن الاسـلام ، ونبـى الاسلام ، يقولونها خالصة لوجـه العلـم ، دون عاطفـة دينيـة ، أو قومية ..

وبعد ، فما حظنا نحن المسلمين ، أتبـاع محمـد ، من هذا الديـن العظيم ، وما حمله الينا كتاب الله ، وسنة رسول الله ؟ ان لسان الحال ، أبلغ في هذا المجال من كل لسان .

فيا أمة الاسلام ، عودي الى دين الله ، وتمسكي به ، وسـيري على هديه .

ويا علماء المسلمين وفقهاءهم ، هذه رأس المائة الخامسة عشرة ، من تاريخ الهجرة قد آذن صبحها أن يطلع بالمجدد الذي يجدد لهذه الأمة دينها ، مصداقا لقول رسول اللـه صلوات وسلامه عليه .. وهو لا بد أن يكون واحدا منكم ، ممن امتلأ قلبه بالايمان ، ووهب نفسه للجهاد ، بل والاستشهاد في سبيل اللـه ونصرة دينه :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستـردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة/١٠٥ صدق الله العظيم .



تمهيد :

أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن الكريم على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيه أحكام مجملة تفتقر الى تفصيل وبيان ، ومعاني مغلقة تحتاج الى تبيين وتوضيح .

ورغم أن القرآن بلغة العرب ، ورغم فصاحتهم الا أنهم كانوا يقفون عاجزين عن فهم معنى من المعاني ، أو حكم من الأحكام . ففي هذه الحال ليس لهم الا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرح لهم ما غمض عليهم فهمه ، أو يفصل لهم ما أجمله القرآن الكريم .

وقد نص القرآن الكريم على مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيان وشرح القرآن للناس ، فقال تعالى :

(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) النساء/١٠٥ .

وقال تعالى : **(وأنزلنا اليك**



للأستاذ جاسر أبو صفية

الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل/ ٤٤ .

وقال تعالى : **(وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)** النحل/ ٦٤ .

الى غير ذلك من الآيات التي نصت صراحة أو أشارت ضمنا الى مهمة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تجاه القرآن الكريم .

ولهذا حذر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من اهمال الحديث ، والاعتماد فقط على ما جاء في القرآن الكريم ، وذلك في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« ألا واني قد أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . الا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » القرطبي ١/ ٣٧ .

قال الامام القرطبي حول هذا الحديث : قال الخطابي : قوله : « أوتيت الكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين من التأويل ، أحدهما : أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو . والثاني : أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح ما في الكتاب » .

وقال الامام ابن كثير في تفسيره (١/٣) : « والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن » .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : « كان الوحي ينزل على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » .

وقال مكحول : « القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن » .

وقال الامام أحمد : « ان السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وفي الحديث النبوي السابق دليل على أن السنة تفسر الكتاب وتبينه ، وفيه أيضا بعض الأحكام التي سنها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليس لها ذكر في القرآن الكريم ، وفي هذا يقول الله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧ .

ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ذلك :

« ان هذا القرآن صعب مستصعب ، عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه . وحديثي صعب مستصعب ، وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي نجا مع القرآن . ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سنتي ، فمن رضى بقولي فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولي ، فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (القرطبي ١٨/١٧) .

أنواع التفسير النبوي

أ) بيان لمجمل ما في القرآن :

ويندرج تحته بيان الصلوات الخمس وأوقاتها ، وعددها ، وأحكامها وبيان الزكاة وأنواعها ومقاديرها . وبيان مناسك الحج ، والصوم وغير ذلك مما يقع في باب العبادات والمعاملات .

وقوله تعالى : **(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** النحل/٤٤ .

« ينبه المؤمنين الى مكانة السنة في التشريع ، فان أقوال الرسول وأعماله تبين المراد من القرآن ، اذ تفصل ما أجمله ، وتقيد ما أطلقه ، وتخصص فيه ألفاظ العموم ، وتعين ما لم يعينه من المقادير والحدود والجزئيات . فللسنة أن تنفرد في التشريع حين يسكت القرآن عن التصريح ، ولها أن تقوم بوظيفة التبيان حين يترك لها

التفصيل والتوضيح .

وذلك ما استنتجه عمران بن حصين لما رمى رجلا بالغفلة الشديدة والفهم السقيم ، وقال له مؤنبا مقرعا : انك امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب الله ركعات الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم سرد له بعض أحكام الصلاة ومقادير الزكاة ، وما أشبه ذلك من أركان الاسلام وفرائضه ، ثم قال للرجل : أتجد هذا كله مفسرا في كتاب الله ؟ ان كتاب الله أبهم هذا وأجمله ، وانما فسرته السنة توضيحا وتبيانا .

ب) **بيان زيادة على حكم القرآن :**

وهو ما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، ومن أمثلته ما ورد تحريمه في الحديث السابق الذي حذر فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ترك الحديث كتحريم أكل الحمار الأهلي وكل ذي ناب من السباع . ومنه أيضا تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، والقضاء باليمين مع الشاهد . وغيره كثير في كتب الفقه .

ونحن في هذه المقالة وما يليها لن نعني بهذين النوعين من التفسير النبوي ؛ لأن محلهما كتب الفقه والأحكام ، وانما يعنينا هنا النوع الثالث من التفسير النبوي وهو التفسير المعنوي اللغوي .

ج) **التفسير اللغوي (المعنوي) :**

وهذا النوع من التفسير قليل ، ولم أر فيه كتابا مصنفا ، وأرجو الله أن أوفق لاستخلاص بعض الآيات القرآنية التي فسرها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعرضها في هذه المقالة ، مبتدئا بفاتحة الكتاب في قوله تعالى :

١) **(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** الفاتحة/٧ .

فقد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن **(المغضوب عليهم)** هم اليهود ، و« **الضالين** » هم النصارى . (القرطبي ١/١٤٩) .

وذكر ابن كثير عدة أحاديث مرفوعة الى الرسول – صلى الله عليه وسلم – تبين كلها أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى منها ما رواه عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله – ص – عن قوله تعالى : **(غير المغضوب عليهم)** قال : « هم اليهود » ، **(ولا الضالين)** قال : « النصارى هم الضالون » (ابن كثير ١/٢٩) .

٢) قال تعالى : **(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون)** البقرة/٩ .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا تخادع الله فانه من يخادع الله يخدعه الله ، ونفسه يخدع لو يشعر » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يخادع الله ؟ قال : « تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره » (القرطبي ١/١٩٦) .

فقد فسر الرسول – صلى الله عليه

وسلم ـ الخداع في الآية بأن يعمل المرء عملا من أعمال الاسلام ، لا يقصد به وجه الله ، بل لتحقيق غرض دنيوي أو تقربا لغير الله سبحانه أو ليقال عنه بأنه ذو دين .

٣) قال تعالى : **(ونحن نسبح بحمدك)** البقرة/ ٣٠ .

روى طلحة بن عبيد الله قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تفسير سبحان الله ، فقال : « هو تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن كل سوء » .

٤) قال تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها)** البقرة/ ٣١ .

اختلف في معنى الأسماء التي علمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم . وقد ذكر البخاري في حديث عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشار الى هذه الأسماء فقال :

« ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » .

وفي حديث آخر يبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله علم آدم أسماء الأشياء كلها التي يحتاجها الانسان في حياته على الأرض حتى وعاء الطعام فقال : « وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة » (القرطبي ١/ ٢٨٤) .

٥) قال تعالى : **(واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)** البقرة/ ١٨٦ .

فسر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعاء في هذه الآية بالعبادة ، فقال : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم : **(ادعوني أستجب لكم)** ، أي اعبدوني . (القرطبي ٢/ ٣٠٩)

٦) قال تعالى : **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** البقرة/ ١٨٧ .

وقع خلاف بين الصحابة في فهم هذا الخيط الأبيض والأسود ، فظن بعضهم أنه الخيط الحقيقي ، حتى سأل عدي بن حاتم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال : يا رسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ . قال : « انك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين » . ثم قال : « لا بل هو سواد الليل وبياض النهار » رواه البخاري .

٧) قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** المائدة/ ١٠٥ .

في هذه الآية يقول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مشيرا الى تفسير الرسول لها : انكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ، واني سمعت رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

وفي رواية « بعذاب من عنده » .

أي لا يكفي من المسلم أن ينطق بالشهادتين ، ويقول ما لي وللناس ، بل عليه أن يدعو الى الاسلام ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، والا سلط الله العذاب والعقاب على الأمة كلها .

٨) قال تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** الأنعام/٨٢ .

لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :« ليس هو كما تظنون ، انما هو كما قال لقمان لابنه : **(يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)** لقمان/١٣ رواه البخاري .

فالظلم في هذه الآية ــ كما فسره الرسول ــ هو الشرك .

٩) قال تعالى : **(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة)** الأنعام/٩٤ .

أي يحشرون عراة كما ولدوا من بطون أمهاتهم ، وقد دهشت السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ واستغربت وسألت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : يا رسول الله ، واسوأتاه ، ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ، ينظر بعضهم الى سوأة بعض ؟! فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » ، لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال ، شغل بعضهم عن بعض » (القرطبي ٧/٤٣ ــ ٤٤) .

وفي حديث آخر عن عائشة ــ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا (أي غير مختونين) . قالت عائشة : فقلت يارسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال : « الأمر أشد من يهمهم ذاك » رواه البخاري ومسلم .

١٠) قال تعالى : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/٦٠ .

وقد فسر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ القوة هنا بمقاتلة الأعداء ورميهم بالنبال لأنها أفتك في العدو وأنفع في الحروب ، وروى لنا ذلك عقبة ابن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، الا أن القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي » (رياض الصالحين ص٧٣٤ ــ القرطبي ٨/٣٥) .

١١) قال تعالى : **(ونفخ في الصور)** الكهف/٩٩ .

الصور هنا تعني القرن الذي ينفخ فيه كما فسره الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك في حديث له يقول فيه عن قرب الساعة وهولها : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، واستمع الاذن ! متى يؤمر بالنفخ فينفخ ؟ » فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال لهم : « قولوا : حسبنا

الله ونعم الوكيل » (رياض الصالحين ٢٩٨) .

١٢) قال تعالى : **(فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا)** الانشقاق/٧ ــ٨ .

قال القرطبي : « حسابا يسيرا » لا نقاش فيه . وقد استدل على ذلك بحديث عائشة ــ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « من حوسب يوم القيامة عذب » . فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله : « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا » ؟ فقال : « ليس ذاك الحساب ، انما ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . (القرطبي ١٩/٢٧٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٨) .

فالحساب اليسير في هذه الآية هو عرض أعمال المسلم عليه من قبل الله ــ سبحانه ــ دون مناقشته في أعماله ، أي لا يقال له لماذا فعلت ذلك ، ولم ؟ وأين ؟

١٣) قال تعالى : **(يومئذ تحدث أخبارها)** الزلزلة/٤ .

عن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قرأ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: **(يومئذ تحدث أخبارها)** ، ثم قال اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم .

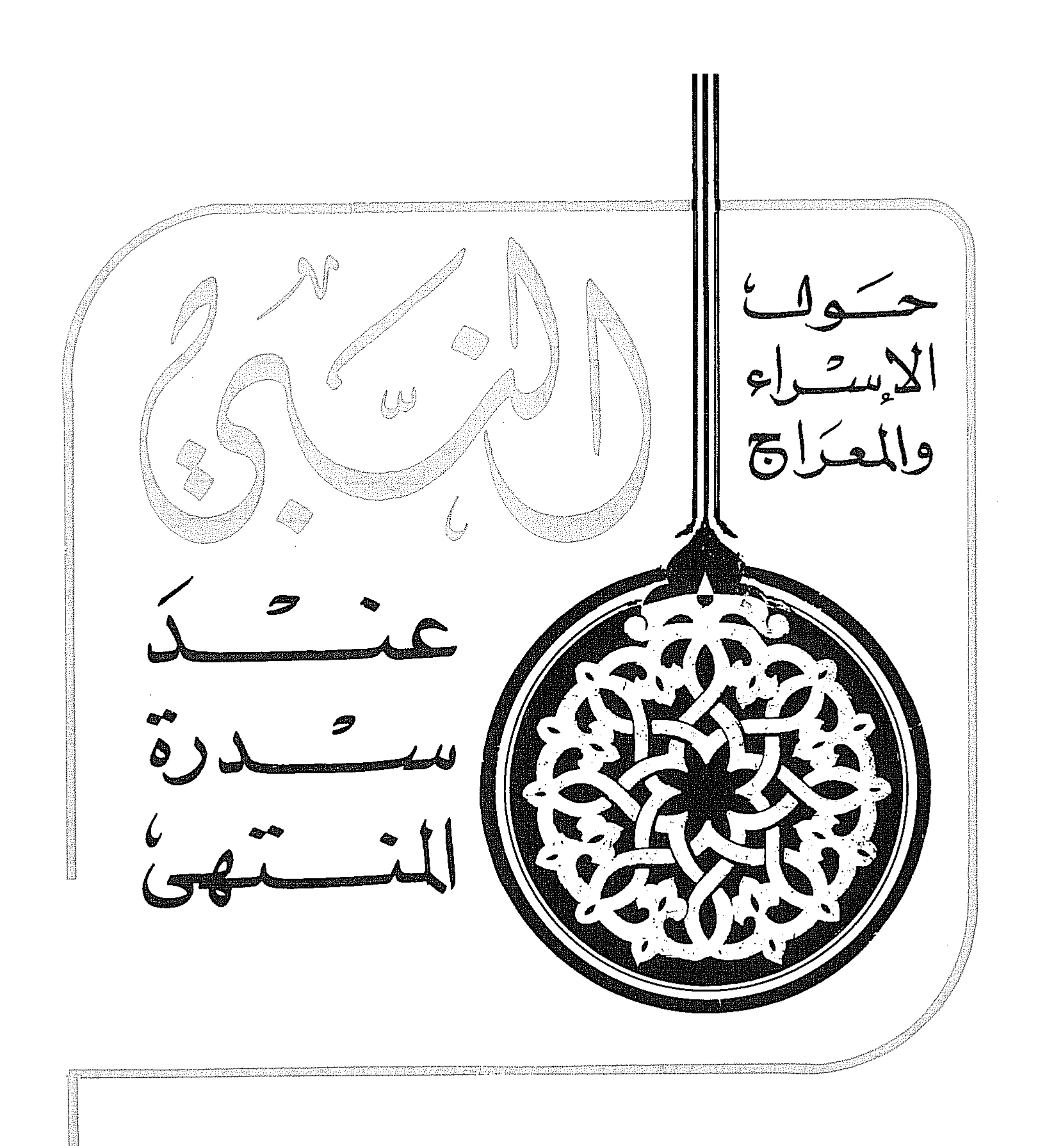
قال : « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » . (رياض الصالحين ١/٢٩٨ ــ القرطبي ٢٠/١٤٨) .

١٤) قال تعالى : **(ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر)** التكاثر ١ ــ٢ .

روى عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عدة آثار تشير الى أن التكاثر في هذه السورة انما هو تكاثر المال ، من هذه الآثار عن عبد الله بن الشخير قال : أتيت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يقرأ : « ألهاكم التكاثر » قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » (رياض الصالحين ١/٣٤١) .

ومنها نص صريح في تكاثر الأموال ، عن ابن عباس قال : قرأ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ألهاكم التكاثر » قال : « تكاثر الأموال : جمعها من غير حقها ، ومنعها من حقها ، وشدها في الأوعية » . (القرطبي ٢٠/١٦٩) .

هذا بعض ما وفقنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ لاستخلاصه من كتب التفسير وغيرها مما وقع فيها من تفسير النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لبعض آيات من القرآن الكريم . وردت بنصوص صريحة . ولعل الله سبحانه يوفقنا لاستخلاص غيرها ، راجين منه العفو والمغفرة ، « **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا** » .



للاستاذ : محمد لبيب البوهي

الانسانية شجرة فرعها في السماء

عندما يتأمل الانسان في ضوء اليقين حقيقة ذاته ، يتبين له من خلال الصفاء الوجداني سمو جوهره ، إذ خلقه الله بداية روحا اشهدها انواره وكشف لها عن حقيقة فطرتها كما ندرك بعض ذلك من خلال قوله سبحانه : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم)** الاعراف / ١٧٢ فالانسان في حقيقته روح ، وهذه الروح بلغت من كرامة التقدير عند خالقها ما نتبينه من هذه الآية الكريمة ، ثم هبطت الروح طاهرة نقية صافية تحوي فطرتها لتقوم

بمهمة ارضية موقوتة ثم تعود بعد ذلك الى عالمها الاصلي الذي جاءت منه .

فنحن البشر لسنا من اهل هذه الارض ، انما مكاننا الأساسي هناك حيث خلق ابو الأسرة الأنسانية آدم عليه السلام ، ثم كلفنا بالانتداب في الارض فترة تتحدد خلالها تجاربنا في اسلوب ممارستنا للاستخلاف فيها ، ثم يعود كل منا عندما تصدر له اشارة العودة بأمر ربه .

ولكي نؤدي هذه التجربة الأرضية على خير وجه لم نترك عبثا ، بل اشهد الله تعالى الارواح حقيقة مهمتها ، واستودعها الفطرة المناسبة ، ونفخ فيها من حكمته ، وزودها بكل مقومات النجاح والسمو والارتقاء ، لتظل خلال الممارسة الأرضية نقية مشرقة وضاءة من خلال صورة ترابية ، هي الجسد الذي نسكنه ضيوفا الى حين .

والانسان حين اهبط الى الارض روحا نقيا مجردا ، لا يمكن ان يؤدي المهمة الأرضية الا اذا لبس لباسا مناسبا لها ، ولنضرب لذلك مثلا ، فاننا حينما نريد ان نبعث بغواص ليغوص في اعماق البحر لاستخراج شيء ما ، لا يتم ذلك الا بأن نعد لهذا الغواص الاجهزة والملابس المناسبة لعالم البحار العميقة ، وذلك بعد ان نزوده بتعاليم مهمته واسلوب ادائها .

وهذه هي سنة وجودنا على الارض تماما ، فنحن قبل ان نهبط الى عالم الارض غرست فينا الفطرة المؤهلة لحسن اداء الروح لمهمتها بعد الهبوط ، ثم البست الروح الصورة الارضية المناسبة ، أعني الجسد الترابي المناسب لطبيعة التكليف الزمني على الارض .

الروحانية والبشرية :

فالانسان اذن هو روح حلت في جسد من تراب ، وهذه الروح جاءت من عالم الخلد وثوبها الارضي عارية معار لها الى حين الانتهاء من مهمتها الأرضية ، ثم تتركه وتعود الى موطنها الأصلي ــ وقد اودع الله سبحانه فينا خصائص مركوزة في الأعماق ، بها نستطيع اداء مهمتنا خير اداء ، ما لم نغفل عن الافادة من هذه الخصائص ، او نهمل او ننحرف ، فان ذلك متروك لنا لتتفاوت درجاتنا في اداء الامانة والامتحان الارضي ، ومع ذلك لم نترك لأنفسنا ، بل كان الاعلام القوي لنا بحقيقة ما كلفنا به ، وان هذه الخصائص امانة لنحافظ على المسئولية عنها ، فان معنى الامانة انها شيء نؤتمن عليه ، وعلينا ان نذكر بان هذه الأمانة التي هي انفسنا ، علينا ان نجاهد في سبيل اعادتها الى موطنها الاصلي بعد اداء مهمتها طاهرة صافية نقية كما جاءت من قبل .

غير انه في خلال زمن التكليف الارضي حين تضعف النفس او تستمرئ ملذات عابرة ، فان الروح التي هي نور ، قد يقيم الانحراف او الضعف حجابا يستر عنها حقيقتها ، وحقيقة فطرتها وخصائصها فتطغى

البشرية في الانسان على روحانيته ، والناس في اسلوب الحياة الارضية يختلفون ، فمنهم من تطغى بشريته الترابية فتحجب طبيعته الاصلية النورانية الروحانية ، ومنهم من يسير على خط متوازن بين البشرية والروحانية والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الروحانية المتكاملة .

اسباب طغيان البشرية على الروحانية

وطغيان البشرية على الروحانية ، انما يكون حين تقع الروح من عالمها المتسامي تحت الجاذبية الشهوانية بدرجات متفاوتة ، فتستهويها اوهام تزين لها الوانا كثيرة من الملذات المنحرفة .

ولكن فضل الله على بني البشر ، وقد فضلهم على كثير ممن خلق ، انه تعالى لم يدع الانسان يقع فريسة اهوائه في مهمته الأرضية ، انه سبحانه يناديه اذا تباعد ، ويمد اليه يد الانقاذ اذا كبا ، ويعيده الى طريق النور اذا اكتنفه الظلام ، على شريطة ان يطلب الانسان معونة ربه ، وان يشد بقوة على هذه اليد الحانية ، فهو ليس متروكا لنفسه ابدا ، الا اذا اختار هو ذلك ، ومع هذا فان عوامل الانقاذ ميسرة له من جديد في كل وقت وكل حين ، مهما اوغل في الضلال الارضي ، فله ان يبدأ مرة ومرارا ، وان تطوى الصفحات السود ، وان يعود ليعلو بالروح فوق عواصف لذائذ العالم الارضي ، اننا نعيد ونؤكد هذا المعنى لانه السر والمدخل الى قضية الاسراء فهي ليست مجرد رحلة طوى فيها الزمان والمكان تشريفا لأكرم الرسل فحسب ، بل هي اشارة الى السمو الذي لا ينتهي مداه في تكريم البشرية ، ممثلا ذلك التكريم في شخص الانسان الكامل .. انه على الانسان ان يذكر انه اذا كان قد خلق ضعيفا فان ذلك في قدرته البشرية اما روحانيته فانه يسمويها الى اعلى عليين حتى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، وقد اقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكيان الارضي ضعيفا حتى يظل الانسان على علم بانه لا سبيل الى منافذ القوة السامية الا بأن يلزم الجانب الروحاني ليجعله مسيطرا على الكيان الترابي وليس العكس .

ومن فضل الله على الانسان تكريمه بارسال الرسل للأخذ بيده الى اقوم السبل ، على هدى من دستور السماء المنير الى اخر الزمان ، وجعل الملائكة في عون هذا المخلوق المفضل عند خالقه ولما بلغت الانسانية رشدها اكرمها بالرسول الخاتم ..

النبي محمد والشجرة الانسانية :

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل ، وهو المبلغ عن ربه لدستور الحياة الى يوم القيامة ، لذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يكون المثل الاعلى ، وتكون اخلاقه صورة كاملة لما جاء به ، فتصبح هذه الصورة مرآة صافية ، ترى فيها الانسانية نفسها عبر الدهور والعصور ، على اعلى درجات النقاء ، فتقيس البشرية مقدار روحانيتها بالمقياس القرآني

والاخلاق المحمدية .

من اجل هذا ستظل الصفات والاخلاق القرآنية المصورة في محمد صلى الله عليه وسلم ، هي الصورة الكاملة ، تقترب البشرية منها فيطيب وجودها وحياتها بقدر هذا الاقتراب أو تتباعد فتجني ثمار التخلف والضلال والضياع على قدر نسبة الابتعاد .

فاذا افترضنا للكمال الانساني المطلق نسبة المائة في التقدير الرياضي ، فقد اقام الله محمدا على هذه النسبة في الايمان .. واليقين .. والصدق والامانة والحب . والوفاء . والتعاون .و ..و .. الى آخر الزمان فيظل هذا هو المقياس القرآني الذي تقيس به البشرية مدى تقدمها الانساني او تخلفها عنه .

الاسراء والمعراج :

والاسراء والمعراج باعتبارهما خروجا عن قيود وسلطان الزمان والمكان بحيث تفقد هذه القيود سيطرتها على المد الروحاني ، فقد كان ذلك تأييدا للروحانية المطلقة ، حين لا تقف امامها القيود او السدود المكانية او الزمانية عن ان تحلق في سماء السمو فتصبح في حضرة ربها ، وهذا التكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم انما نراه رمزا مطلقا لذلك ، وهو تكريم يحمل معنى التذكار الدائم للانسان بتكريم انسانيته حين تتخلص من قيود الزمان والمكان .

واذا كان هناك سؤال يديره الذين يديرون الأمور بزعمهم عقلانيا أو علمانيا وهو ما اذا كان الاسراء قد تم بشخص النبي صلى الله عليه وسلم أو بمجرد الروح .

وقد حسمت الآيات هذا الخلاف بقوله تعالى : (**سبحان الذي اسرى بعبده**) الاسراء /١ والتعبير بكلمة عبده هو تعبير شريف شامل لشخصية النبي وذاته ، ولو كان الاسراء أو المعراج بمجرد الروح لما كانت هناك معجزة ، وما نالت هذا التبيان المطلق من آيات الله . فان اي انسان حين ينام وتسكن اعضاؤه ، ويصبح في حالة موات وقتي تنطلق روحه بطبيعتها المجردة فتسافر في المنام ، وتلقى اناسا في اماكن بعيدة ، وتتحدث معهم ، وهذا امر بدهي يحدث حتى للكافر كما ندرك ذلك في الرؤى التي رآها فرعون مصر في زمن يوسف عليه السلام وقام يوسف بتأويلها لفرعون يومذاك .

وليس في الآيات شيء مسبوق بكلمة سبحان الا كان ذلك دليلا على القدرة التي لا تجد فيما ستذكره الآيات بعد هذه الاشارة الربانية ، وقوانين المكان والزمان هي من صنع الله ، وصانع الشيء قادر على اعادة صياغته ـ او تحويره .. او تبديله او تعطيله متى شاء وكيف شاء .

ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كان من تعطيل الله سبحانه لخصائص النار الحارقة لابراهيم عليه السلام .. وما كان من اعطاء الجماد قدرة الحركة والفعل المخالف لطبيعته كما حدث لعصا موسى عليه السلام .

واما المعجزة العظمى فهي معجزات خاتم الرسل فلا تكون بعدها معجزة ، وتظل قادرة على العطاء الروحاني والسمو بالفكر الوجداني عند التأمل على اية صورة الى آخر الدهر .

النبي محمد عند سدرة المنتهى :

وفي هذه المعجزة صور خالدة لتكريم الله للانسان في شخص الانسان الكامل الأمثل وللاشعار الدائم بارتفاع روحانية الانسان الى غير مدى محدود فوق بشريته ، ليكون الاتجاه دائما الى التسامي الذي يتخذ معناه في اروع صورة عندما تتحقق الصلاة في اكمل صورها وخشوعها ، فما الصلاة في حقيقتها غير تجسيد لهذا المعنى ، فالانسان ينطلق بروحه خمس مرات كل يوم في رحلة عبر عالم النور فوق عالمه الترابي فكأن روحه في هذه الرحلة المضيئة تحقق اسراء ومعراجا على قدر ذاتها ولعل ذلك من حكمة فرض الصلاة في السماء من اجل بيان قدرها وقدر الانسان حين يرتفع عن دنيا المادة ، ان الاسراء والمعراج كانا للنبي بالروح والجسد ، واما سائر البشر فيستطيعون السمو بأرواحهم فحسب في الصلاة ، انه تكريم ليس بعده تكريم .

وتقول آيات الله : (**ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى .لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم** ١٣ ــ ١٨ .

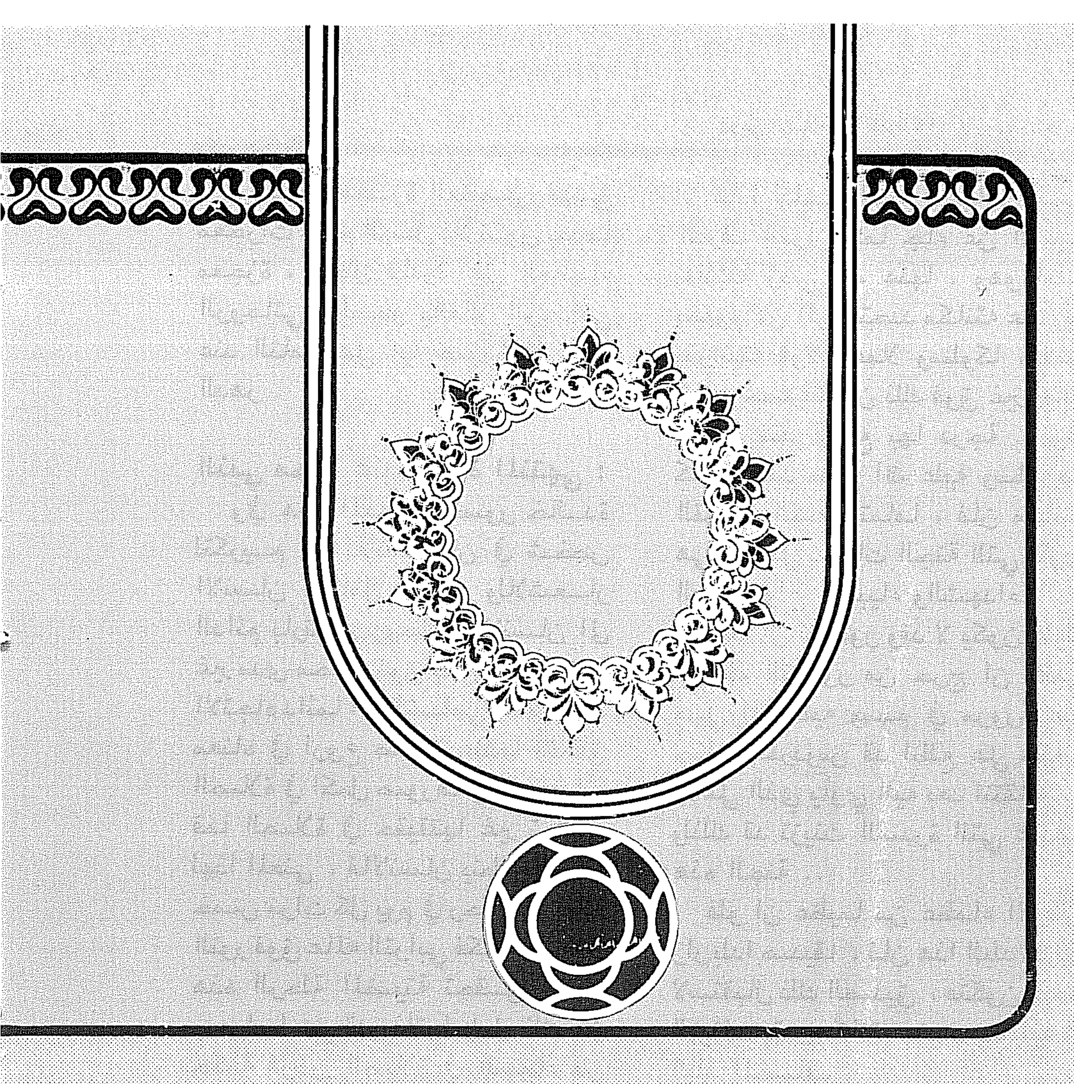
فاذا كانت الجنة درجات بقدر احرف القرآن كما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو امر مفهوم لان المرء تتحدد مكانته عند ربه بقرآنيته قولا وعملا وسلوكا ، فمن كانت حصيلته من ذلك فوق غيره بآية واحدة فقد ارتفع بها درجة .. ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآني الكامل تماما ، فان مكانته هي في أعلى درجات الجنة التي تأوى اليها ارواح الأنبياء والشهداء .

ولنا ان نتصور وقد لا يكون علينا في ذلك التصور من حرج ان النبي صلى الله عليه وسلم في مروره عبر جنات الفردوس قد اطلع على مكانه الاعلى الذي يأوي اليه بعد انتقاله .. ولذلك قد تزينت السدرة التي عندها هذه الجنة ..

فلو ان عظيما من عظماء الارض زار بلدا صديقا ، فان هذا البلد يتزين لاستقبال ذلك الصديق ، فتكون حجم الزينات بقدر مكانته عند مستقبليه في البلد المضياف .

واعظم عظماء الوجود الكوني ، هو النبي العظيم عليه صلوات الله وسلامه فلما انتهى الى سدرة المنتهى ، تزينت السدرة لاستقباله : **(إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .**

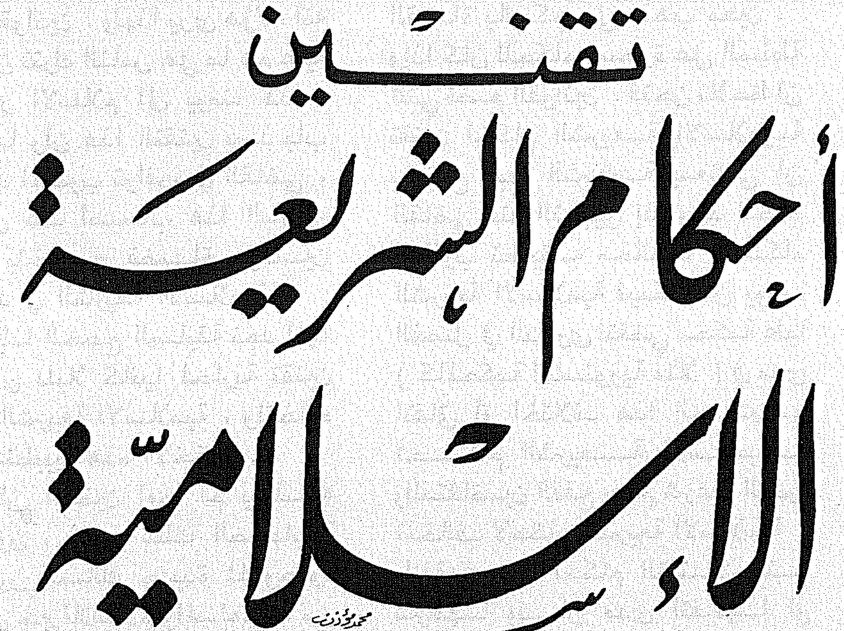
تلك صور مما توحي به قصة الاسراء والمعراج الى بعض الاذهان وهي تشعر الانسان بتكريم ربه تعالى له متى احسن الصلة به فكل تعظيم للقائد هو تكريم لتابعيه .



لا شك ان تطبيق الشريعة الاسلامية أمانة في أعناقنا جميعا ، ومسئولية أمام الله عز وجل ، وشرف لنا (**ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة / ٥٠ .

ومن وسائل تطبيق الشريعة الاسلامية تقنين أحكامها ، أي صياغة قواعدها في صورة مواد قانونية تنظم سلوك الأشخاص في المجتمع مع إلزامهم بالعمل بها ككل قانون ، وذلك بعد أن أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع . وإذا كانت بعض الدول تستعمل لفظ النظام أو المجلة بدلا من لفظ القانون ، فالعبرة ليست بالمسمى وإنما بمضمون ما يشتمل عليه ، فاذا كان القانون أو النظام معبرا عن حكم الشريعة الاسلامية فلا بأس به ، وإلا فلا حاجة لنا به .

ولقد كان للفقهاء السابقين مصنفات تتضمن قواعد أشبه بالقواعد القانونية منها المتون والمختصرات ، ومنها كتاب قوانين الأحكام الشرعية



للدكتور عبدالناصر توفيق العطار

لابن جزى المالكي ، وفي عصرنا الحاضر نجد نماذج ومحاولات لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية منها مجلة الأحكام العدلية وهي تقنين للمذهب الحنفي في المعاملات ، وكتاب مرشد الحيران لمحمد قدري باشا على غرار مجلة الأحكام العدلية ، وبعض مشروعات لتقنين أحكام البيع أصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

على ان من بين علمائنا من يتخوف من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، ويسوقون لذلك حججا أهمها أن هذا التقنين أمر لم يسلكه السابقون ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، كما أن الامام مالك رضى الله عنه لم يستحسن ما رغب فيه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ .

يضاف الى ذلك أن للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، وهو ما قد يؤدي إلى تشويه بعض الأحكام الشرعية عن طريق التظاهر بأن القانون مستمد من الشريعة الاسلامية بينما يكون مخالفا

لأحكامها ، كما يمكن للحاكم العبث بأحكام الشريعة الاسلامية عن طريق تعديل القوانين ، ولهذا يرى هؤلاء أنه ينبغي أن نترك الناس على ما هم عليه منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، خصوصا وأن هذا التقنين يسد باب الاجتهاد المطلوب توافره في القاضي ، والأجدى عند أصحاب هذا الرأي العناية بتخريج قضاة مؤهلين للاجتهاد في الشريعة الاسلامية .

وإذا تأملنا الحجج السابقة نجد أنها لا تنهض دليلا كافيا لمحاربة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، واتخاذه وسيلة لتطبيق هذه الأحكام .

فاذا كان التقنين أمرا لم يسلكه السابقون ، فقد سلك الصحابة والتابعون مسالك جديدة لما وجدوه فيها من خير للاسلام والمسلمين . من ذلك إجماع الصحابة على جمع القرآن في مصحف وإجماعهم على قراءة القرآن على حرف واحد من الحروف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها ، ومن ذلك أيضا اتجاه التابعين الى تدوين السنة ، وتدوينها أمكن الوقوف على صحيحها والمحافظة عليها والعمل على تطبيقها .

وإذا كان الامام مالك رضي الله عنه لم يستحسن ما رآه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ ، فقد كان ذلك قبل جمع السنة وخوفه من أن يكون منها في الأمصار ما لم يصل إليه فيترك العمل به ، كما تدل على ذلك عبارته « إن أصحاب رسول الله قد تفرقوا في البلاد فأفتى كل مصره بما رأى » بخلاف الحال الآن ، فقد أجاز الفقهاء إلزام القضاة بالحكم على مذهب معين .

وإذا كان للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، فنحن نلاحظ أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يخضع لمبدأ الشرعية بمعنى أن القاضي عند التطبيق إذا وجد الحكم المطلوب تطبيقه مخالفا لأحكام الشريعة الاسلامية فيمكنه أن يوقف الفصل في الدعوى لتقضي محكمة عليا (كالمحكمة الدستورية مثلا) في مدى اتفاق أو اختلاف هذا الحكم مع أحكام الشريعة الاسلامية وللمتقاضين الدفع بعدم شرعية النص المخالف لأحكام الشريعة الاسلامية ، وللفقهاء نقد أحكام التقنين عند شرحها وبيان مدى اتفاقها أو اختلافها مع أحكام الشريعة الاسلامية فاذا ثبت أن النص مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية امتنع القضاء عن تطبيقه ، وذلك يحد من العبث بأحكام الشريعة الاسلامية .

والصحيح – في رأينا – أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية وسيلة ناجعة إلى تطبيقها بعد ان أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع ، كما أنها وسيلة جائزة شرعا – فيما يبدو لنا – ويشهد لجوازها القياس والمصلحة المرسلة .

فتقنين أحكام الشريعة الاسلامية يقاس على تدوين الفقه ، وليس التقنين إلا صورة من صور تدوين الفقه ، فتدوين الفقه كما يكون في

صورة مختصرات أو شروح أو شعر يمكن أن يتخذ شكل مواد وهي قواعد مرقمة ، والعبرة بالمضمون لا بالشكل . فالتقنين صياغة حديثة لمتون الفقه الاسلامي ، وهي صياغة تستوعب أحكام المشكلات المستحدثة . والبديل لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية هو ايجاد كثرة من القضاة المجتهدين أو الفقهاء المجتهدين ، وهو أمر قد يكون الآن أصعب من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

أما وجه المصلحة في هذا التقنين ، فهو ما يبدو من مزاياه ، ومن مزايا هذا التقنين أنه بمثابة خلاصة ما يمكن العمل به من الروايات المتعددة في المذهب الواحد وفي المذاهب كلها ، ولا يخفى أن الشريعة الاسلامية متعددة مصادرها ، كثيرة مراجعها ، وتختلف آراء الفقهاء في كثير من مسائلها ، الأمر الذي يتطلب بيان ما ينبغي العمل به ، وهو ما يتم بواسطة التقنين ، خصوصا وأن هذا التقنين عبارة عن اختيار وترجيح يتأتى من مجموعة من العلماء ، وليس عن طريق فرد أو غيره ، ثم ان هذا التقنين وسيلة لالزام الناس بالعمل بالشريعة الاسلامية ، ذلك أننا في عصر ألف الناس فيه السير على مقتضى قانون ، فاذا كان هذا القانون مستمدا من الشريعة الاسلامية ، فاننا نصل الى مرحلة تطبيقها ، يضاف الى ذلك أن هذا التقنين وسيلة لتوحيد سلوك الأمة على حكم مختار من بين الآراء الراجحة في الفقه الاسلامي كما أنه وسيلة لتوحيد أحكام القضاء ، حتى لا يحكم كل قاض بمذهب يختلف عن المذهب الذي حكم به قاض آخر ، فتتضارب الأحكام وتتشوه صورة الشريعة الاسلامية وعدالتها في أذهان العامة . ومن الواضح أن هذا التقنين يسهل العثور على حكم الشريعة الاسلامية بدلا من الرجوع الى المراجع العديدة فيها ، كما أنه يسهل على المتقاضين معرفة الحكم المعمول به من بين الآراء المختلفة في الفقه الاسلامي ، كما أنه يسهل على الفقهاء شرح هذه الأحكام ، وهكذا يشتغل آلاف القضاة والمحامين والفقهاء والطلبة بدراسة هذا التقنين والعمل به ، وفي هذا تيسير لدراسة وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

على أن للتقنين مساوىء لأنه يجمد الحكم ، وبالتالي لا ينبغي تقنين الأحكام المبنية على العرف لأنه يتغير ، وسنجد عند تطبيق التقنين من الفقهاء ومن القضاة من سيذكر أن العمل برأي آخر في الفقه الاسلامي أولى من العمل بالرأي الذي أخذ به واضع التقنين ، وينبغي ان تجمع ملاحظات وتعليقات القضاة والفقهاء للنظر في العمل بها وتعديل التقنين بما لا يخرجه عن أحكام الشريعة الاسلامية .

ومن الواضح أن مساوىء التقنين يمكن علاجها ، ومزاياه تفوق مساوئه ، او عدم تقنين أحكام الشريعة الاسلامية سيدفع حكام المسلمين إلى اقتباس القوانين الأجنبية لتنظيم شئون الدولة ، وهذه

مفسدة لا يدرأها الا تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

والواقع أن التقنين ليس إلا نوعا من تخصيص القضاء بالحكم برأي معين ، وفي عصور التاريخ الاسلامي نجد أن القضاة الزموا بالقضاء وفق الراجح من مذهب معين ، ويمكن ان يكون التقنين صياغة لأحكام الراجح في أحد المذاهب الاسلامية ، كما يمكن أن يكون في نطاق عدة مذاهب ، والأفضل ان يكون في نطاق كل مذاهب الفقه الاسلامي طالما ان كل حكم فيه لا يتعارض مع أحكام القرآن والسنة .

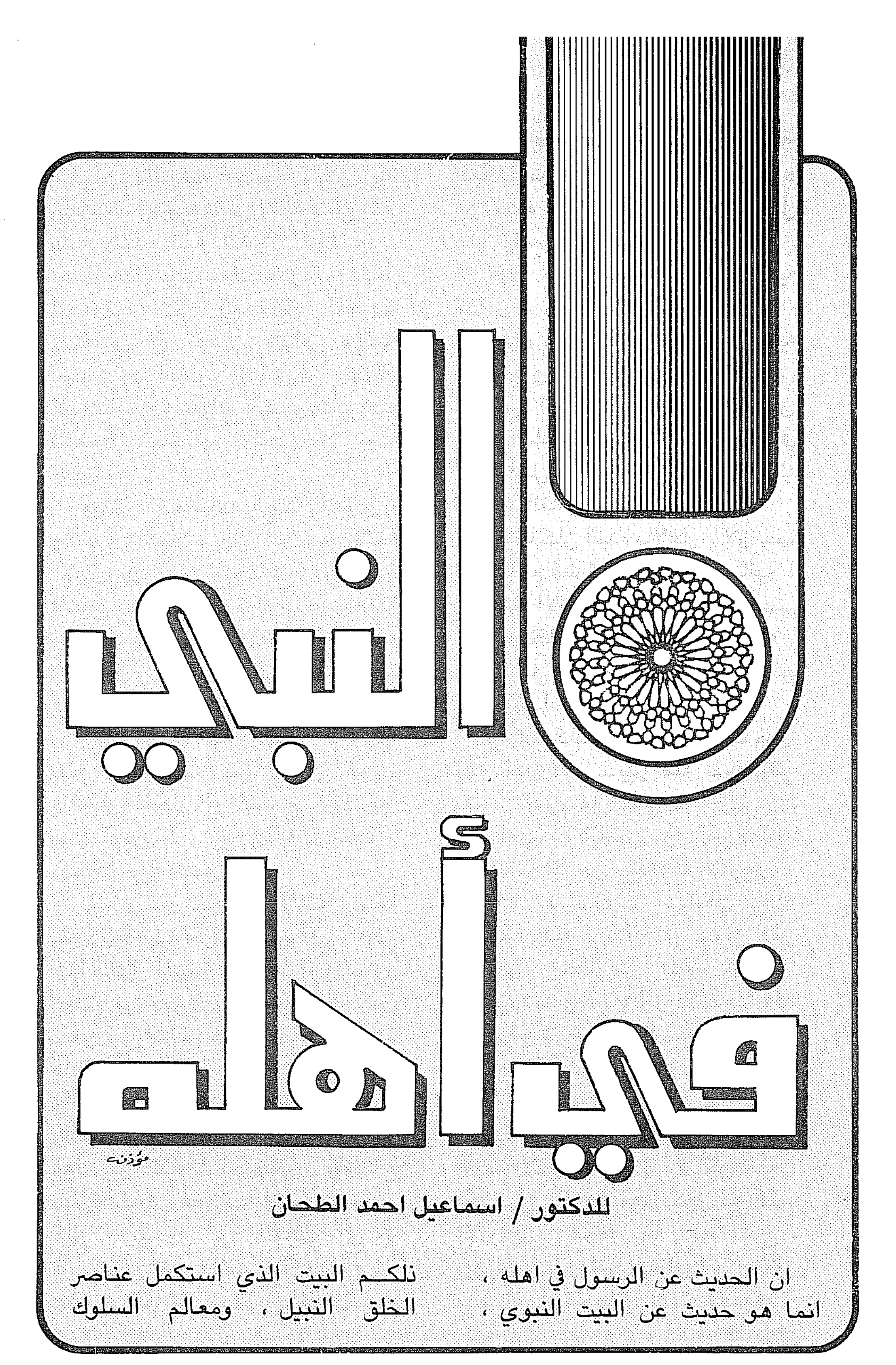
ومهمة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يمكن أن يتولاها المجتهدون في الشريعة الاسلامية ، أو الفقهاء المحدثون الآن ، ويمكن أن يتعاون في صياغتها الباحثون في القانون مع فقهاء الشريعة الاسلامية ، ويتم ذلك سواء بجهود جماعية في شكل لجان تشكل لهذا الغرض ، او حتى في صورة فردية حيث يذكر كل من يكتب كتابا أو بحثا في الشريعة الاسلامية ما يرى العمل به من أحكام هذه الشريعة ويحاول تقعيد هذه الأحكام وصياغتها في صورة مواد قانونية حتى يستفاد منها في التقنين .

وينبغي أن يقتصر التقنين على القواعد العامة ، فلا محل لأن يتعرض لكافة التفصيلات ، فذلك أمر يترك لاجتهاد القضاء ولشروح الفقه .. فاذا كشف التطبيق عن اتجاه يخالف أحكام الشريعة الاسلامية ويستند الى نصوص التقنين ، وجب تعديل هذا التقنين بما يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية .

ولا محل للتسويف في اصدار هذا التقنين بحجة الانتظار حتى يتم تقنين كل أحكام الشريعة الاسلامية ، ذلك أنه يمكن التدرج في تقنين بعض أحكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها كتقنين أحكام العقود ، ثم تقنين أحكام الحدود ، ثم تقنين أحكام التقاضي .. الخ .

إن معظم بلاد العالم الاسلامي تضع في دساتيرها نصوصا تؤكد ان الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي لتشريعاتها ، ويؤكد رؤساء هذه الدول حرصهم على الاسلام فهل يصح بعد ذلك أن ينشأ القانون في هذه الدول بعيدا عن الشريعة الاسلامية ؟!

ان كثيرا من العظماء عرفوا بما سنوه من نظم للجماعة ، فها هو حمورابي في بابل وصولون في اليونان وجستنيان عند الرومان ونابليون في العصر الحديث فاقت شهرتهم بقوانينهم ما كان لهم من مجد سياسي او عسكري ، فهل نجد من حكام المسلمين من يضع تقنينات كاملة مستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية فيشتهر بها ، ويكون بذلك قريبا من نفوس الجماهير حبيبا الى قلوبها ، فائزا برضا الله عز وجل ؟! .. اننا لنضرع ألى الله عز وجل أن يكتب لهذا الجيل وحكامه شرف العمل بشريعة الله **(ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة / ٥٠ .



النبي في أهله

للدكتور / اسماعيل احمد الطحان

ان الحديث عن الرسول في اهله ، انما هو حديث عن البيت النبوي ، ذلكم البيت الذي استكمل عناصر الخلق النبيل ، ومعالم السلوك

الطيب ، والتربية الحسنة ، لأن ربه ومعلمه ، ومربيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة الكمال البشري ، فصار هذا البيت معقد القدوة ، ومناط الأسوة ، لان الفضائل المجردة لا تعيش في أذهان الناس وإنما يضمن لها الخلود والبقاء ان تتحول الى ممارسة وسلوك ، وقد وجدت هذه الفضائل مجالها الحي في بيت النبوة .

ويأتى الاهتمام بالبيت النبوى ، والبيت بعامة ــ من انه هو اللبنة الاولى في بناء المجتمع ، والوحدة الاجتماعية الصغيرة التي تنمو فيها الشخصية ، وتزكــو فيها العواطف والغرائز ، ويتمرس فيها الفرد على علاقاته العامة بمجتمعه الكبير .

ومن ثم اتجهت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم الى البيت باعتباره المجاز الى المجتمع ، وقد ربط بينهما برباط وثيق في لفتة ذكية ، ولمحة وضاءة حين قال :

(خيركــم خيركــم لاهله ، وانا خيركم لاهلي) رواه الترمذي ، ففي هذا القول الموجز معنى سام ودستور عظيم من دساتير التربية ، اذ جعل الخير من الناس هو من قامت علاقته بأهله على الخير ، والبر ، والبذل ، والعطاء ، وحسن المعاملة في القول والفعل ، وما ذاك الا ليتعلم من بر اهله بر الناس اجمعين ، ولتنداح دائرة خيره وفضائله لتسع المجتمع كله ، ويتحول بره العائلى الى بر انساني يشمل الانسانية جمعاء .. هذا ، ولنا ان نتصور بالمقابل سوء العلاقة بين المرء واهله ، وما تجره من سوء بينه وبين مجتمعه ، ولعل هذا يفسر لنا القول الشائع « من لا خير فيه لاهله ، لا خير فيه للناس » .

وحين يقول النبى صلى الله عليه وسلم (وانا خيركم لاهلي) لم يكن بالمبتغي الخير لاهله فحسب ، دون سائر الناس ، وانما : انا امامكم في البر بأهلي ، البر الذي تنداح دائرته لتشمل الناس اجمعين .

وربما كان البدء بالاهل ، لان حب الخير لهم فطرة ، وطبيعة انسانية ، يمارسه الانسان بغير تكلف ، حتى اذا استقامت على الخير طبيعته ، وزكت على الفضائل فطرته ، لم يتأب عليه إزجاء الخير للآخرين .

وهكذا كانت سيرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبر أهله ــ ويحتفي بهم ، ويقوم على شئونهم ، ولم يكن حظ الغرباء الأبعدين من بره وحفاوته واهتمامه اقل من حظ اهله الاقربين .

فاذا تمثلناه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ (ابنا) ــ وان كان لم يدرك احدا من ابويه في سن التكليف ــ وجدناه ابر الابناء ، فقد كان وهو شيخ قارب الستين يبكي على قبر امه بكاء من لا ينسى ، وفي سجل بنوته من المودة والحنان والاحتفاء بمرضعته حليمة ما لا يعرف في سجل المودة الانسانية اجمل ولا اكرم منه ، فكــان يلقاها وهو كهل ــ جاوز الاربعين ــ هاتفا بها : امى امى ، ويفرش لها رداءه ويعطيها من الابل والشاة ما يغنيها في السنة الجدباء .

ولم يقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ بهذه المودة ، وتلك الحفاوة عند حدود امومته من النسب او الرضاع فحسب ، بل تجاوزها الى الامومة بعامة فأوصى ببر الوالدين ، وخص الأم بمزيد من وصايته فقد روى أن جاءه رجل فقال : يارسول الله إني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه ، فيقول له الرسول : « هل بقى من والديك أحد حي ؟ ، قال : نعم ـ أمي ـ فيقول الرسول له : قابل الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ، ومعتمر ، ومجاهد » . رواه احمد والترمذي .

وكـــذلك جعل حق الابوة فريضة مقدسة فحين سأله سائل : يا رسول الله ان لى مالا ، وولدا ، وان ابى يحتاج مالي ، فأجاب سائله : « انت ومالك لأبيك » ، رواه احمد وابن ماجة ، فأكد بهذا واجب الوفاء للآباء ، واتخذ من هذا االالتزام تدريبا للمسلم على تحمل التبعات المالية التى تفرض عليه وفاء لحق مجتمعه ووطنه ، وتنمية لروح التعاون والتكافل تجاه غير القادرين . وبذلك يكون البر المتبادل بين الابناء والآباء لبنة في صرح البناءالاجتماعي ، ومهارة تشكل قدرة الفرد على رعاية المصالح الانسانية في مختلف النواحي والاوضاع .

واذا تمثلناه صلوات الله وسلامه عليه (زوجا) وجدناه احنى الازواج قلبا ، واشفقهم فؤادا ، فكـــان مع زوجاته ألين الناس ، ضحاكـــا بساما ، كما قالت عائشة رضى الله عنها ، مؤكـــدا في علاقته بهن ما استوجبه الاسلام بين الزوجين من المودة والرحمة .

واي مودة ، وايناس اجمل من مودته وايناسه بهن فيما ترويه ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول :« خرجت مع النبي في بعض اسفاره وانا جارية لم احمل اللحم ، فقال رسول الله للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته ، فسبقته فسكت ، حتى اذا حملت اللحم وكنا في سفرة اخرى ، فقال الرسول للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال تعالى أسابقك ، فسابقته ، فسبقني فجعل الرسول يضحك ويقول : هذه بتلك » . رواه احمد وابو داود .

فأي مرح ، واية دعابة تلك التى يمارسها الرسول مع زوجاته ، ليضفي على بيته من السرور والبهجة ، ما ينسي ازواجه انه رسول تتسم العلاقة به بالرهبة ، فيجور على حقهن من الايناس ، او ينقص من حظهن من المودة والرحمة ، ولم يكن يغضبه ان تجتريء احداهن عليه امام ابيها فتقول له (تكلم ولا تقل الا حقا) فيبتسم ، ويقول « وهل اقول الا حقا » ، لان ذلك امر مقبول عنده في منطق الزوجية ، فمن حق زوجاته ان يناقشنه ، ويطالبن بما يرينه حقا لهن ، بل يذهب ابعد من ذلك في كف عمر رضي الله عن الغضب ، واخذ ابنته حفصه ـ ام المؤمنين ـ رضي الله عنها بالشدة حين اجترأت على الرسول في المناقشة وهى تخاصمه

امام ابيها ويقول له (ما لهذا دعوناك) .

وكان حريصا على ان ينلن حظهن من السرور في غير مأثم تقول عائشة رضي الله عنها « كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فاما سألت النبي ، واما قال : تشتهين تنظرين ، فقلت : نعم . فأقامنى وراءه ، خدى على خده وهو يقول : دونكم يابني ارفده ، حتى اذا مللت ، قال حسبك ، قلت : نعم ، قال فاذهبى » رواه البخاري ومسلم .

ولم يكن الرسول صلي الله عليه وسلم رفيقا بهن في حال الرضي فحسب ، بل كان يرفق بهن ، ويتلطف في معاملتهن حتى في حال الغضب ، وتأزم الحياة الزوجية ، وتعرضها لخطر الطعن في الشرف والعرض عندما اتهمت الصديقة بنت الصديق عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بالافك ــ فلم يزد الرسول عن ان يحجب بعض لطفه عنها ، فتقول « وكـــان يريبنى في وجعى انى لا اعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل فيسلم ، ثم يقول كيف تيكـم ؟ » . ولم ينزل الرسول عن افق النبوة السامق في معالجة هذا الحدث الخطير ، فاخذ بما يوجبه عليه الحق في التحري فهو لن يقبله بغير بينة ، ولن يرفضه بغير بينة ، ولم يعجله لغط الناس أن يحكم فيه بغير دليل ، ولعله كان بذلك قد استن للناس القاعدة القضائية المعروفة الآن (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) . ولم يطل به الامر حتى انزل الله براءتها .

ولم يكن حبه وقفا على الاحياء منهن ، بل اتصل بالاموات بعد موتهن وفاء كاجمل ما يكون الوفاء ، فكثيرا ما كان يذكر خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها ، ويكرم صديقاتها ، ومن كن يزرنه أيام حياتها .. يقول أنس : كان رسول الله اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة ، فانها كانت صديقة لخديجة ، انها كانت تحب خديجة . ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : انها كانت تأتينا ايام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان . راجع مسلم .

وكان ينصف خديجة ــ رضي الله عنها ــ ويدفع ما رمتها به عائشة ــ غيرة من كثرة ذكــرها وثناء النبي عليها ــ قالت : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها فقال النبي ــ مغضبا ــ « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » رواه احمد

وربما كانت نفقات البيت من الامور التى تعرض صفوة الحياة الاسرية للكــدر ، وتعنت الرجل اذا طولب بما لم يقدر عليه ، ومثل هذا امر غير مستغرب الوقوع في بيت النبوة ، فان النبي اخذ اهله في النفقة والمعيشة بما اخذه الله به من قديم حيث قال له : **(ولا تمدن عينيك الى**

ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) طه/١٣١ ولم يكن ضيق النفقة ، وخشونة العيش في بيت النبي فعل من لا يجد بل كان يسيرا عليه أن يحتجز من الانفال والغنائم التى يقسمها بين المسلمين ــ وله فيها حق ــ ما يرفه به عن زوجاته ويضمن لهن رغد الحياة ــ لو اراد ، ولكنه اراد للبيت النبوي ان يكون صورة من بيوت الكثيرين المقلين حوله ، فلم يكن التنعم بالحياة بهدف له اولهم ، وانما هدفهم ان يبلغوا بهذا الدين مأمنه ، وأن يقيموا له دولته . ولما ضاقت أزواجه ذرعا بحياة لم يألفنها في بيوت آبائهن ، أو ازواجهن من قبل ، وطالبنه بمزيد من النفقة وتظاهرن عليه ، انكــــر الرسول عليهن هذا التطلع ــ وان كان لم يجاوز حدود المباحات المشتهاة ــ ورفض الاستجابة لرغباتهن ، وخيرهن بين الصبر على حياة الكفاف معه ، أو اللحوق بأهلهن . حيث يجدن ما يشتهين ــ نزولا على قضاء الله فيهن حين أوحى اليه بقوله تعالى : **(يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما)** الاحزاب/٢٨ و ٢٩ . ولكنهن آثرن الله ورسوله والدار الاخرة ، وعشن معه راغبات في ثواب الله عز وجل .

وهذا الدرس الالهي ــ وان كان خاصا بزوجات النبي ــ فيه مزدجر لغيرهن من الزوجات اللائي يطالبن ازواجهن بما لا يقدرون عليه من النفقة ــ ان يعنتن ازواجهن ، او يحملنهم على الكسب الحرام ، وقد ضمن لهن الاسلام حقوقا قبل ازواجهن في حدود قدرتهم وطاقتهم ، وجعل النفقة التى تسعدهن من الزكـــوات الباقيات يقول الرسول « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على أهلك ــ اعظمها اجرا الذي أنفقت على اهلك » رواه مسلم . وفي تحديد جلي يقول الرسول لسائله (معاوية بن حيدة) حين سأله : ما حق زوجة احدانا عليه ؟ قال « ان تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا في البيت » رواه ابو داود .

هذا ، واذا تمثلنا الرسول في اهله (ابا) وجدناه ابا بارا ، صالحا ، حانيا ، ودودا عطوفا ، واجلى ما تتمثل فيه هذه الابوة العاطفة الحانية يوم ان رزقه الله على الكبر (ابراهيم) فغدا من فرحه متهلل الوجه ، ريان الفؤاد ، مبتهج النفس ، يجود بأقصى ما يملك من الصدقة ، فيحلق شعر الوليد ويتصدق بزنته فضة على المساكين ، ولو استطاع اكثر من ذلك لفعل شكرا لله ... ويقدر هذا الفرح يوم الميلاد ، كان الحزن يوم الفقد فقد حمل ابنه ميتا بين يديه قبل ان يوسده التراب ، وكـــان يستقبل الجبل بوجهه وقال « يا جبل لو كان بك مثل ما بي

لهدك ، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون » .

هذه ابوة محمد صلي الله عليه وسلم يوم استقبال وليده ، ويوم وداعه ، وشاء الله ان تجد هذه الابوة عزاءها في حفيديه الحسن والحسين فقد آنسهما بعطفه ، وغمرهما بحبه ، فقر بهما عينا ، وطاب نفسا ، ويبلغ به الحدب مبلغه حين يدخل عليه الحسن وهو ساجد فيركب على ظهره ، فيطيل السجود حتى ينزل الصبى غير معجل ، ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت السجود ... فيقول « ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله » رواه الحاكم واحمد .

وكان يرى صلوات الله وسلامه عليه ــ ان عطف الابوة سمة النفس السوية ، والفطرة المستقيمة ، يقول ابو هريرة رضي الله عنه :« قبل رسول الله الحسن او الحسين بن علي ، وعنده الاقرع بن حابس التميمي ، فقال الاقرع ان لى عشرة من الولد ما قبلت احدا منهم قط فنظر اليه الرسول وقال : من لا يرحم ، لايرحم ، وفي رواية : أو أملك لك ــ أن نزع الله الرحمة من قلبك » متفق عليه .

وقد تدفعه ابوته الحانية ان يغنم أبناءه كل خير متاح ، تقول ابنته فاطمة رضي الله عنها ــ فيما يرويه البيهقي : مر بى رسول الله ، وانا مضطجعة متصبحة فحركني برجله ، ثم قال : « يا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين فان الله يقسم ارزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » .

وقد تمتد ابوته النوعية الى ابوة روحية تجعل من كل صغير ولدا له ، يرعى حقوقه لدى والديه ، ويوصيهما به خيرا فيقول « رحم الله والدا اعان ولده على بره » اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وسيىء معاملته .

ويصل ما بينه وبين كل صبى برباط من الرحمة فيحس بحنان الابوة نحوه فيقول « اني لاقوم الى الصلاة ، وانا اريد ان اطول فيها فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي كراهية ان اشق على امه » رواه البخاري .

واذا تمثلنا الرسول صلي الله عليه وسلم (سيدا) وجدنا العلاقة بينه ، وبين خدمه ومواليه تجاوزت في سماحتها حدا لم يفرضه الدين ، ولم يألفه العرف ، ولم يطلبه المولى لنفسه ، ولم يطمع في مثلها كثير من الابناء لدى آبائهم ، فقد ظفر خدم رسول الله ومواليه من حسن المعاملة والرفق بهم ما مسح عن نفوسهم ذل المهنة ، وشعور المهانة ، وارتفع بهم الى مصاف الاخوة الكريمة فقال يوصي بهم سادتهم « هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فاطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأ عينوهم » متفق عليه واللفظ لمسلم .

ويأتلق سناء رحمته بهم ، واعزازه لهم فيما يرويه خادمه انس رضي الله عنه فيقول : « والله لقد خدمته ــ اي النبي ــ تسع سنين ما علمته قال

لشيءٍ صنعته « لم فعلت كذا وكذا » أو لشيءٍ تركته : « هلا فعلت كذا وكذا » . رواه مسلم .

وارسل يوما غلاما له في طلب شيءٍ فأبطأ عليه ، فأغاظه ، فلما عاد الغلام لم يزد على ان قال له « لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك » .

ويروى أنس : « ان النبي ارسلنى في حاجة فانحرفت الى صبيان يلعبون في السوق واذا رسول الله قد قبض ثيابي من ورائي ، فنظرت اليه صلى الله عليه وسلم ــ وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث امرتك » رواه مسلم .

ويهمه من امر اسرة خادمه ما يهمه من خاصة اهله فقد زار انسا رضي الله عنه ــ في داره فرأى اخاه ابا عمير حزينا ، فقال لأمه : ما بال ابي عمير حزينا ؟ فقالت يا رسول الله مات نفيره ــ طير كان يلعب به ــ فقال له الرسول : مواسيا ومسليا ــ « ابا عمير ما فعل النفير » وكان كلما رآه قال له ذلك . رواه مسلم .

ولعل فيما دأب عليه النبي من خدمة نفسه ، ومشاركة اهله وخدمه في مهنتهم ما يمحو آثار الضعة فيما يمتهنون حيث يشركهم سيدهم ، ولم يقبل منهم خدمة يأنف الاحرار ان يقضوها له ، فكان يحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويعلف ناضحه ، ويرقع ثوبه . وكان نصيبه من خدمة نفسه أوفر من نصيبهم في خدمته ، ولم تخرج الخدمة في بيته عن ضرب من توزيع الاعمال يأخذ كل فرد من أهله بنصيب فيما يستطيعه من تدبير البيت وقضاء شئونه .

ولم يشأ الا ان يجعل حق الخدم والموالى في حسن المعاملة قضاء دين ــ لا تفضل سادة ــ يسأل السادة عنه ، يقول ابو مسعود البدري « كنت اضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا خلفى : اعلم ابا مسعود ــ فلم افهم الصوت من الغضب ــ فلما دنا منى ، اذا هو رسول الله ، فاذا هو يقول : اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت يا رسول الله : هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : اما لو لم تفعل للفحتك النار » . رواه مسلم .

وجاء رجل يسأله : كم اعفو عن الخادم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كل يوم سبعين مرة » .

ثم يحذر من ظلمهم والاعتداء عليهم بغير حق فيقول « من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة » . رواه البزار .

هذا هو رسول الله في اهله ابر الابناء ، واحني الازواج ، وارأف الآباء ، وأنبل السادة ، احبه من عاشره من اهله ، واكبره من خالطه من اصحابه ..

الا فليقتد بسيرته المقتدون في أهليهم ، وليجددوا العهد معه في ذكـــري ميلاده : أبناء ، وآباء ، وأزواجا ، وسادة ، فتسعد بهم الحياة ، ويهنأ بهم العيش ، وتتصل بهم شمائل النبوة ، وتحيا فيهم وبهم أمجاد هذا النبي العظيم .. وسلام عليه في الأولين والآخرين .

أبعاد معجزة

الإسراء والمعراج

للدكتور /

محمد رواس قلعه جي

عندما نذكر كلمة « الاسراء والمعراج » نعود بالذكرى إلى تلك الحادثة التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل عليه السلام ليلا فانطلق به — أسري به — من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من هناك إلى السموات العلا ، فرأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد به إلى بيت المقدس ، ومنه إلى مكة المكرمة في الليلة نفسها ، وما كاد فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرد .

الاسراء والمعراج معجزة :

ان الذي ننطلق منه في الحديث عن ابعاد حادثة الاسراء والمعراج هو أن حادثة الاسراء والمعراج « معجزة » وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما نقول « معجزة » فانما نعني بذلك تعطل القوانين الكونية ، ولذلك لا نقبل السؤال كيف استطاع رسول الله أن يقطع تلك المسافة الشاسعة بين مكة وبيت القدس في دقائق ؟ وكيف احتمل جسمه الشريف عندما انطلق بهذه السرعة المذهلة الحرارة المتولدة من احتكاك جسمه الشريف بالهواء ؟ وكيف استطاع النفاذ من الجاذبية الأرضية والعروج الى السماء ؟

وكيف عاش بلاهواء بعد تجاوزه غلاف الهواء المحيط بالأرض ؟ كيف تم ذلك كله ورسول الله قطع هذه الرحلة بلا أجهزة واقية ، ولا معدات مساعدة لأن هذه الاسئلة كلها ترد لو أن الأمر قد تم على سنن القوانين الكونية ، اما وأنه قد تم خارج أطر هذه القوانين ، بقدرة القادر على كل شيء ، فان هذه الاسئلة كلها لا تلبث أن تذوب في غمرة الايمان بالله القادر على كل شيء .

وطالما أن المعجزة خروج على القانون الكوني وتعطيل له ، فان هذا لا يتأتى لنبي ولا لغيره من المخلوقات ، وانما هو لمن وضع تلك القوانين جل شأنه ، فالنبي لا يصنع المعجزات ، ولكن الله هو الذي يجريها على يديه ، وشتان ما بينهما .

وقد بين الله جل جلاله هذه الحقيقة في كتابه الكريم في الحوار الذي سجله القرآن الكريم بين المشركين من جهة ورسل الله تعالى من جهة أخرى .

قال المشركون للرسل (**إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين**) ابراهيم / ١٠ – أي معجزة ظاهرة –

فأجابهم رسل الله تعالى : (**إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله**) ابراهيم / ١١ .

وبذلك تقرر نهائيا ان المعجزة ليست من صنع الرسل ، ولكنها من صنع الله عز وجل .

أنواع المعجزات :

ونحن لو استقرأنا المعجزات التي اجراها الله تعالى على أيدي رسله الكرام لأمكننا تصنيفها إلى صنفين .

الأول : المعجزات المادية وهي المعجزات المرئية أو الملموسة كانشقاق القمر ، ونبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورده العين المقلوعة سليمة ونحو ذلك ، وهذا النوع من المعجزات يحدث وينقضي ، فلا تتجاوز آثاره الزمن الذي حدثت فيه ، ولا تبقى بقاء الأيام .

الثاني : المعجزات المعنوية : وهي المعجزات التي لا تقع تحت بصر الانسان أو لمسه ، ولكن يتم إخبار الرسول بها .

ويأتي القرآن الكريم في قمة المعجزات المعنوية فهو أعظمها اثرا ، وهو المعجزة الباقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يتلوها معجزة الاسراء والمعراج التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدوثها ، وقد كان لها أثر كبير في رسم البرنامج الجديد للحياة الانسانية المستقبلة .

هدف المعجزة

كل معجزة تحدث لنبي لا بد وأن يكون لها هدفان : **هدف عام • وهدف خاص .**

اما الهدف العام : فهو اقامة الدليل على ان الرسول الذي ظهرت على يديه المعجزة صادق فيما يدعيه ، ويدعو إليه ، وبذلك تكون المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني .

وأما **الهدف الخاص** : فيتمثل في الأثر الذي تتركه هذه المعجزة ، وبقدر ما يعظم الأثر بقدر ما تعظم تلك المعجزة .

وقد سبق أن ذكرنا اننا لو رجعنا إلى المعجزات التي أمد الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم لوجدنا ان أعظمها اثرا « القرآن الكريم » ثم يتلوه « الاسراء والمعراج » فمعجزة الاسراء والمعراج تأتي في ترتيب المعجزات – في نظري – بعد القرآن الكريم . فما هي أبعاد معجزة الاسراء والمعراج ؟

نستطيع أن نقول – وباصرار – ان حادثة الاسراء والمعراج حادثة مبرمجة ، اعنى انها داخلة ضمن برنامج خاص احكمه رب العزة جل وعلا ، يكشف هذا البرنامج من درس بامعان سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ونحن سنكشف لك – ايها القارىء الكريم – جانبا من هذا البرنامج بما يتناسب والمقام .

الابعاد السياسية لمعجزة الاسراء والمعراج

اجمع كتاب السيرة من محدثين ومؤرخين على أنه قد أسرى برسول الله من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، ومنه عرج به الى السماوات العلا . كما أجمعوا على انه عليه الصلاة والسلام قد تقدم فصلى بالأنبياء إماما في بيت المقدس ، والانبياء مؤتمون خلفه ، يصلون بصلاته ، عليه أفضل صلاة وسلام .

وان الكثير من المسلمين من يمر بهاتين الحادثتين مر الكرام ، لا يلقي اليهما بالا ، مع انهما تحملان ابعادا سياسية معينة هي على غاية من الأهمية :

١ – ان قيادة العالم حتى حادثة الاسراء والمعراج كانت بيد بني إسرائيل ، لأن البقية الباقية من الأديان السماوية – وهي اليهودية والنصرانية – هي ديانات اسرائيلية ، ولكن الناس الذين حملوا هذه الديانات لم يعودوا أهلا للقيادة ، لعبثهم بالمبادىء وبيعهم إياها بثمن بخس وعرض زائل ، حيث حرفوا الأديان وشوهوا معالمها ، فلا المبادىء بقيت صالحة لقيادة العالم ، ولا حاملو المبادىء بأهل لهذه القيادة لذلك كان لا بد من انتزاع عصا القيادة من أيديهم وتسليمها لقوم آخرين يختارهم الله تعالى لحمل الأمانة .

وكانت هذه النقطة – نقطة الاتفاق على المبادىء الحاكمة ، ونوعية الرجال الحاكمين – نقطة اساسية لا بد من الاتفاق عليها قبل البدء بتأسيس الدولة الاسلامية التي وضع رسول الله حجر الاساس في إقامة أركانها بعد الهجرة الى المدينة المنورة ومن هنا كان توقيت معجزة الاسراء والمعراج توقيتا مختارا ضمن برنامج إقامة الدولة الاسلامية ، فكان الاسراء والمعراج قبل الهجرة بقرابة عام .

٢ – وتقدم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وصلاته بالأنبياء إماما هو تحول سياسي جذري ،

نزعت به القيادة من أيدي بني اسرائيل ، وأسلمت الى الأمة الاسلامية وابطل به العمل بقيم محرفة مهترئة لتحل محلها قيم اخرى جديدة عادلة متطورة ، تلك هي « القيم الاسلامية »

وهذا التحول هو تحول شرعي باركه ممثلو الأمم وعقلاؤهم المعصومون ــ الانبياء ــ ولهذا فان كل اعتراض عليه يعتبر اعتراضا غير مشروع ، وكل مقاومة له تعتبر مقاومة مرذولة تريد أن تنصر الباطل وتطفىء نور الحق ، ومقاومة هذا شأنها لا بد وأن تنال ما تستحق ،

كانت هذه الأرضية الفلسفية السياسية لا بد منها ، لأنها المبرر الأقوى لتصفية رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع حركات المقاومة التي ظهرت في وجه الدولة الاسلامية . وانتشار مبادئها التي قامت من أجلها . واخص منها بالذكر المقاومة اليهودية في المدينة المنورة وما يحيط بها ، فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم برنامجا دقيقا لتصفيتها ! فكان عليه الصلاة والسلام بدءا من العام الثالث للهجرة يصفي في كل عام حيا من أحياء اليهود حتى تخلص من مقاومتهم تخلصا نهائيا .

٣ ــ ان صلاة رسول الله بالأنبياء إماما لتكشف لنا عن مدى اصالة وحدة القيادة في الشريعة الاسلامية ، وللدولة الاسلامية بشكل خاص ، وانه لا يجوز التخلي عنها لأنها تشكل جزءا من العقيدة الاسلامية وقد افصح عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » رواه مسلم .

٤ ــ وان اسراء رسول الله إلى بيت المقدس ، وعروجه منه إلى السماوات ، وصلاته في بيت المقدس اماما بالأنبياء » يعني « ان الله تعالى قد جعل بيت المقدس جزءا من أراضي الدولة الاسلامية ، وقد سلم الانبياء بهذا وباركوه بائتمامهم برسول الله ، ولو لم يكن الأمر على هذا النحو لما صلى رسول الله في تلك البقعة ولما صار إماما للانبياء لأنه ــ طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ــ صاحب الملك أحق بالأمامة من غيره ، فتقدم رسول الله اماما للانبياء في بيت المقدس دليل على انه صاحب الحق في بيت المقدس دون غيره ، وان أمته صاحبة الحق ، دون غيرها من الأمم الاخرى .

ومن أحكام شريعة الاسلام أيضا النهي عن الصلاة في أرض الغير إلا باذنه ، ولم يثبت ان رسول الله استأذن احدا للصلاة في بيت المقدس ، فصلاة رسول الله في بيت المقدس دون استئذان ليدل على انه يصلي في داره ، اعني ان بيت المقدس من ممتلكات الدولة الاسلامية .

٥ ــ لقد حدث بعد تحديث رسول الله بمعجزة الاسراء والمعراج ، ان ازداد بها بعض المؤمنين ايمانا ، ثقة منهم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزعزعت قلوب البعض الآخر ، بينما لوى المنافقون ألسنتهم

بالحادثة ، وأخذوا ينالون من رسول الله ويهزأون به .
وكان هذا ضروريا ـ من الناحية السياسية ـ قبل الدخول في المرحلة الجديدة ، الخطيرة في تحديد مصير الدعوة الاسلامية ، وهي مرحلة تأسيس الدولة الاسلامية ، ان كشف العناصر على حقيقتها قبل الاقدام على تأسيس الدولة الاسلامية بعام على الأقل كان لا بد وان يحصل ، ليعلم رسول الله ، وليعلم المؤمنون مدى اهلية كل فرد في دولة الاسلام على تحمل الاعباء في هذه الدولة التي هي بحاجة الى الكثير من الاخلاص ، وإلى الكثير من العمل ، فلا توكل مهمة من الدرجة الأولى الى انسان من الدرجة الثالثة ، ولا توكل مهمة لانسان لا يحمل الاخلاص للدعوة ولا للداعي ، وبالتالي لا يحمل الاخلاص للدولة ولا لمبادئها . وهذه سياسة يتبعها القادة السياسيون اليوم . اذ انهم قبل اقدامهم على اي تحول سياسي يمنحون الحريات للناس ، ويطلقون الألسنة من عقالها ، لكشف العناصر . وتحديد الموالي لهم والمناوىء ، ثم يشرعون في التحويل الذي عزموا عليه ، معتمدين على الموالين ، ومكبلين المناوئين ، وان المراقب للتاريخ السياسي المعاصر يستجلي ذلك بوضوح .

الأبعاد الاجتماعية لمعجزة الاسراء والمعراج :

ان صلاة رسول الله بالأنبياء على اختلاف قومياتهم وألوانهم يعني ان الدولة الاسلامية تظل بمبادئها جميع المؤمنين فلا تفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربي وعجمي تذوب القوميات وتنصهر في بوتقة الايمان ثم تسكب في قوالب الامتثال لشريعة الله عز وجل .
وان فرصة التفوق والتسامي متاحة في هذه الدولة للجميع على قدر متساو وان ابواب الدولة مفتحة للارتقاء بمن يظهرون التفوق ، كما ان الفرصة متاحة لجميع المصلين على قدر متساو للتسامي ، وان ابواب السماء مفتحة لاستقبال اعمال المتسامين ، يتقربون بها إلى الله تعالى .

وبذلك تكون معجزة الاسراء قد وضعت أساسا جديدا لبنية المجتمع المزمع انشاؤه في ظل مبادىء الاسلام .

الأبعاد الروحية لمعجزة الاسراء والمعراج :

لا بد لنا من ان نذكر ان معجزة الاسراء والمعراج قد حدثت على اعقاب سلسلة من المآسي حلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها موت زوجه خديجة التي كانت تقوي فيه روح التصميم للمضي في طريق الله ، وموت عمه ابي طالب الذي كان يذب عنه اذى قريش واشتداد اذى المشركين عليه بعد ذلك ، حتى سمى ذلك العام بعام الحزن .
وكأن الله تعالى أراد أن يسلي رسوله وحبيبه محمدا . فكانت هذه الرحلة

المباركة ، التي استقبله فيها رسل الله في السماوات ، ثم دنا فتدلي فكان قاب قوسين او أدنى .

وكأن الله تعالى يقول لحبيبه محمد يا محمد إن كان أهل الأرض قد جهلوا قدرك ، فان قدرك عند الله عظيم ، وإن كان أهل الأرض قد ناصبوك العداء فان اهل السماء يرحبون بك ، وان كان اهل الأرض لم يرضوا بك قائدا رائدا فان أهل السماء رضوا بك اماما مباركا ، وان الأرض ان ضاقت بك ، فان السماء تفتح صدرها لاستقبالك .

روح جديدة سرت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ان عاد من هذه الرحلة حتى أخذ يحدث الناس بما رأى وما سمع ، وينشط لما اناطه الله به من مهمات ، لا تزيده الأيام الا قوة ومضاء ، وكان في افتراض الصلاة في السماء من المعاني الروحية ما يجعل الانسان متساميا عن المادة ، ساعيا ما استطاع الى القرب من الله ، لأن الصلاة فرضت في الأعالي .

الأبعاد الدعوية لمعجزة الاسراء والمعراج

١ ــ لقد ذكرنا ان معجزة الاسراء والمعراج قد كشفت المنافقين وضعاف الايمان ، وقلنا ان ذلك كان ضروريا قبل الشروع في المرحلة الجديدة ، مرحلة تأسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة .

ونقول هنا : ان ذلك كان ضروريا ايضا لتعهد ضعاف الايمان بالرعاية حتى يقوى ايمانهم ، ويصبحوا على مستوى مسؤولياتهم ، لان المرحلة الجديدة تحتاج الى جميع العناصر المؤمنة بغير استثناء ولذلك لم يكن يقبل من المؤمن ايمانه حتى يهاجر الى المدينة المنورة ــ الا المستضعفين ــ للمشاركة في بناء صرح المرحلة الجديدة ــ وهي اقامة الدولة الاسلامية .

وللاعراض عن ارجاف المرجفين من المنافقين الذين يحاولون التشويه او النيل من المرحلة الجديدة .

٢ ــ ثم ان حادثة الاسراء والمعراج اوجدت في مكة المكرمة هزة ، اوجدت نشاطا مفاجئا غير عادي ، ما بين متحدث بها ومنكر لها ، ومؤيد ، وشاك .. الكل يتحدث عن محمد وما جرى لمحمد ، والحديث يجر بعضه بعضا ، ولا بد من ان يستتبع الكلام عن القيم التي اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ومثل هذه النشاطات ضرورية جدا في حركية الدعوات ، لانها تجدد النشاط لدى الدعاة ، وتكشف الفكر المعادي ، وتكون نافذة لاسماع الدعاة أصواتهم لمن لا يسمعها لأنها تفتح مجالا للنقاش مع أناس كانوا يرفضون النقاش .

خاتمة

واليوم تمر بنا ذكرى الاسراء والمعراج ، ويحتفل بها المسلمون في أقطارهم وكل نقطة دم في عروقهم تنادي بهم عودوا الى معجزة الاسراء والمعراج واستلهموا منها الدرس ، وصححوا على نهجها المسيرة ، فانها من تدبير العليم الحكيم .



إن لله سبحانه وتعالى على عباده نعما كثيرة ، لا يحصيها عد . تطالع الناس في الصباح وفي المساء وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، منها المنظور والمستور والمعلوم والمجهول .

ومن هذه النعم التي لا تحصى ، نعمة تفضل الله على عباده ، ببعث رسول منهم في العالمين ، يتلو عليهم آيات الله ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة . ونعمة تكريمهم بدين الاسلام الذي ارتضاه لهم ، ونعمة القرآن الكريم الذي جعله هاديا وموجها .

ومما لا ريب فيه أن هذا النبراس الهادي جاء به رب العزة ليقوم اعوجاج المجتمعات الانسانية ، وينظم علاقات الامم والخلائق ، ويربط بين الافراد والجماعات برباط الصلاح والتقوى .

ومن هذه النعم التي افاضها الحق على عباده ، نعمة الحياة والايجاد ، ونعمة الخلق والامداد والاعداد ، مما غدا به الانسان اعظم آية من آيات الله في خلقه وأصبح يشكل أروع آية للدلالة على وجود الخالق ، وضرورة الايمان به .

ومن هذا المنطلق كانت العبادة لله عز وجل اعترافا بفضله ، وحتمية لاستشعار عظمته ، وتعميقا للخضوع له ، والخشية منه ، وتأكيداً لباب الحب فيه ، والولاء له ..



تلك هي العبادة الواجبة لله ، والتي لا يجد الانسان العاقل كيانه الا فيها ، ولا امتداده الا بها وفي ظلها ، ولا وجوده الا في الالتزام بها قولا وعملا ، وأمرا ونهيا ، وخلقا وسلوكا وواقعا وتطبيقا ، وحركة وسكونا بحيث تصبح العبادة في حياته أسلوب عمل ، ومنهاج حياة .

ويقيني أن الفرائض التي فرضها الله على عباده جاءت من الاسلام اهتماما بالانسان حتى يتمكن من أداء رسالته في الحياة ، فيغدو لوجه الله تابعا ، ولمنهجه ملتزما . والا كان أمر الانسان فرطا ، يصبح ويمسي فاذا هو أحد هوام الخلق ودوابه أو أقل شأنا . فما أسقط المخلوق صلته بالخالق الا وأسقط الخالق صلته به في الأولى والآخرة . قال تعالى : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)** ١٧٩ الاعراف

وحسب المسلم ان يعلم أن الله سبحانه وتعالى أمره بالعبادة لمصلحة المسلم نفسه ، ولما يعالج حاله ، ويعود عليه بالنفع العميم الشامل لكل حياته المادية والروحية ، الفردية والاجتماعية ، ليظل الانسان إنسانا ، آخذاً في سبيل الترقي والكمال .

والعبادة حق لله على عباده ما خلقهم إلا لها ، ولا يرضى عنهم إلا

بها ، وبهذا كانت العبادة تربية عملية للضمير والوجدان .

والعبادات في الاسلام تتميز بالشمول والاستغراق . بحيث تشمل حياة المسلم وتستغرق نشاطه كله ، فيصبح المسلم ويمسي وللعبادة أثرها في حياته وتكوينه وفي ذاته وأخلاقه وسلوكه .

قال تعالى : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/٥٦ ــ ٥٨

فهذه الآية الكريمة .. تحدد غاية الخلق .. كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والانس . والتي هي وجوب عبادة الله وحده لا شريك له وافراده بتلك العبادة .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

وأصل العبادة : التذلل والخضوع .. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى والعبادة في اللغة . من الذلة .. يقال طريق معبد . أي مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف .

وقوله عز وجل :(**اعبدوا ربكم**) البقرة/٢١ أي اطيعوا ربكم ..
والمتعبد : المنفرد بالعبادة ..
والمعبد : المكرم المعظم كأنه يعبد وتدل الأساليب الصحيحة ، والاستعمال العربي الصريح ، على أن العبادة ضرب من الخضوع ، بالغ حد النهاية .. ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ! وقصارى ما يعرفه منها : إنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه ..

وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان .. شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور ، بالسلطان الالهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها .. ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ..

والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التعظيم والخضوع . وأصل العبادة : غاية التذلل .. وهو أقصى غايات الخضوع ..

والعبودية أدنى منها ..وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده . ولا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ..

والعبادة بهذا المفهوم .. لا تكون إلا لله وحده ، وليس لأحد سواه قال تعالى : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) الانبياء/٩٢

والمقصود .. هو عبادة الله وحده لا شريك له ..

فالدين كله داخل في معنى العبادة .. إذ هو يتضمن معناها .. فدين الله . عبادته ، وطاعته ، والخضوع له ..

وكلام المفسرين يفيد صراحة أن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب أيضا .. إذ هي

تتضمن غاية الذل بغاية المحبة لله سبحانه وتعالى . فالخضوع مع البغض ليس عبادة ، والحب بدون الخضوع ليس عبادة .. وبهذا تكون العبادة كمال التعظيم والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة له .. وبدون الأمرين لا يتحقق للعبادة معنى .

وبالعبادة يقف الانسان من ربه على مكانته ، وفي الكون على مركزه ، وفي المجتمع على موقعه ، متفاعلا مع هذه المجالات بالتنمية والاثراء والأخذ والعطاء .

ولذا نجد أن الله تبارك وتعالى ، يصف العلاقة بينه وبين المؤمنين وصفاً صريحاً جلياً .. فيقول جل شأنه : **(والذين آمنوا أشد حباً لله)** البقرة/١٦٥

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلهها ومعبودها .. ووليها ومولاها .. وربها ومدبرها .. ورازقها ومميتها ومحييها ..

فمحبته نعيم النفوس ، وحياة الأرواح ، وسرور النفوس ، وقوت القلوب ، ونور العقول ، وقرة العيون ، وعمارة الباطن ، فليس عند القلوب السليمة ، والأرواح الطيبة والعقول الزاكية ، أحلى ، ولا ألذ ، ولا أطيب ، ولا أسر ، ولا أنعم من محبته والانس به ، والشوق اليه ..

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم .. تذكر الناس بالعبادة لله ، موضحة لهم نعم الله عليهم .

قال تعالى : **(يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)** البقرة/٢١ ، ٢٢

وقال تعالى : **(ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)** يس/٦٠ ، ٦١

ومن هنا كان النداء في كل رسالة .. هو العبادة ، وتذكير الناس بهذه الحقيقة ، وازالة ما تراكم على معدن الفطرة السليمة من ضلال الوثنية وغبار الغفلة ، وترهات الملاحدة ..

قال تعالى : **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** النحل/٣٦

فالله سبحانه وتعالى .. لم يخلق الناس عبثاً ، ولا لعباً .. وانما خلقهم لهذه الغاية .. ولو أدرك الناس حقيقة هذه الغاية ، لحققوا الخلافة في الارض ..

فالله تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له .. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء .. والله غير محتاج إلى العباد .. بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم .

والعبادة في الاسلام .. هي المظهر الايجابي ، والتجسيد العملي والبرهان الصادق .. للعقيدة التي جاء بها الاسلام .

ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة .. لكانت عقيدة عقيما ، لا دليل عليها ولا أثر لها .. كحبة مستقرة في باطن التربة .. لا تنبت .. ولا تزهر .. ولا تثمر .. ما قيمتها ؟ وما أثرها ؟

كذلك العقيدة من غير عبادة .. تظل مجرد نظرية .. حتى تترجمها العبادة وتحولها الى عمل نابض ، وجهاد صادق في الحياة .. ثم تستمد منها غذاءها وضياءها ..فلا تذبل .. أو تذوي .. أو تضمحل ..

وانما تظل بفضل العقيدة متقدة الشعلة ، متألقة الضياء ... وهكذا نرى العقيدة .. تمد العبادة بالقوة والفاعلية .. كأنما هي الزيت المقدس .. الذي لا يجف ولا ينفد ..

وهكذا تعكس العقيدة وجودها على العبادة قوة أو ضعفاً ، وتكون لها حافزا إيجابيا .. يضمن استمرارها ، ويحرسها من كل غش وخداع .. حتى تؤدي خالصة لوجه الله ..

ومن هنا كانت العقيدة .. هي المنبع الذي يسري في كيان المؤمن ويجوس خلال نفسه ، ويتحكم في وساوسه وحسه ، ويفيض على روحه الرضا والأمن ، وعلى نفسه السكينة والأمل .

وللعبادة في الاسلام شأن كبير يبدو جليا واضحا فيما ينعكس من أثار العبادة على حنايا النفس والقلب والعقل والفكر عمقاً وبعداً ، آخذاً امتداده على صفحة الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله . وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو المشرق إلا كان صاحبها مشعل إشعاع ، ومركز خير ، وموئل عز ، وما نشأ مجتمع على هذا النحو الا استوى أمره ، واستقام حاله .

والعبادة في الاسلام .. تؤكد إقرار المرء إقرارا كاملا بقلبه وجوارحه ، وخضوعه خضوعا مطلقاً ، يطغى ، على كل خضوع ، لله الخالق الباقي من وراء كل وجود زائل .

ويقوم التصور الاسلامي ، على أن هناك ألوهية وعبودية .. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه .. وعبودية يشترك فيها كل من عداه ، وكل ما عداه ..

وكما يتفرد الله سبحانه بالألوهية ..

كذلك يتفرد تبعا لذلك بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي وكل شيء بعد ذلك في العبودية ، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء ، من خصائص الألوهية ..

فهناك اذن وجودان متميزان : وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين . هي علاقة الخالق بالخلق والاله بالعبيد .

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان في هذا الكون .. ليعبث ، أو يلهو أو يلعب ، أو ليتمرد على الانسانية .. ولم يخلق الله الانسان ليطغي ويتمرغ في وحل الالحاد .. ولم يخلق الله الانسان ليعيش في أحضان الجهل والتبعية العمياء .

قال تعالى : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون**) المؤمنون/١١٥

وقال تعالى : (**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) الملك/١ ، ٢

فالانسان خلقه الله وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والفهم والتفكير والعمل .. ليكون خليفة في الأرض .. والخلافة في الأرض .. ليست مجرد الملك والرياسة والقهر والغلبة .. وليست البطش بالأبرياء والزج بهم في المعتقلات وسجون التعذيب .. وليست سفكا للدماء ، وقطعا لرؤس المؤمنين .. ولا هي كذلك دعوة الى الالحاد وعبادة الطواغيت .

ولا هي التسلط على الناس والتحكم فيهم بغير ما انزل الله .

اذن هي القيام بمسئولية التكليف . والتكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء .. وهي أداء رسالة الاسلام ، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للانسانية .

قال تعالى :(**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الانعام/١٥٣

والخلافة في الاسلام حقيقة ضخمة ، تستغرق النشاط الانساني كله .. وتوجه النشاط الانساني كله ..

فهي قدرة على التفوق العلمي .. وقدرة على مواجهة التحديات الشركية .

وقدرة على الصمود أمام الأحداث .. وقدرة على محاربة الميوعة والانحلال .. وقدرة على تحقيق الطمأنينة والأمن ، والعدل ، والخير ، والسلام ..

وإن النظرة القرآنية تجعل هذا الانسان بخلافتة في الارض عاملا مهما في نظام الكون ، ملحوظا في هذا النظام . فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ، ومع الرياح ، ومع الأمطار ، ومع الشموس والكواكب وكلها ملحوظ في تصميمها امكان قيام الحياة على الأرض ، وامكان قيام هذا الانسان بالخلافة . فاين هذا المكان الملحوظ ، من ذلك الدور الذليل الذي تخصصه له المذاهب المادية ولا تسمح له أن يتعداه .

والانسان اعز واكرم واغلى من كل شيء مادي ، ومن كل قيمة مادية في هذه الارض جميعا . ولا يجوز اذن ان يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية ، أو شيء مادي . ولا يجوز أن يعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة . ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق اي كسب مادي ، أو إنتاج أي شيء مادي ، أو تكثير أي عنصر مادي ..

فهذه الماديات كلها مصنوعة من اجله . من أجل تحقيق انسانيته من أجل تقرير وجوده الانساني .. فلا يجوز أن يكون ثمنها هو سلب قيمة

من قيمه الانسانية ، او نقص مقوم من مقومات كرامته ..

والانسان أكرمه الله بالعبادة ، وأمره بها ، ليكون صالحا ، مصلحا ، قال تعالى : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)** الانعام/١٦٢ ، ١٦٣

واذا كانت العبادة غاية الوجود الانساني . كما هي غاية كل وجود . فان مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذي يرد إلى الذهن ، والذي يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التي يؤديها المؤمن ، إن حقيقة العبادة تبدو في معنيين .. أولهما عام . والاخر خاص ..

أما العبادة بالمعنى العام .. فانها تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله . فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى ، والقيام بأداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى باصلاح الأرض ومنع الفساد فيها ، يعد عبادة وهكذا تتحول أعمال الانسان مهما حققت له من نفع دنيوي إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله .

فالعبادة .. ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم ، حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ، ونشاط ، وحركة ، وبناء .

عبادة تستغرق نشاط المسلم .. بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع الناس ..

وبهذا الاستغراق ، وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة في الأرض ، في قوله تعالى : **(واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ..)** البقرة/٣٠

لأن الخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن الانساني .. وهي تقضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها ، وترقية الحياة فيها .. كما تقضي الخلافة القيام على شريعة الله في الارض ، لتحقيق المنهج الالهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام ..

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الانساني ، أو التي هي وظيفة الانسان الأولى .. أوسع وأشمل من مجرد الشعائر . وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً ..

وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين :

الاول : هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً ورباً .. عبداً يعبد .. وربا يعبد .. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك الا هذا الوضع ، وهذا الاعتبار . ليس في هذا الوجود الا عابد ومعبود . والا رب واحد ، والكل له عبيد ..

الثاني : هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في

الجوارح ، وكل حركة في الحياة .. التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله ..

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ..

قال تعالى :(**إياك نعبد وإياك نستعين**) الفاتحة/٥ والعبادة هي العبودية المطلقة ، معنى وحقيقة .. وكلما يأتي به المسلم في طاعة الله فهو عبادة لذا كانت جملة (**اياك نعبد ..**) كلية اعتقادية .. فلا عبادة إلا لله . ولا استعانة إلا بالله .

وفي هذا مفرق طريق .. « مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد .

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل .. التحرر من عبودية الأوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع .. واذا كان الله وحده هو الذي يعبد ، والله وحده هو الذي يستعان ، فقد تخلص العبد من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص . كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات .

أما العبادة بالمعنى الخاص : فهي إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .. وهي نوع من التربية على العبادة الكاملة الحقة .

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب في الانسانية ، وتفي بكل الحاجات وتصحح كل الاتجاهات .

ومن وراء كل ذلك .. نجد أن العبادات في الاسلام تدعو إلى الوحدة والجماعة ، وهي أساس لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الأساسية في الحياة . بل ووحدة القيم ، والمقاييس الخلقية ، والنظر إلى الخير والشر ، والفضائل والرذائل .. وقواعد السلوك .

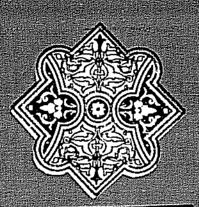
والعبادات في الاسلام تنتهي إلى نتيجتين .

اولاهما : الاتجاه الى تربية الوجدان الديني الذي يجعل المؤمن بالاسلام مؤتلفا مع غيره ، ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع انساني متواد متحاب .

والثانية : ان غاية العبادات في الاسلام ليست مجرد التقوى السلبية ، لانها تتجه الى النفع الانساني العام ، والى إيجاد مجتمع متحاب ، غير متباغض ولا متنازع .. فعلاقة الاخلاص لله فيها أن تكون مطهرة للقلب . قاضية على الشر فيه مؤلفة بينه وبين الناس من غير مراءاة ولا مغالاة .

ويوم أن يدرك المسلمون حقيقة العبادة في الاسلام .. ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الاسلام هو المنهج الامثل .. ويوم ان تكون الفرائض الاسلامية عملا بناء .. لا حركات تؤدي .. ويوم أن تكون « **لا اله الا الله** » المنطلق الوحيد للمسلمين .. يومها وبكل تأكيد سوف يتحقق للمسلمين باذن الله تعالى نجاح رائع في كل نواحي الحياة ..

والله ولي التوفيق ..



رواية شهيرة للإسراء والمعراج



بين الوهم والحقيقة

— ١ —

حين يهل علينا شهر رجب من كل عام ، ويحتفل المسلمون فيه بحادثتي الاسراء والمعراج ، ويتبارى الخطباء والكتاب في بيان حقيقتهما ، وما تشيران اليه من عبر وعظات فاننا نصدم — حقيقة — ونحن نستمع من بعض هؤلاء وهؤلاء ، حين يعرضون لبعض التفصيلات المتعلقة بهاتين المعجزتين الكبيرتين حيث تختلط في خطبهم وأحاديثهم الحقيقة بالخيال ، ويلتبس الوهم بالواقع ، وحيث تتصادم بعض تلك التفصيلات مع مسبقات معلومة لدينا في الدين ، لا يكاد يختلف عليها اثنان ، فما مرجع ذلك ؟ وكيف يمكن التصدي لكل الافكار المشوشة التي يطغى الخيال فيها على الحقيقة ، والوهم على الواقع ؟

لا أكون مبالغا اذا قلت ان شركة الشمرلي بالقاهرة مسئولة مسئولية كبرى أمام الله لترويجها لحديث الاسراء والمعراج ، تلك الرواية الشهيرة التي تنسب في غير حياء أو خجل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والتي يبرأ الله ورسوله منها ، ويبرأ منها ابن عباس ولا يقبلها كذلك كل مؤمن صادق الايمان والعقيدة ، ولا أدري كيف يغض مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الطرف عن تلك الرواية ؟ وكيف يسمح للقائمين على أمر تلك الشركة أن يعيدوا طبع هذا الحديث المكذوب عشرات المرات ، بهدف الكسب المادي ، في الوقت الذي تهدر فيه قيمة هاتين

المعجزتين الهائلتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ولا أدري كيف يسوغ بعض الخطباء والكتاب لانفسهم أن يعتمدوا الكثير من نصوص تلك الرواية المكذوبة مع عدها الاصل الذي تتفرع عنه كل الروايات ، وكثير من هؤلاء المتحدثين يثق الناس بأمانتهم وورعهم ، ومن أجل هذا يصبح كل قول يصدر عنهم موضع ثقة واحترام الكثيرين ، كيف نستعين بنصوص تلك الرواية المكذوبة حين نخاطب بها المسلمين في ذكرى الاسراء والمعراج ، في الوقت الذي ينكر فيه الكثيرون تلك التفصيلات التي نعني انفسنا مشقة البحث عنها ، ولا نعنيها بشيء مما يتصل بالاهداف والغايات التي كان من أجلها وقوع الاسراء والمعراج لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !!

لعله يغيب عن أذهان بعض المتحدثين والكاتبين ـ والكثيرون منهم ممن نجلهم ونحترمهم ـ أن قصة الاسراء والمعراج قد صيغت صياغة خيالية وأسطورية أيضا في بعض حقب التاريخ الاسلامي ، ولا يعنينا أن نبحث عن غاية تلك الصياغة وأهدافها ، وانما الذي يعنينا فقط هو التنبيه لخطرها حين يتلقى المسلمون أحداثها على أنها حقائق لا يملك أحد أن يمارى فيها ، أو يعترض عليها ، وأن وقوعها لرسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر لا سبيل الى الشك فيه .

ــ ٢ ــ

هناك مستشرق أسباني كبير يدعى آسين بالاثيوس (١٨٧١ ـ ١٩٤٤ م) وكان عضوا بمجمع اللغة الاسبانية كانت له منذ ستين عاما محاولات أراد بها الكشف عن الاصول الاسلامية لـ « الكوميديا الالهية » لدانتي الايطالي ، ثم كشف الدكتور صلاح فضل أخيرا عن بعض أوجه القصور في محاولات هذا المستشرق ، وذلك في دراسة له بعنوان « تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي » .

وهذا الاصل الذي تأثر به دانتي في كوميديته ينهض على عمل أدبي أعاد به صاحبه قصة الاسراء والمعراج في صياغة أدبية جديدة تنهض على الخيال بصفة عامة ، وبخاصة فيما يتصل بالمعراج ، ولهذا لا نستبعد أبدا أن تكون تلك الصياغة التي ظهرت في الاندلس أولا قد وصلت الى الشرق الاسلامي واختلطت بالاصل الحقيقي لهذه القصة ، كما لا أستبعد أن تكون قصة الاسراء والمعراج التي تقوم على طبعها شركة الشمرلي في القاهرة قد اختلط فيها الخيال بالحقيقة ، والوهم بالواقع ، ولعبت الاسطورة فيها دورا كبيرا ، ولذا أود أن أطرح على

القارىء بعضا من تلك الافتراءات على رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي نبرىء الرسول من الاخبار بها وابن عباس من روايتها .

وستكون مهمتنا ضرب بعض الامثلة التي تهدم هذا الحديث من أساسه ، وليس لي من هدف الا أن يقف زملاؤنا الافاضل على ما في هذا الحديث من ضعف ، في الوقت الذي لا يغيب عن أذهان الكثيرين منهم ما فيه من كذب ، وما فيه من تدليس على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلينا اذا نحن طلبنا الصواب والصدق أن نعود الى تلك القصة في مصادرها الاسلامية الصحيحة ، كي يتبين لنا الرشد من الغي ، والحق من الباطل ، وسنعمل على أن يكون القرآن الكريم رائدنا وأنيسنا في هذه الجولة التي نبتغي من ورائها الوصول الى الحق مجردا عن كل ما عداه .

ـ ٣ ـ

ولعل أبرز النقاط التي تضعف هذا الحديث ان لم تنقضه من أساسه ما نقرؤه في صفحتي ١٦ ، ٣٣ ـ في النسخة التي تحت يدي الآن ـ حيث نقرأ هذه العبارة : « قال المؤلف رحمه الله تعالى : « اذ لا يعقل أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مؤلفا ، مما يدل على أن القصة مؤلفة ، وأن نسبتها لابن عباس ليست صحيحة .

ومن الامور التي تجعلنا نتحفظ كثيرا في قبول ما ورد بهذا الحديث المزعوم من أخبار نشير الى ما يلي :

(تفيد الرواية ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كنت في بيت أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها فاختة ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة ، وكان عندها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وعمرها تسع سنين ، ولم تكن قد تزوجت بعلي رضي الله عنه لأنه تزوجها بالمدينة المنورة) ونحن نقول : هل يتصور عاقل أن يصدر مثل هذا الكلام أو الاسلوب التأليفي عن رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي قال عنه رب العزة : **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** « النجم / ٣ و ٤ » ، واذا كان من الثابت أن الرسول أخبر بما حدث له ليلة الاسراء والمعراج صبيحة وقوع هذين الحدثين الكبيرين فكيف يخبر الرسول عن فاطمة بأنها لم تكن تزوجت بعلي ، لأنه تزوجها بالمدينة ، والهجرة لم تتم ، وعلي لم يصرح أو يلمح بخطبة فاطمة ؟

وتخبرنا الرواية أن جبريل حين طرق الباب خرجت فاطمة لترى من بالباب فاذا الطارق شخص عليه من الحلي والحلل ، وله جناحان أخضران قد سد بهما المشرق والمغرب .. الخ » وتروي فاطمة أن هذا الشخص قد هالها وأفزعها ، وحين أخبرت أباها بخبره خرج فاذا به يرى جبريل .

وهذا خطأ لأن رسولنا صلى الله عليه وسلم وحده من بين سائر الانبياء والبشر الذي

اختصه الله برؤية أمين الوحي جبريل على الهيئة التي خلقه الله عليها ، وأنه لم يشاهده على تلك الهيئة سوى مرتين في حياته ، أما الاولى فدليلها قوله تعالى **(ولقد رآه بالافق المبين)** « التكوير ٢٣ » وأما الثانية فكانت ليلة الاسراء والمعراج ، ودليلها قوله تعالى : **(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى)** « النجم ١٣ و ١٤ » ، فالقول بأن فاطمة قد رأت جبريل على هيئته الحقيقية قول مرفوض ، يحمل آية من آيات الوضع في تلك الرواية .

والرواية تركز على ابراز الوسائل المادية التي انتقل بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى بيت المقدس أولا ، ثم الى السموات العلا ثانيا ، وعجيب ما ذكرته الرواية عن المعراج حيث تقرأ فيها ما نصه : « واذا بالمعراج قد نصب الى الصخرة من عنان السماء فلم أر شيئا أحسن من المعراج ، وهو مرقاة من الذهب ، ومرقاة من الفضة ، ومرقاة من الزبرجد ، ومرقاة من الياقوت الاحمر ، فضمني جبريل الى صدره ، ولفني بجناحيه ، وقبل ما بين عيني ، وقال : أرق يا محمد فصعدت أنا وجبريل » فهل يصدق عاقل أن يصدر مثل هذا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟

ان القرآن الكريم يثبت في سورة النمل ان سيدنا سليمان حين جمع اتباعه من الجن والانس ليستشيرهم في كيفية احضار عرش ملكة سبأ (بلقيس) ان عفريتا من الجن قال : **(انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وإني عليه لقوي امين)** « النمل / ٣٩ » وان الذي عنده علم من الكتاب قال : **(انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك)** « النمل / ٤٠ » وقد كان ، فلما رأى سليمان عليه السلام العرش مستقرا عنده قال : **(هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر)** « النمل / ٤٠ ».

فالعرش وهو شيء مادي قد تمكن مخلوق اتاه الله بعضا من علم الكتاب من احضاره من اليمن في اقصى الجنوب الى الشام في الشمال في وقت قياسي في اقل من طرفة عين فهل نأتي نحن لنصطنع الوسائل المادية مع الله سبحانه الذي لايعجزه شيء في الارض ولا في السماء والذي يقول للشيء كن فيكون ؟

وقد حكى القرآن ايضا في سورة الاسراء ان مشركي مكة حين تحدوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : « كما حكي عنهم رب العالمين » **(لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه)** « الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ » حين طلبوا منه ذلك قال الله له قل لهم يا محمد : **(سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)** « الاسراء / ٩٣ » . علما بانه يستحيل ان يزعم مؤمن بان الله تعالى يعجزه شيء مما طلبوا كما انه ليس في طوق بشر ان يصعد على درج يصل به الى السموات العلا ولذلك يبقى امر هام يجب التنبه اليه هو ان اصطناع الوسائل المادية في تلك الرحلة

ليس من شأننا نحن البشر بل الواجب يحتم علينا ان نؤمن بالاسراء والمعراج لورود الدليل في القرآن صريحا في الاسراء وتلميحا في المعراج ولا شأن لنا باصطناع تلك الوسائل المادية فيهما من اجل ارضاء عقولنا القاصرة التي لا تدرك من كنه صنع الله سبحانه مع نبيه في تلك الليلة المباركة الا القليل .

والرواية تحمل كثيرا من ايات الاضطراب حيث تقول حاكية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – : ثم صعد بي الى سماء الدنيا في اسرع من طرفة عين فمن الذي صعد به ؟ اذا كان جبريل فلم كان المعراج ، هذا المرقى الذي وصفه النبي لنا ، واخبرنا عن امر جبريل له بالصعود عليه ، واذا كان الذي صعد به مجهولا وذلك في حالة بناء الفعل (صعد) للمجهول فالاعتراض وارد ايضا .

ثم هل يصدق احد ان يكون النيل والفرات ، وهما من انهار الارض ، ونعلم منابعهما ومصابهما ينبعان من سماء الدنيا وان عنصرهما من الجنة حيث تحكي الرواية قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ودخلناها (السماء الدنيا) فاذا هي سماء من دخان يقال لها الرفيعة وليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك راكع او ساجد ونظرت فاذا فيها نهران عظيمان مطردان فقلت : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذا النيل وهذا الفرات ، عنصرهما اي اصلهما من الجنة ولماذا النيل والفرات وهناك على الارض عشرات الانهار التي تتدفق بالخير والنماء وكلها تظهر نعمة الله على بني الانسان والحيوان ؟؟

وهذه الرواية لا تشير الى صلاة النبي – صلى الله عليه وسلم – اماما بالانبياء في بيت المقدس وهو ما اشارت اليه بعض الروايات الاخرى ولكنها تثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى بالملائكة في سماء الدنيا ركعتين وان صلاته كانت على ملة ابراهيم الخليل وكذلك صنع في السماء الثانية .

وكيف تقول الرواية حين اشارت الى خطاب الله لنبيه وكان عليه الصلاة والسلام على بساط الانس – حاكية ان الله قال : « واعطيتك الحوض المورود ، والشفاعة الكبرى ، والدرجة الرفيعة ، وصيام رمضان ، وفيه انزل القرآن عليك » كيف تقول الرواية ذلك وصيام رمضان لم يفرض تلك الليلة وانما كانت فرضيته بعد الهجرة كما هو ثابت بالاخبار الصحاح ثم هل يجوز او يعقل ان يقول الله تعالى : « وفيه انزل القرآن عليك » وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهل الشهر الذي نزل فيه القرآن عليه او ما نزل ؟

اما الاستعانة بالاسطورة في تلك الرواية فتكمن في خبر عزرائيل حيث تزعم الرواية ان النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ثم رأيت ملكا عظيم الخلقة والمنظر قد بلغت قدماه تخوم الارض السابعة ورأسه تحت العرش وهو جالس على كرسي من نور» الى ان قال : فقلت يا اخي يا جبريل . من هذا : قال جبريل : هذا هازم اللذات ومفرق الجماعات ومرمل النساء ومفجع الاحباب ومغلق الابواب ومسود الاعتاب وخاطف الشباب هذا ملك الموت عزرائيل ».

وكذلك اخبار ملك الموت رسولنا – صلى الله عليه وسلم – حين سأله : وكيف تعرف

حضر اجل العبد ام لم يحضر ؟ قال : ما من عبد الا وله في السماء بابان : باب ينزل منه رزقه وباب يصعد اليه عمله وهذه الشجرة التي عن يساري ما عليها ورقة الا وعليها اسم واحد من بني ادم ذكورا واناثا فاذا قرب اجل الشخص اصفرت الورقة التي كتب عليها اسمه وتسقط على الباب الذي ينزل منه رزقه ويسود اسمه في اللوح فاعلم انه مقبوض .. الخ ».

وهذه الرواية ليس هناك دليل على صحتها من قرآن او سنة ولكنها خرافة او اسطورة شائعة ربما قبل ان تؤلف تلك الرواية موضوع هذا الحديث ولم اكن ادرك قول الريفيين حين يسقط من يد واحد منهم شيء فينكسر او يتلف : « سقطت ورقته » من باب الدعاء عليه نظرا لتقصيره واهماله ، لم اكن ادرك مغزى تلك المقالة حتى قرأت تلك الخرافة .

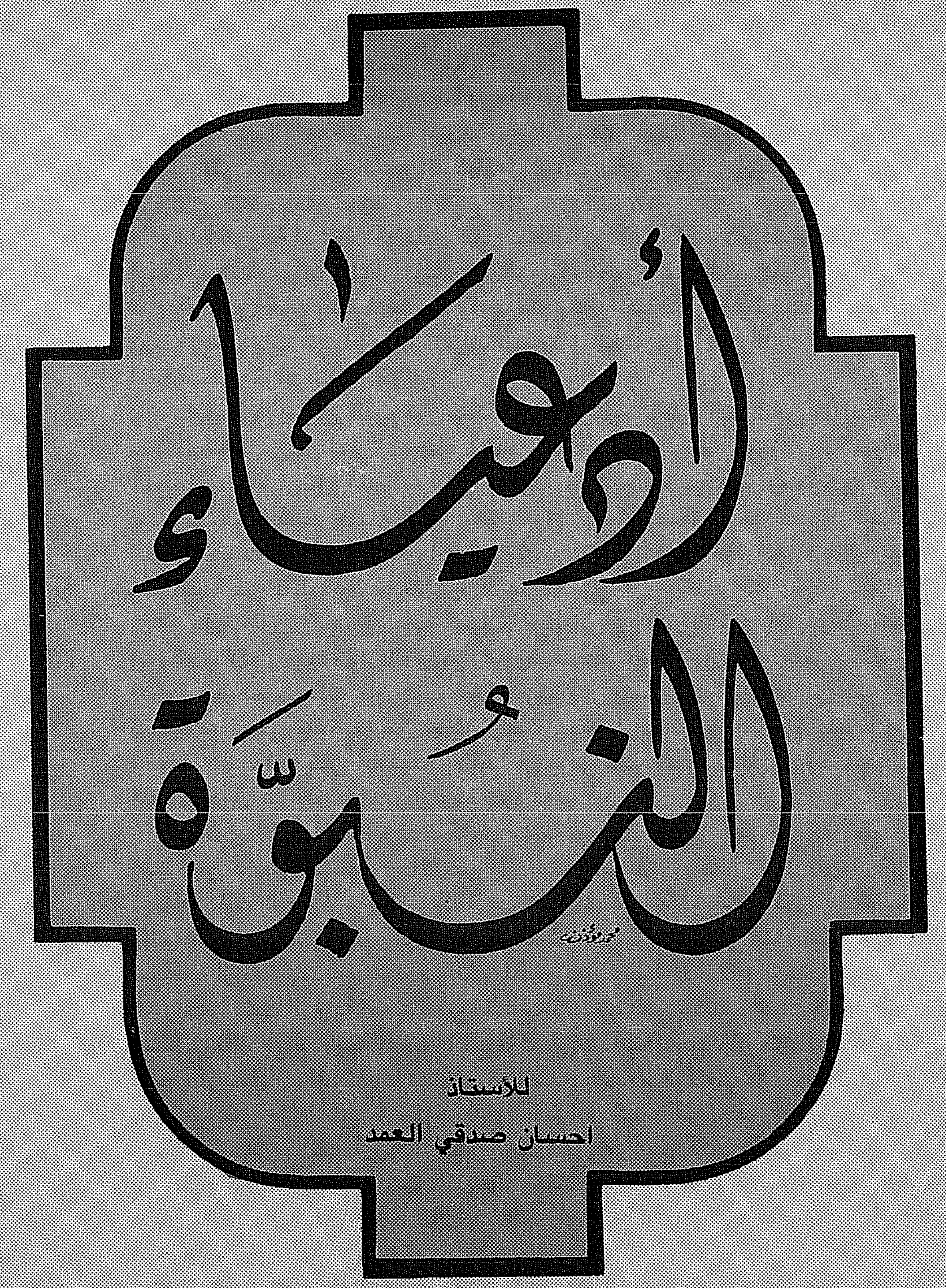
وهل يصدق انسان اليوم قول ميكائيل ــ الموكل بالقطر والنبات من الملائكة ــ حين سأله النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن حقيقة الرعد والبرق : اذا حملت السحاب الماء ارسل الله اليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضرب بسوط فيخرج منه النور وهو البرق ؟؟ هل يصدق احد ذلك وقد كشف العلم الحديث كثيرا من النظريات التي تفسر لنا بعضا من تلك المشاهد الكونية والطبيعية من حولنا ومنها ظاهرة الرعد والبرق ؟

او هل يعقل ان جبريل عليه السلام اقتلع بوحي من الله بيت المقدس بارضه وجباله وتلاله واوديته وازقته وشوارعه ومساجده وبسطه بين يدي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك حين طلب منه المشركون ان يصف لهم بيت المقدس كما رآه تحديا له وحتى ينفضوا من حوله راضين بعد ان يستبين امامهم عجزه عن وصفه . لا . فما كان الله ليعجزه ابدا ان يوفق حبيبه محمدا الى ان يصف بيت المقدس دون ان يقتلعه جبريل ويحضره له .

اننا نرى الانسان اليوم قد تمكن بواسطة جهاز (التلفاز) من ان ينقل صورا عديدة من مناطق مختلفة في الارض الى المشاهدين في كل مكان حتى ان الرائي ليشاهد تلك الصور والمرائي كما هي دون مسخ او تشويه وحتى ليستطيع المشاهد ان يتحدث عما رأى ويصف ما شاهد دون جهد او عناء افيعجز الله سبحانه ان يمكن نبيه من وصف بيت المقدس دون عملية الاقتلاع الرهيبة هذه ؟!

واخيرا تثبت الرواية انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين وصف البيت كما ارادوا اسلم في ذلك اليوم اربعة الاف رجل وأؤكد ان هذا لم يحدث ولو كان قد حدث لما هاجر الرسول الى المدينة ولم يهاجر وقد اصبح باسلام هؤلاء في عز ومنعة ؟ ثم ان من حضر بدرا من المسلمين مهاجرين وانصارا في العام الثاني من الهجرة لم يكن عددهم يتجاوز ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فاين اذن كان هذا العدد الضخم ؟؟

فلنعد الى الصواب والرشد ولنتمسك بكتاب الله وبما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولننبذ كل تلك الخرافات والترهات ... والله تعالى اعلم بالصواب .


أدعياء النبوة
للأستاذ
احسان صدقي العمد

منذ أن بعث الله تعالى رسوله الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام، جعل رسالته السماوية آخر الرسالات، وختم برسوله المصطفى الأنبياء

والمرسلين. قال تعالى « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** » الأحزاب/ ٤٠ وقد

جهد الرسول في حياته لتأكيد هذه الحقيقة، وجاهد المؤمنون من بعده لنصرة رسالة الاسلام السمحة والمحافظة عليها من الادعياء والمتحلين الكذابين الذين « **يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله**

الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »

التوبة/ ٣٢. وتحدثنا كتب السيرة عن الموقف الحق الذي وقفه النبي صلى الله عليه وسلم من أطماع بني حنيفة وأدعيائها إذ رفض بحزم طلب هوذة بن علي الحنفي ان يجعل الأمر له من بعده، كما رفض طلبا مماثلا من ثمامة بن كبير بن حبيب المعروف بمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في أواخر حياة الرسول وسمي نفسه رحمان اليمامة،.

وفي اواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ أيضا الاسود بن كعب ابن عوف العنسي في اليمن واتبعه بعض قبائلها، وسمي نفسه رحمان اليمن كما فعل مسيلمة وقد وجه الرسول قيس بن هبيرة المرادي لقتاله وتمكن من القضاء عليه بالتعاون مع الذين كان الاسود العنسي قد اضطهدهم.

ويبدو أن بعض قبائل الجزيرة العربية لم تستوعب آنذاك فحوى الرسالة الاسلامية، كما ان هذه القبائل حسدت قريشا على المكانة المرموقة التي تأكدت لها من جديد بعد ظهور الاسلام، فقام بعض الزعماء فيها بمحاولات لمشاركة قريش في هذه المكانة. حتى اذا لم تجب مطاليبهم لجأوا الى ادعاء النبوة وجمع المؤيدين لهم علهم بذلك يحققون مآربهم.

ابو بكر يستاصل شأفة الأدعياء :

وعندما انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى كان اول عمل حاسم قام به ابو بكر الصديق هو استئصال شأفة ادعياء النبوة والمرتدين من ابناء القبائل. وخاضت صفوة من المؤمنين من المهاجرين والانصار بقيادة خالد ابن الوليد عدة معارك ضارية في اليمامة ضد مسيلمة الكذاب والقبائل الموالية له وانتهت كما هو معروف بالقضاء على مسيلمة واستسلام اعوانه. وقد تحقق هذا الانتصار للاسلام والمسلمين بعد جهاد صادق استشهد فيه المئات من المؤمنين الذين

« **صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم**

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » الاحزاب/٢٣ .
ويتراوح عدد شهداء اليمامة بين سبعمائة الى الف وسبعمائة شهيد من خيرة المؤمنين ، بينهم سالم مولي ابي حذيفة ، وخالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية ، والسائب بن العوام اخو الزبير بن العوام ، وزيد بن الخطاب بن فضيل اخو عمر بن الخطاب وسراقة بن كعب ، وابو دجانه سماك بن اوس ، وعبد الله بن عبد الله بن ابي بن مالك . وبالرغم من الضربة القاضية التي وجهت الى مسيلمة واتباعه زمن ابي بكر الا ان البلاذري يذكر في فتوح البلدان ان عبد الله بن مسعود قتل في الكوفة عبادة بن الحارث المعروف بابن النواحة وهو احد بني عامر بن حنيفة ، وذلك عندما بلغه ان عبادة بن الحارث وجماعة معه يؤمنون بما ادعاه مسيلمة وهذه الرواية تدلنا على وجود بقايا من اتباع مسيلمة الكذاب حتى خلافة عثمان بن عفان .

اما المتنبئة سجاح بنت اوس التي اتبعها قوم من بني تميم واخرون من اخوالها بني تغلب ، فقد تزوجت مسيلمة وجعلت دينها ودينه واحدا . فلما قتل مسيلمة تحولت الى اخوالها فماتت عندهم ، إلا ان ابن الكلبي يذكر ان سجاح عادت فأسلمت وهاجرت الى البصرة وحسن اسلامها .

وكان خالد بن الوليد قد تصدى قبل ذلك لمدع اخر للنبوة من بني اسد هو طليحة بن خويلد الاسدي الذي هزم واتباعه ثم اسلم من جديد وابلى بعد ذلك بلاء حسنا في فتوح العراق .

الادعياء في العصر الاموي :

ويحدثنا ياقوت الحموي الرومي في معجم البلدان عن ظهور متنبئ في بلاد الشام في عهد عبد الملك بن مروان . وقد عرف هذا المتنبئ بالحارث الكذاب مولي ابن الجلاس . وكان يتظاهر بالتعبد والزهد ، ويتصل بالمصلين في مسجد دمشق كلا على حدة « فيبلغهم امره ويأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق ان هو رأى ما يرضي قبل والا كتم عليه » ويبدو انه كان يتقن بعض اعمال الشعوذة والتأثير النفسي ، اذ كان يقول لاتباعه اخرجوا حتى اريكم الليلة فيخرجهم الى دير مران فيريهم رجالا على خيل فتبعه بشر كثير وفشا الامر في المسجد وكثر اصحابه . واستمر الحال على ذلك حتى اتصل الحارث الكذاب برجل مسلم قوي الايمان يدعي القاسم بن مخيمرة ، فلما دعاه الى التصديق بنبوته الكاذبة قال له « كذبت يا عدو الله ما انت بنبي ولا لك عهد ولا ميثاق» . وتوجه على الفور الى عبد الملك بن مروان واعلمه بأمر هذا المدعي . فأمر عبد الملك بطلبه الا انه لم يتمكن من ذلك لأن الحارث كان قد غادر دمشق متخفيا وتوجه الى القدس حيث اختبأ في احد منازلها حيث أخذ يمارس دعوته السرية . وحدث ان اتصل به رجل مؤمن من البصرة فتظاهر بتصديقه حتى وثق الحارث به . وأخذ البصري يتردد على مكانه

السري ويعرف مداخله ومخارجه وموضع اختفائه حتى صار من اخص الناس به . وبعد ذلك استأذن البصري من الحارث بالسفر مسرعا الى البصرة ليكون اول داعية له هناك فأذن له . وتوجه البصري مسرعا الى عبد الملك بن مروان واخبره بقصة الحارث معه ومكانه ، فأمره عبد الملك ان يقوم بالقضاء على هذا المدعي . فطلب البصري من الخليفة ان يوجه معه قوما لا يفقهون الا القليل من الكلام ، فجعل عبد الملك تحت تصرفه اربعين رجلا من اهل فرغانة وامرهم بطاعته كما طلب من عامله على بيت القدس مثل ذلك . وعندما وصل البصري واعوانه الى القدس رتب اصحابه في ازقة المدينة وزواياها ليلا ، وحمل كلا منهم شمعة وأمرهم الا يسرجوها الا اذا اوعز اليهم ذلك . ثم اقبل البصري وحده الى منزل الحارث الكذاب واستأذن بالدخول ، فرفض الحاجب في أول الأمر أن يفتح له الباب حتى يحين الصباح ، إلا أن الحارث أذن للبصري بعد أن علم بعودته ، فلما فتح الباب صاح البصري بأعوانه ان يسرجوا شموعهم ويضبطوا كل من يجدونه . وقد حاول اتباع الحارث أن يوهموا البصري واعوانه بعدم امكانية الوصول الى الحارث لأن الله رفعه الى السماء ، الا ان هذه الحيلة لم تنطل على البصري واستخرج الحارث من مخبئه السري وأوثقه وحمله على البريد الى عبد الملك فقتله وصلبه وقضى على فتنته .

وفي اواخر الحكم الاموي عام ١٢٩ هـ ظهر في نيسابور مدع آخر للنبوة هو « بها فريد » مستغلا الاضطراب السياسي الذي ساد الجناح الشرقي من الدولة الاموية ذلك الوقت .

الادعياء في العصر العباسي :

وبالرغم من القضاء على حركة « بها فريد » الا اننا نسمع عن تحرك بعض عناصر تنتمي اليها في زمن المنصور العباسي عام ١٥٠ هـ بقيادة شخص يدعي اشناس . كما تتحدث بعض المصادر عن وجود اتباع لها في القرن الرابع الهجري . وتنسب المصادر العباسية الى استاذ سيز الذي ظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة ادعاءه النبوة . ويلاحظ كثرة الادعياء في هذه الفترة اذ تراوح ادعاؤهم بين النبوة والالوهية ، فعبد الله الراوندي مثلا نادى بالوهية ابي جعفر المنصور وبنبوة ابي مسلم الخرساني ، واسحق الترك احد دعاة ابي مسلم الذي هرب الى ما وراء النهر بعد مقتله ، ادعى انه نبي انفذه زرادشت ليقيم هذا الدين . كذلك ادعى المقنع هاشم بن حكيم الالوهية ايام المنصور ، ومثله فعل بابك الخرمي الذي امتدت حركته الخطيرة اكثر من عشرين عاما . ويرجع الفضل في القضاء عليها الى جهود المأمون والمعتصم بالاضافة الى المجاهدين المتطوعين الذين كانوا يتقدمون الجيوش العباسية النظامية في القتال .

وحوالي منتصف القرن الخامس

الهجري ظهر في الصيرة على مقربة من البصرة رجل يقول له ابن الشباس وقد استخف هذا المدعي بعقول بعض الناس بترهات كما يقول ياقوت الحموي « فانقادوا له وعبدوه وادعى عندهم انه اله . » .

المدعون في العصر الحديث :

وظهرت في القرن الماضي حركتان من هذا القبيل في المشرق الاسلامي اولاهما البابية التي تطورت الى البهائية . وتنسب البابية الى علي محمد الشيرازي الملقب « بالباب » الذي ادعى انه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل الى حضرة الخالق عز وجل . وقد جهر الباب بآرائه عام ١٨٤٤ م ، الا ان الحكومة الايرانية آنذاك تعقبت انصاره بالقتل والتشريد واعدمت « الباب » نفسه عام ١٨٥٠ . وقد خلفه في تطوير البابية ميرزا حسين على الملقب ببهاء الله والذي تنسب اليه البهائية .

اما الحركة الثانية فهي القاديانية التي تنسب الى الميرزا غلام احمد من قرية قاديان بمقاطعة البنجاب . وقد ادعى عام ١٨٨٤ انه ملهم من الله ثم عاد عام ١٩٠١ وادعى النبوة بتشجيع من السلطات الاستعمارية في الهند في ذلك الوقت . ورمت تلك السلطات من وراء ذلك الى خلق فرق دينية جديدة واحداث ثغرات في صفوف المسلمين في القارة الهندية واضعاف نزعة الجهاد عندهم ، بقصد حماية مصالحها واطالة بقائها في تلك القارة .

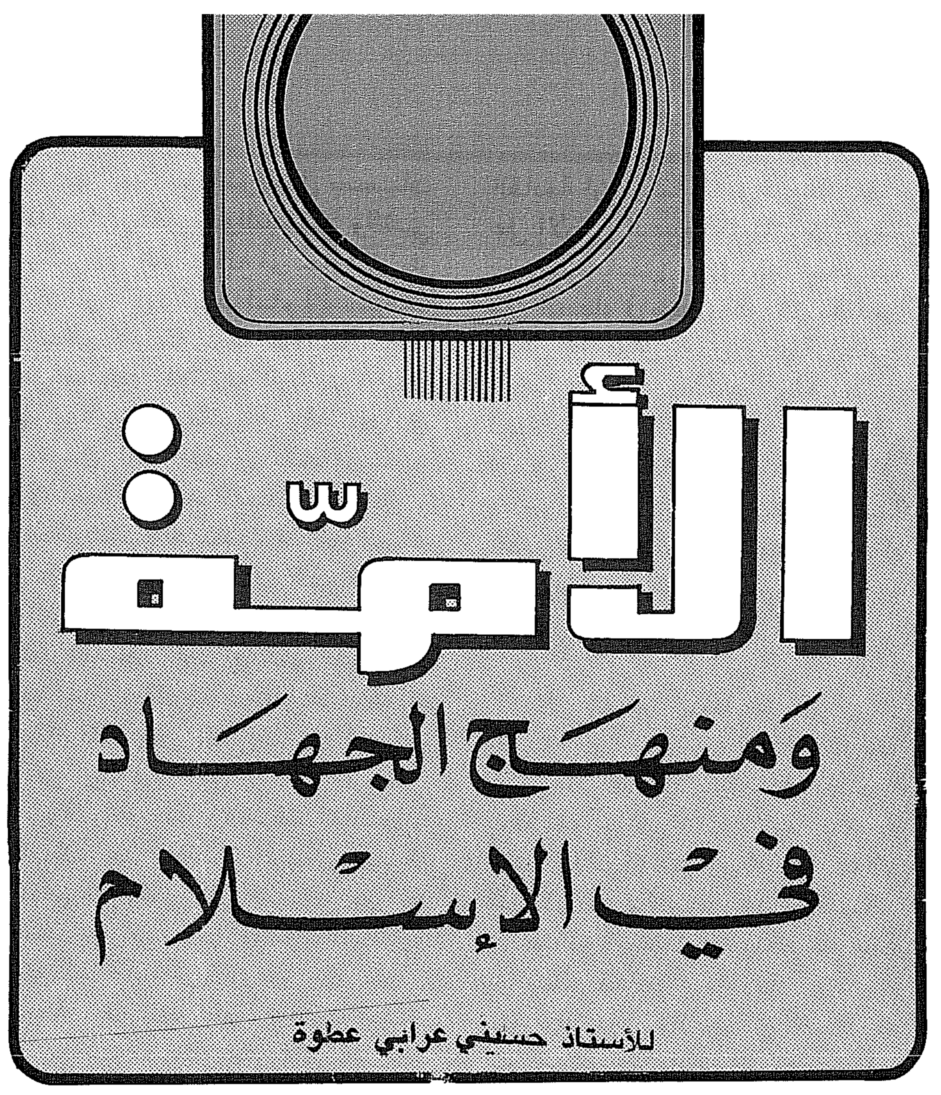
وقد كشف عضو اللجنة الوطنية الباكستانية واحد الاعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي السيد ظفار احمد الانصاري مؤخرا عن خطورة الحركة القاديانية وعلاقتها بالصهيونية .

وصرح في الرابع من يناير ١٩٧٦ بانه سيطرح موضوع الوجود القادياني الصهيوني للمناقشة في الجمعية الوطنية الباكستانية . واعرب عن اهتمامه وقلقه ازاء هذا الوجود ، وقال انه يهدد باكستان بقدر ما يهدد العالم الاسلامي والعربي . واشار الى ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة يتمتعون بامتيازات خاصة ، في الوقت الذي يحتفظون فيه بروابطهم المنظمة مع رئاسة القاديانية في منطقة « رابو » الواقعة في اواسط باكستان .

واضاف السيد ظفار الانصاري يقول ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة مؤهلون للخدمة العسكرية في القوات الصهيونية .

ولئن دلت هذه الحركة وغيرها من الحركات المشبوهة على شيء فانما تدل على حقد اعداء الاسلام وتآمرهم على رسالته وأمته ودياره .

وهو خطر حري بالمسلمين المؤمنين في كل مكان التصدي لمقاومته والقضاء عليه ليحتفظوا برسالة الاسلام ووحدة امته واتباع كتابه الذي « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت/٤٢



لقد كانت الأمة على مستوى دينها ، سائرة على هديه ، مترسمة مبادئه ، متمسكة بوصاياه ومنفذة لأحكامه وقضاياه ، حينما بسطت يدها للسلام ، وسعت جاهدة للدفاع عن حقها أمام الهيئات الدولية التي لها حق الفصل في قضايا المصير بين الأمم والشعوب وماتركت بارقة من أمل الا واستتبعت ضوءها ومع كل أسف كانت تنتهي بها الى طريق مسدود بسبب صلف العدو وعجرفته ، وعقده العزم على سياسة التوسع التي ملأت صدره الحقود نتيجة أوهامه وأساطيره التي حرف بها الكلم عن مواضعه ، والدين عن مقاصده ، وأعانه على ذلك قوم آخرون كشفهم الله للعالم الحر كله ، وهم أمريكا ومن يدور في فلكها ، وماضرنا هذا الصبر الطويل في شيء ، ولكننا استفدنا منه مكاسب جمة منها تأييد الغالبية العظمى من دول العالم لموقفنا السليم في الدفاع عن الوجود

والكيان ، ودمغ اسرائيـل بسمـات العدوان والغرور والتبجـح والتـي ستجر بها العالم كله الى حافة الخطر والدمار ، والاشهاد أمام الله سبحانه والعالم ، بأننا أدينا الواجب ، وكنا على مستوى الالتزام الرشيد ، الذي يفرضه علينا ديننـا « **وقاتلـوا في سبيـل الله الذيـن يقاتلونـكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين . واقتلوهـم حيـث ثقفتموهـم وأخرجوهم من حيـث أخرجـوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهـم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم** » **البقرة**/ ١٩٠ ــ ١٩٢

والآن وبعد أن طرقنـا أبـواب السلام حتى كلـت المتـون وعيـل الصبر ، وقام على القـرع من به صمم ، وثبـت بالأدلـة المتكاثـرة المتعددة ، أننا بريئون من أوزار حرب قادمة ، فرضها علينا العدو الغاشم ومن يساعده على غشمه وجـوره ، موقفنا فيها هو الدفاع المقدس عن الحياة والوجود والاستنقـاذ للشرف والعرض ، ممن لاشبيه لهم سوى التتار وبرابرة التاريخ الذين لازال اسمهم يحمل معه أقبح مافي التوحش والغدر من فاحش السيرة ومزعـج الذكرى الأمر الذي لو أدرك العالم المتحضر مدى خطورته لوقف ضده واستأصله كمـا يستأصـل الـداء الخبيث .

والآن لانرى لنا عذرا أمام الله سبحانه ، والوطن والتاريخ والأجيال القادمة ان تركنا للعدو فرصة البقاء على الأرض الحبيبة وفينا عين تطرف ، وقلب ينبض ، وجسد يتحرك ، فان الجهاد في سبيل الله الآن بالنفس والمال واللسان وبكل وسيلة أصبح فرضا لازما على الشعب كله ، من تخلف عنه مع القدرة عليه ، فقد خان الله ورسوله وعامة المؤمنين ووقع في محظور تلك الآية الكريمة « **ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** » **الأنفال**/ ٢٧

الآن أصبح الذود عن الوطن ، والدفاع عن الأرض والعرض فرضا لايتقاعس عنه الا كل خوان أثيم ، انطلاقا مع نفير تلك الآية الكريمة وتلبية لندائها المقدس « **انفروا خفافا وثقـالا وجاهـدوا بأموالـكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » الآية /٤١ من سورة التوبة ، والجهاد في الاسلام له تاريخ يجب أن يدرس ومنهج ينبغي ان يسار عليه .

وسبيل الأمة الى الجهاد الانطلاق به من القواعد التي انطلق به منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلق من ربه ، وعون من ايمانه بحقه ، وعمق في الفكرة ، وارتفاع به عن متاع الدنيا ، وتحقيق به لمبـادىء الخير ورسالة الاصلاح ، ودفاع به عن الوطن الذي أحبه ، والمستضعفين والمعذبين ، الذين سدت في وجوههم أبواب الحيلة للتخلص من العذاب والاضطهاد « **ومالكم لاتقاتلون في**

سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » النساء/ ٧٥

وفي مقدمة القواعد التي يستنزل بها النصر ويرجى الفوز والعون ، الايمان بالله ورسوله وحق الوطن والأجيال القادمة ، فانه مامن آية في أغلب الأحيان حثت على الجهاد الا وقدمت لذلك بالوصية بالايمان « **ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين »** الصف/ ١٠ ــ ١٣

والاقدام على الجهاد على أنه أشرف عمل في الاسلام بعد الايمان بالله فقد ثبت في الصحيح من الحديث « أن رجلا قال يارسول الله ، دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لاأجده ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولاتفتر ، وتصوم ولا تفطر ، فقال الرجل ومن يستطيع ذلك » البخاري

وحب الجهاد والهيام به على أنه سياحة المسلم ورسالة استخلاص الشرف الرفيع ، والمجد السليب ، والكرامة الغالية ، حبا تهون به الدنيا ، ولايصعب معه البذل والعطاء « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين** » الآية ٢٤ من سورة التوبة ، ولنا في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ومصدر العطاء الذي لاينقطع مدده ، ولاتجف موارده ، والأسوة الفذة التي ترتفع اليها أعناق الرجال من أهل الصدق والايمان ، وان قوة هذا الحب لتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لاأجد سعة فأحملهم ، ولايجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت ان أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » مسلم

وخوض معارك الجهاد مع الحرص على الموت أكثر من الحياة ، والرضا بمغارم الجهاد وتبعاته مع الارتباط بالله وعدم الغفلة عنه ، والسمو بالجهاد عن أغراض الدنيا « وتلك خلال طالما هبت معها رياح النصر على معسكرات المسلمين ، وكثيرا ماأذهلت أعداءهم ، وحملتهم على الشهادة لهم بعدم القهر والغلبة »

فهذا المقوقس يرد على من نعت له جنود الاسلام بتلك الصفات « وجدنا أقواما يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ، ويحبون التواضع أكثر من حبهم للرفعة ، ليست لهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأكلهم على الركب ، وأميرهم كواحد منهم لايعرف صغيرهم من كبيرهم ولا السيد فيهم من العبد ، فاذا حضرت الصلاة قاموا اليها جميعهم لم يتخلف منهم أحد وغسلوا أطرافهم ووقفوا في صلاتهم خاشعين بين يدي ربهم » فقال المقوقس « والذي لايحلف الا به ، لو أن الجبال اعترضت طريق هؤلاء لأزالوها وان هؤلاء لايقوى على قتالهم أحد »

والوقوف بالمرصاد لأساليب الحرب النفسية التي يشنها العدو وأعوانه تارة عن طريق السخرية وأخرى عن طريق التهديد بالأسلحة الجديدة وغير ذلك وذلك كثير تعرض رسول الله لمثله على طول جهاده ، فقد جربوا معه في غزوة الأحزاب سلاح التهكم وقالوا ان رسول الله يعدنا بقصور الروم بالشام ومدائن كسرى وصنعاء اليمن ، والواحد منا محاصر لايستطيع قضاء حاجته والى هذا المعنى الخبيث أشار الله سبحانه « **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا** » واستعملوا معه سلاح التشكيك في القدرة وهز الثقة بالنفس « **واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا** » وقد استعملوا معه سلاح التهديد بالقوة عقب غزوة أحد وقد أشار القرآن اليه والى المواجهة التي أذهلت العدو وحملته على ان يقبع وراء جباله بمكة راضيا من الغنيمة بالأياب فقال « الذين قال لهم الناس » والمراد بالناس هنا مروجو الاشاعات « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » والمراد بالناس في هذا المقام كفار قريش « **فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » ثم يحذر القرآن الكريم من عدوى الخوف والذهول عن مكائد العدو ، ويصف ذلك بأنه خفة في ميزان المؤمن ومؤاخاة للشيطان « **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** » الآيات ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، من آل عمران

، وقد رد منهج الاسلام على هذا اللون من الحروب ، بضبط النفس ، والثقة بنصر الله مع الضرب بشدة على يد المروجين ودعاة الهزيمة قد تصل الصرامة فيها الى القتل والابادة « **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » الأحزاب/ ٦٠ ـ ٦٢

وجماعية الجهاد على كافة أفراد الأمة فعلى عهد رسول الله وقفت المرأة في الجهاد بجوار الرجل وسابق الشباب الشيوخ ، واقترع الولد مع أبيه حرصا على شرف المشاهد السامية وكان يقول لأبيه لولا شرف الجهاد لقدمتك على نفسي ، وتقدم أصحاب العاهات للفوز بواسع الجنات وانخلع حنظلة بن أبي عامر ، من أحضان عرسه في ليلة زفافه قبل أن يغتسل فينال الشهادة وتغسله ملائكة الله في طست من ذهب بماء المزن الطاهر من فوق سبعة أرفعة ، ولقد ظلت الأوس تباهي الخزرج بهذا الموقف العظيم لحنظلة فمن رواية الطبري عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة « افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم »

ومما يجب الحرص عليه تقدير رجالنا الأبطال الواقفين على الجبهة ورعاية أسرهم ، وقد لفت رسول الله النظر الى ذلك فقال « من لم يغز ، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » رواه أبو داود عن أبي أمامة باسناد صحيح ، ولقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أروع الأمثلة في تقديره للمجاهدين رجالا ونساء ؛ فلقد قسم مروطا « أثوابا » بين نساء من نساء المدينة ؛ فبقي ثوب جيد ، فقال له بعض من عنده أعطه لزوجك بنت رسول الله يريدون أم كلثوم زوجته فهي بنت الامام علي وأمها فاطمة بنت رسول الله فقال عمر رضي الله عنه أم سليط أحق فانها كانت تزفر (تخيط) لنا القرب يوم أحد رواه البخاري .

ولابد في النهاية من ظهور الأمة بمظهر الطاعة واللجوء الى الله لأن ماعند الله من خير يلتمس بطاعته لا بمعصيته فقد أصبح من المحتم الآن القضاء على عبث الشباب واستهتار الفتيات وانحراف الكلمة المسموعة والصورة المشاهدة وأفلام الانحلال وأخلاق الفوضى ، التي لازال يغض الطرف عنها بعض المشرفين على أجهزة التوجيه حتى الآن فالله سبحانه يقول « **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** » .

وانا لنأمل وقد وقفنا على الطريق في انجاز عدة الله سبحانه لعباده المؤمنين والشعوب الجادة الصالحة « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** »

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الاسراء

بين السلف

يحتفل المسلمون ، منذ عهود بعيدة – بليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، لاعتقاد شاع بينهم انها الليلة التي اسرى فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام بمكة ، الى المسجد الاقصى بالشام ،

ثم عرج به الى السموات السبع .. ثم الى الملأ الأعلى .. ثم إلى سدرة المنتهى ، حيث سمع صريف الأقلام ، وشاهد سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ومن عليه ربه بفريضة الصلاة ، حيث فرضت اولا خمسين صلاة ، ثم خففت الى خمس صلوات في اليوم والليلة ، بعد ان تردد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ربه وبين موسى .

اعتقاد الناس في ليلة السابع والعشرين :

ومن هنا بني العامة واشباههم ،



اعتقادهم أن لليلة السابع والعشرين فضلا كبيرا ، فاتخذوها موسما لهم ، يقيمون فيها حفلات دينية ، يحيونها بما ألفوه من الذكر والأدعية ، وتأدية صلاة تعرف باسم « صلاة الرغائب » ، وبما اعتادوه من صنع الأطعمة ذات الطابع الخاص ، والتي تعودوا ان يصنعوا مثلها في المواسم كليلة النصف من شعبان والمولد النبوي وذكرى الهجرة وغير ذلك .

يجتمعون في المساجد في اول خميس من رجب ، ويخصصون لهذه الليالي « صلاة الرغائب » يؤدونها اثنتي عشرة ركعة ، بين العشاءين ، تتخللها قراءات وتسبيحات .

أدلتهم في الاحتفالات :

ويستند المحتفلون بهذه الليالي ،

الى ماورد من غرائب الاحاديث المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منه حديث « إن في الجنة نهرا يقال له رجب ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، واحلى من العسل ، من صام يوما من رجب ، سقاه الله من ذلك النهر » وهو حديث باطل كما قال عنه الذهبي

ومنه حديث « من صام ثلاثة ايام من شهر حرام ، الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عبادة تسعمائة سنة » وهذا الحديث قال عنه السخاوي انه باطل متنا وتسلسلا فاحذروه .

ومنه حديث « صوم اول يوم من رجب ، كفارة ثلاث سنين ، والثاني كفارة سنتين ، والثالث كفارة سنة ، ثم كل يوم شهر » حديث ساقط الاسناد ومنه حديث « رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي » حديث مرسل وضعيف وغير ذلك من الرغائب التي وضعت في كتب الاحاديث وضعا ، وتناقلها الناس جيلا عن جيل ، وآمنوا بها ، وعملوا بمقتضاها ، اعتقادا منهم بأنها أحاديث نبوية تتسم بالضبط والصحة ، وأنها رويت فعلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

هل عرف السلف هذه الأعمال :

اذا رجعنا الى سيرة سيد العابدين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، نجد انها خلت من الأعمال التي عرفها المسلمون الأولون من الاحتفال بأول يوم من رجب ، وليلة السابع والعشرين ، بالصلاة ، وقراءة قصة المعراج .

وكذلك لم تحفظ لنا كتب سيرة الصحابة — وهم الذين امرنا باتباعهم — انهم فعلوا شيئا مما يفعله اليوم جمهور المحتفلين برجب ، فلم يؤثر عنهم — رضى الله عنهم — انهم صلوا « صلاة الرغائب » في اول خميس من رجب ، او فعلوا شيئا من هذه الأمور التي ابتدعت في العصور المتأخرة ، لأنهم كانوا يلتزمون بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدون به في كل شيء ، والرسول لم يكن يفضل من الأيام ، الا ما حدده له الشرع ، والشرع لم يخص من الأيام بالتفضيل والاحياء والاحتفال سوى يوم الجمعة ، ويوم العيدين ، ويوم عرفة .

فالاسلام — اذن — لا يعرف لشهر رجب غير انه احد الأشهر الحرم التي شرع حرمتها قبل الاسلام وبعده ، وفي هذا نقرأ قول الله عز وجل (**ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم**) التوبة / ٣٦ .

آراء الفقهاء حول الاسراء والمعراج :

وهذه اقوال العلماء والفقهاء ، فيما يفعله الناس اليوم في رجب من صيام واحتفالات .

يقول الحافظ بن حجر في كتابه « تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب »

« لم يرد في فضل رجب ، ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء منه ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة »

ويقول الامام الجليل ابن تيمية ، ردا على سؤال لرجلين ، يفضل احدهما ليلة القدر ، والآخر ليلة الاسراء ، يقول الامام – رضى الله عنه – « فان اراد به : ان تكون الليلة التي اسرى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظائرها من كل عام ، افضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من ليلة القدر ، بحيث يكون قيامها ، والدعاء فيها ، افضل منه في ليلة القدر ، فهذا باطل ، لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم الفساد والاضطراب من دين الاسلام ... »

ويقول في موضع اخر « ... ولا يعرف عن احد من المسلمين ، انه جعل لليلة الاسراء فضيلة على غيرها ، ولا كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ، يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بأمر من الامور ، ولا يذكرونها ، وان كان الاسراء من اعظم فضائله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا ، فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية .. »

ويقول الامام ايضا عن « صلاة الرغائب » التي يصليها المحتفلون برجب « صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ، لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا احد من خلفائه ، ولا استحبها احد من أئمة الدين ، كمالك ، والشافعي ، واحمد ، وابي حنيفة ، والثوري وغيرهم ، والحديث المروي فيها – اي في صلاة الرغائب – كذب باجماع اهل المعرفة بالحديث ، وكذلك الصلاة التي تذكر اول ليلة جمعة من رجب ، وفي ليلة المعراج .. وغير هذا من ايام الاسبوع .. لا نزاع بين اهل المعرفة بالحديث ان احاديثه كلها موضوعة ، ولم يستحبها احد من أئمة الدين ، وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام ، ولا يوم الجمعة بصيام »

اختلاف الآراء حول الاسراء والمعراج :

بالرجوع الى الكتب التي تحدثت عن الاسراء وليلته ، نجد انها قد ازدحمت بآراء متعددة مختلفة ، فلم تتفق على كلمة واحدة في الانباء المروية عن هذا الحادث ، من حيث انتقاله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاسراء من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى بالشام ، فقد اختلفت هذه الاراء في كل ما يتعلق به ، في سنته .. وشهره .. وليلته .. وفي وصف البراق « راحلة الاسراء » .. وفي مكان اجتماع الرسول بالانبياء .. وهل

كانت امامته لهم بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معاً ؟ ..

وامتد الخلاف كذلك الى المعراج ، فاختلفوا في المرقاة « مصعد العروج الى السماء » ، وهل كان المعراج بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معا ؟

اختلفت الآراء حول كل ما يتعلق بحادث الاسراء والمعراج ، واورد كل فريق الادلة التي تؤيد رأيه ، وكان من كثرة ما قيل في هذا ، ان وقف المرء حائرا وسط كل هذه الآراء المتعددة المختلفة ، ماذا يأخذ .. وماذا يدع ؟!

ثبوت الاسراء والمعراج :

اما اصل الاسراء والمعراج ؛ فلم يختلف فيه احد ، اذ انه بدليل القرآن الكريم ، فعن الاسراء ورد قول الله عز وجل (**سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**) الاسراء /١

وعن المعراج ورد قول الله تعالى (**ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**) النجم /١٣ ــ ١٨

لماذا لم يهتم السلف بالتواريخ ؟:

والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم اجمعين ، لم يهتموا بتسجيل تواريخ الاحداث ، ولم يعنوا بزمانها او مكانها ، لانهم كانوا يؤمنون بان الازمنة والامكنة ، هي اوعية فقط للاحداث ، وانه لا داعي للتعلق بالأزمنة أو الأمكنة ، والعمل على احيائها ، وتفضيل احداث على غيرها ، وإحياء ليال من الاشهر الحرم دون اخرى منها ، وإنما كانوا ينظرون الى العبرة المستوحاة من الأحداث ، ويستفيدون منها بالنتائج فقط .

هكذا كانت نظرتهم الى الاسراء والمعراج .. نظرة نابعة من اتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانوا ينظرون الى باقي الأحداث الاسلامية ، فلم ينهجوا نهجنا فيها ، بالعبادة والاحياء ، نحييها مرة في العام باحتفالات مادية ، وننساها طوال العام .

ولو كان للازمنة أو الأمكنة تقدير في نظر السلف الصالح ، لكان غار حراء ، الذي نزل الوحي فيه ، قد اخذ من اهتمامهم الشيء الكثير ، ولقصدوه بالذكر والاحياء ، ولاهتموا ايضا بحرارة بأحداث اخرى وقعت في عصورهم ، وكان فيها انتصار للاسلام ، وكانت علامات بارزة في تاريخه ، كغزوة بدر وشجرة الرضوان وفي شأن غار حراء يقول الامام الجليل ابن تيمية رضى الله عنه « ... بل غار حراء الذي ابتدئ فيه نزول الوحي ، واليوم الذي انزل فيه الوحي ، لم يخص واحد منها بعبادة ، ولا بغيرها ، ولم يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا احد

من اصحابه بعد النبوة ، مدة مقامه بمكة .. »

ايحاءات الاسراء والمعراج :

إن حادث الاسراء والمعراج يوحي بمعان جميلة طيبة فهو يوحي بأنه تكريم من الله عز وجل لنبيه الكريم ، ورفع لدرجته ، وإعلاء لمقامه ، بعد ان خذله اهل الطائف ، وطاردوه حتى خارج بلدتهم ، حين ذهب اليهم طالبا نصرتهم .

وهو تثبيت لقلبه ، وتطمين لنفسه ، وتقوية لروحه ، بأنه فوق أعدائه ، ومنصور عليهم في نهاية الأمر .

وهو اعداد للرسول لرحلة الهجرة الشاقة من مكة الى المدينة ورحلته الطويلة في سبيل الله ، ومن اجل اعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، وكسر شوكة الباطل والوثنية .

وهو تذكير للمسلمين بمنة الصلاة الكبرى ، التي خلعها الله تعالى على نبيه وامته .. هذه الصلاة التي خص الله بها امة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكرمها بها ، ليتشرفوا بالصحبة الالهية خمس مرات في اليوم والليلة .

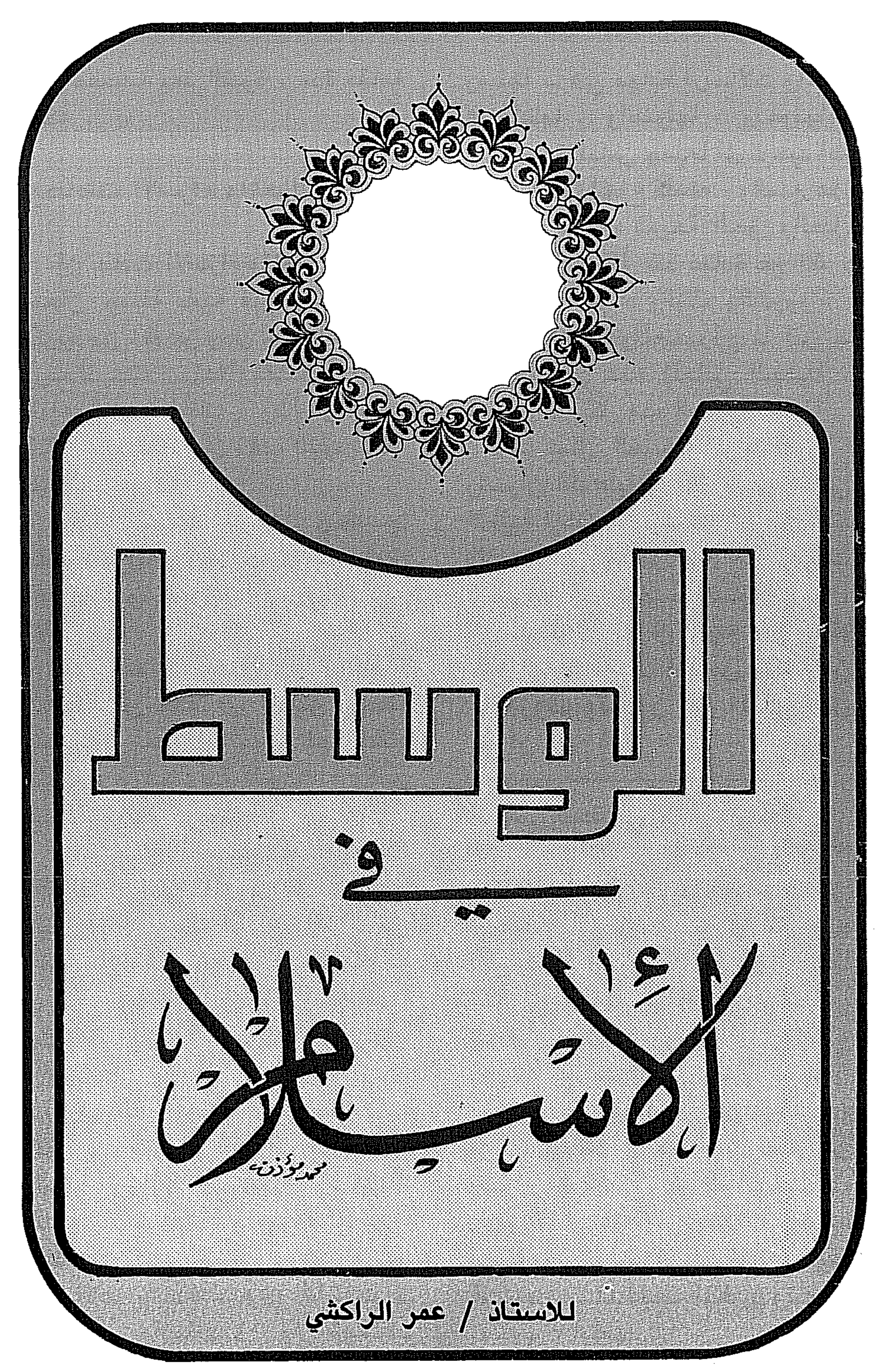
وهو تذكير للمسلمين ، بربط مهابط الوحي ، الاول : الذي تلقاه ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، والثاني : الذي تلقاه موسى وعيسى بالقدس ، ذلك لأن هذه المهابط ، هي مهابط لرسالات واحدة ــ وان اختلفت في فروعها ، وازمنتها ، وان تعددت رسلها ــ هي مهابط لرسالات واحدة في غايتها .. واصولها .. ودعوتها ، فهي دعوة للناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، واتباع كلمته ، والسير على نهج شريعته « شريعة الحق والعدل والفضيلة ، والى نبذ عبادة غير الله ، ومحاربة الفساد والظلم والشرور .

فالاسراء والمعراج ــ اذن ــ يذكرنا بكل هذه المعاني الجميلة ، ويوحي لنا بكل هذه الصور المشرقة .

لقد تمثل الصحابة والتابعون ، رضوان الله عليهم ، كل هذه المعاني الطيبة امامهم ، وعاشوا في كل هذه الايحاءات ، فكانوا خير امة اخرجت للناس ، كما شهد لهم ربهم ، ووصفهم في القرآن بقوله : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) آل عمران / ١١٠

الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج :

اذا كنا نريد ان ننتفع بهذه المعاني الجميلة ، ونحيا في ظل هذه الايحاءات الطيبة ، كما فعل سلفنا الصالح ، فجدير بنا ان ندرك الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج ، لننتفع به ... يجب ان نعيش مع هذا الحادث بقلوبنا .. في كل اوقاتنا ، وان نسترشد في ذلك بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بما ألفناه من عادات وتقاليد مادية موروثة .. نحتفل بالذكرى يوما أو يومين .. ثم تجف الذكرى وتنقضي بانقضاء أيامها ..


الوسط
في
الإسلام
للاستاذ / عمر الراكشي

في هذا العصر المادي اجترفت الانسان ماديات عديدة ، فانحرفت به الى الوان من المتاع متفرقة ، فرضتها ادوات العصر وعلومه ، وسخر اهل الشر كثيرا من اختراعات العلم لفتنة الناس وصرفهم عن مجالات الخير والبر .

وقد تعجب يا اخي المسلم اذا عرفت ان الاسلام حسم الاجابة عن تساؤل قد يطرحه المسلم على نفسه : ماذا آخذ وماذا أدع من متاع هذه الحياة ، والى أي مدى أشغل نفسي بهذه الأطايب والملذات .

سؤال قد يطرحه المسلم على نفسه وهو مبهور فاغر فاه أمام مظاهر الترف والنعمة والتسلية التي لا يساء استخدامها .

ولتعلم يا اخي المسلم الانسان ، أن اجابة الاسلام على هذا السؤال هي اجابة تصلح لكل زمان ولكل مكان ، مهما كان شكل النعمة وحجم المتاع وأداة التسلية ، وهي اجابة لن تجدها بهذا التفصيل وبهذا الاطراد والتواتر في سائر الأديان .

مزج بين الجسد والروح

كلنا يعلم أن الانسان خلق من مزج رائع ورقيق بين الجسد والروح ، وتوازن ناصع ودقيق بين الماديات والمعنويات ، فلم يدع الاسلام بابا تطغى منه مطالب الجسد على مطالب الروح ، كما لم يأذن أن تجور الروحانية في رهبانية عرفتها غيره من الأديان . ومن هنا يقول عز من قائل : (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) التين / ٤ .

وقد وردت الاشارة الى خلق الانسان من طين وروح أو من جسد وروح في آيات عديدة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون / ١٢ ــ ١٤ .

وفي سورة السجدة : (**ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**)السجدة ٦ ــ ٩

واذا كان التوازن قائما في خلق الانسان ، أي في الموازنة بين جسده وروحه ، فان التوازن ايضا قائم ومطلوب كترجمة عملية في التطبيق لدى تلبية حاجاتهما ، وهو المبدأ الذي نستخلصه من كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

غاية خلق الانسان :

وغير خاف أن غاية خلق الانسان

والجان ، هو عبادة الرحمن ، وتعمير الأرض بالخير والسلام : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات / ٥٦ .

فعبادة الله هي المبتغى الاول من وراء خلق الانسان والجان ، ثم السعي في سبيل الرزق بالحلال وتعمير الوجود بالخير والسلام : **(وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص / ٧٧ .

فما هو مقدار هذا النصيب من الدنيا ؟ سؤال نجيب عليه في الفقرة بعد التالية .

متاع الدنيا :

بادىء ذي بدء يتعين علينا أن نسلم بأن متاع الدنيا وإن كثر قليل ، وهو وإن تعدد وتنوع ضئيل ، سريع زائل بعد حين ، تقول الآيات البينات : **(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)** آل عمران / ١٤ ، ١٥ .

: **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا)** الكهف / ٤٦ .

: **(واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)** الحديد / ٢٠ .

من هذه الآيات الكريمات يتضح ان متاع الدنيا قليل وان نعيم الآخرة افضل واخلد .

ويبقى التساؤل قائما : فاذا كان القرآن الكريم أمر المسلم بألا ينسى نصيبه من الدنيا ، واذا كانت السنة النبوية الشريفة تقول من بعده : « ما الدنيا في الآخرة الا مثلما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع » (رواه مسلم) ، فما هو مقدار ذلك النصيب من الدنيا الذي للمسلم أن يشغل به نفسه .

مقدار النصيب من متاع الدنيا :

اولا ـ في القرآن :

ويجيب القرآن الكريم بأن للمسلم ان يترخص في هذا النصيب من الدنيا بقسط معتدل ، وقدر متوازن مع مطالب الجسد ومطالب الروح ، أي بنصيب متوسط بين التبذير والتقتير ، وبين الافراط والتفريط ، وبين اقصى اليمين واقصى الشمال ، فان صراط الله دائما مستقيم ، ومصداق ذلك

تجده يا أخي المسلم في عديد من آيات الله البينات : (**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**) الاعراف / ٣١ : (**ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**) ٢٦ ، ٢٧ / الاسراء : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) الاسراء / ٢٩ .

: (**والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) الفرقان / ٦٧ ، أي كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير معتدلا مقسطا .

ومصداق ذلك المعيار نجده ايضا في غير مجال التمتع بنعم الله الدنيوية حيث يقول تبارك وتعالى : (**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**) الاسراء / ١١٠ .

وحكمة ذلك الاختيار الالهي لهذا القدر المعتدل المتوسط من التنعم بالدنيا ، هي الا يغرق المرء نفسه في ملاذها وشهواتها فيطغى جانب الجسد على جانب الروح ويختل التوازن المنشود بينهما والمفصل بيانه في صدر هذا المقال ، فالله سبحانه وتعالى لم يحرم زينته في الأرض على بني آدم ولكن دعاهم الى ان ينالوا منها بقدر واعتدال .

ثانيا ـ في السنة :

واذا كان دأب السنة النبوية الشريفة ان تشرح نصوص الدين الحنيف وآياته بالقول وبالفعل ، فلنطوف معا على رياض هذه السنة نقتطف من ازاهيرها ما يلقي مزيدا من الضوء على ما نقلناه من كتاب الله من آيات تقنن ذلك المعيار الدنيوي المتوسط وتشرعه ، فنرى الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ينكر على رجل يعتزل النساء ، وعلى آخر يصوم الدهر كله ، وعلى ثالث يقوم الليل كله ، ينكر على هؤلاء جميعا فعل كل منهم ويوضح لهم انه بشر رسول ، يتزوج النساء ، ويصوم ويفطر ، ويصلي ويهجع .

وفي مجال الرزق : وتقسيم الأموال بين العباد وسعيهم وراءها ، يقول تبارك وتعالى : (**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) سبأ / ٣٦ .

ويبين الرسول عليه افضل الصلاة والسلام حدود ومنهاج سعي المسلم طلبا للرزق ، والضوابط الاسلامية الرائعة له في جوامع من الكلم خالدة بقوله :

(لا شيء يقربكم من الجنة الا وقد دللتكم عليه ، ولا شيء يباعدكم عن النار الا وقد نهيتكم عنه ، ان روح القدس قد نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته ، فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته ، وإن لكل

امرىء رزقا هو آتيه لا محالة ، فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه ، إن الرزق يطلب الرجل كما يطلبه أجله » رواه ابن ماجة والحاكم عن جابر .

هكذا يعلمنا الأدب النبوي الشريف كيف يكون سعي المسلم وراء المال في دنياه ، يكون بالعفة وبالوسائل المشروعة فان رزقه سوف يأتيه كما قدره الله وحدده ، كثيرا كان ام قليلا ، وعلى المرء ان يسعى ويأخذ بالأسباب ثم يرضى بما يرزقه به الله من مال حتى يبارك له فيه فيكفيه : « فخير الكسب كسب يد العامل اذا نصح » . اي اذا اخلص في عمله — عن ابي هريرة . رواه احمد .

فمن آمن وعبد وعمل صالحا وعمر دنياه بالخير ، ثم سعى في سبيل رزقه بالحلال ، ثم رضي بما آتاه الله من فضله ، فقد سعد جسدا ونفسا وروحا ، اما من انكب على وجهه يعب من ملاذ الدنيا ومغرياتها كأن لم يخلق الله غيرها حياة ابقى واخلد ، فقد خسر دنياه وآخرته ، فمن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي طائعة ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، فلا يصبح الا فقيرا ولا يمسي الا فقيرا .

ويحذرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا فيقول : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخفلكم فيها فينظر كيف تعملون .. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » . رواه مسلم والنسائي عن ابي سعيد الخدري .

وفي مجال الطعام والأكل والشرب : تتضح « الوسطية » من الحديثين التاليين :

: « **ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، وإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » . عن المقدام ابن معد يكرب رواه الترمذي .

: « **كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة** » . عن ابن عمرو رواه النسائي .

واعلم يا اخي المسلم ان القصد لا يعني القذارة واهمال المظهر الحسن الطيب وان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة » . عن سهل بن الحنظلية رواه احمد .

وفي مجال احتفالات العرس :

: « طعام يوم في العرس سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة ايام رياء وسمعة » عن ابن عباس رواه الطبراني .

وفي مجال التعبد :

تظهر « الوسطية » والاقساط في الحديثين التاليين :

: « اياكم والغلو في الدين ، فانما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين » . عن ابن عباس رواه النسائي .

: « ايها الناس عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد ، فان الله لا يمل حتى تملوا » . عن جابر رواه ابن ماجه .

وفي مجال المهور : تقول السنة المطهرة :

: « خيرهن أيسرهن صداقا » . اي اقلهن مهرا . عن ابن عباس رواه الطبراني .

وفي مجال التخاصم :

: « لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . عن ابي ايوب الانصاري رواه ابو داود .

وفي هذا الحديث نهى عن الا يغالي في الخصومة والهجر بين الاخلاء المسلمين ونهى عن اللدد في الخصام .

وفي مجال الحداد :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا » عن ام حبيبة بنت ابي سفيان . رواه البخاري .

ويجمع معاني الاحاديث المتقدمة الحديث الشريف الآتي :

« الاقتصاد في النفقة نصف العيش ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم » عن عمر رواه احمد .

ولا يتسع المجال لمزيد من الاستطراد في ضرب أمثلة « الوسط » او « الوسطية » من السنة المشرفة .

جزاء الغارق في ملذات دنياه :

ومن أغرق نفسه في ملذات الدنيا وشهواتها ، مخالفا مبدأ « الوسط » الذي أقره الاسلام في القرآن والسنة ، ناسيا متناسيا غاية خلقه ووجوده على هذه الارض ، فليقرأ قوله تعالى في سورة الاسراء ليعلم عقاب المخالفة والجزاء :

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) الاسراء / ١٨ ــ ٢١ .

تأمل معي يا اخي المسلم وصف الحق جل وعلا للدنيا بأنها عاجلة ، للدلالة على قصر زمن وزوال اطايبها ، ثم انظر مصير من اختار العاجلة ، ومصير من اختار الآخرة وهو مؤمن وسعى لها حق السعي ، فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

حقا : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا)** الاسراء / ٩ .

جعلنا الله واياكم ممن لهم ذلك الأجر .



وقف الكهول يرقبون الأفق بعين الأسى والضراعة ، وألقى الرعاة بهراواتهم يأسا من السعي ، وبحثا عن الكلأ المباح ، وتناثرت بعض السائمة تدرج في بطء وإعياء ، علها تجد ما يعوضها من فضلات الطعام ، وانبطح بعض آخر على الأرض يجتر ما عساه يكون قد بقي في الأمعاء ، وزحف اليأس إلى قلوب الأمهات خوفا

على رواضعهم من نضوب اللبن ، وقلة الزاد ، وراح الشيوخ يستسقون الآلهة ويستزلون الكهنة ، وأخذ الشبان يروحون ويغدون كالسجاني يروحون عن أنفسهم بزرع السجن ذهبة وجيأة والكل لا تحيد وجوههم عن محراب السماء ، ينشدون ويرقبون أقصى الأفق .

ثم أفزعهم طول الانتظار فذهب بعضهم إلى كاهنة ، وبعضهم إلى ساحرة ، وثالث إلى ضحية يسفك دمها تحت قدم (مناة) ورابع يركع في ظل (هبل) ضارعا متوسلا .

مر كعب بن لؤى بهذا الشتات من البشر لا تجمعهم عقيدة سليمة ولا شرعة صحيحة ، وأن الفت بينهم جميعا قسوة الطبيعة عليهم ، وربطت شدتها بين قلوبهم .. فصعد فوق الصفا ونادى يا معشر قريش :

فاستفاق الكل على صوت قوي مؤمن يبعث الرجاء ويحيى دارس الأمل ، ثم شخصوا صوبه في ضيق وقنوط ، فأخذ يدعوهم إلى الله كعادته في كل يوم جمعة ، ويستسقي بهم ،



للاستاذ عبد الحميد محمد المشهدي

ويسري عنهم ويبشرهم ، ويقول :

اما بعد : فاسمعوا وتعلموا .. وافهموا وعلموا ... ليل ساج .. ونهار ضاح .. والأرض مهاد .. والسماء بناء ... والجبال أوتاد ... والنجوم أعلام ، الدار أمامكم .. والظن غير ما تقولون .. حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم .

بعثت خطبة كعب بن لؤي أملا جديدا في هذه الجحافل اليائسة ، وآنستهم إرهاصات النبي العربي ما هم فيه من هم وكمد ، ثم ما لبثوا بعد ذلك أن سحت السماء عليهم مدرارا ، فشهقت الصدور بالفرح واستبدلوا الهم بالدعابة والمرح ، وذهبت هذه الخطبة انشودة تنتقل على الشفاه ، وفألا غامرا بالحيا والحياة .

سحابة ضخمة من تراب ، تمشي في غياهبها مئات المشاة والركبان ، يملأ ضوضاؤهم الوديان ، وتدق جلبتهم الاذان ، فترى بعضهم — من هزيمة شيعته — في هياج وغضب ، وترى آخرين — بانتصار جماعته — في سرور ولجب ، ثم اشتد الشجار ، وامتدت الأيدي إلى الرماح والسيوف ، فتداخل بينهم بعض الكماة فحقنوا مسيل الدماء ، ومنعوا وقوع البلاء ، وحاولوا إقناع المتشاجرين بأن الفوز في السباق وليد الاستعداد ، وثمرة التدريب وكثرة الارتياد ، وإن الخضوع للحق فضيلة ، والتمادي بالعناد مذمة

ورذيلة ، ثم تفاهم الكل على عرض الموقف في ساحة الكاهنة (جراشع) ، فهي جديرة بحل المشكلات دون منازع ، فوافوها وهي مغمضة ساهمة ، أو متمتمة هائمة ، ثم انفرجت شفتاها بعد لأى وقالت :ـ

العزيز من والاه .. والذليل من عاداه ..

سفيان ـ لله أبوك .. من تذكرين ؟

جراشع ـ صاحب هدى وعلم . وبطش وحلم . وحرب وسلم .

سفيان ـ لله أبوك .. من هو يا ترى ؟

جراشع ـ نبي مؤيد . قد أتى حين يوجد . ودنا أوان يولد . يبعث إلى الأحمر والأسود . بكتاب لا يفند . اسمه محمد .

سفيان ـ ليت شعري ـ أعربي هو أم عجمي ؟

جراشع ـ والسماء ذات العنان . والشجر ذات الأفنان . إنه لمن معد بن عدنان .

***

وطال المقام بسكان يثرب في ظلمتين من فقر ويأس ، إزاء ما وصل إليه يهود المدينة من ثراء وسلطان نتيجة تحكمهم في زمام الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى لم يبق في نفوس العرب مجال لصبر أو محل لأمل في مستقبل يغير وضع اليهود ، في سوء معاملتهم للعرب ، فانتهزوا فرصة زيارة (أبي كريب) تبع ملك اليمن ـ لمدينتهم ، وأنهوا إليه ـ كملك عربي أبى ما يعانونه من جشع اليهود واستبدادهم فأرسل الملك يستدعي أحبارهم ورؤساءهم إلى خيمته ، وقد امتلأت نفسه بكل ما يحفظه عليهم .

وما طلعت شمس الصباح ، حتى كان وفد من اليهود في ثيابهم المخططة ، ولحاهم المستطيلة ، وشعورهم المرسلة ـ في طريقهم إلى معسكر ملك اليمن ، وقد أخذوا بزمام قطار من الأبل يحمل الطرف والهدايا .. وهناك أمام خيمة العاهل الكبير وقفوا يسوون من ثيابهم ، ويربطون على قلوبهم في انتظار الأذن لهم ، فألفوا الملك مضطجعا على أريكته يطل من فوديه بصيص المسك ، وقد نام على فخذه سيف يلتوي كالأفعوان وبين كتفيه حراس سمر الوجوه كالرماح قدا ، والأسود مظهرا ، وجلست حاشيته وخاصته عن يمين وشمال ، وما كاد نظر الملك يقع على هذا الوفد ، حتى اعتدل وصاح فيهم :ـ هذا أنتم ؟ .. والله لأسوين الأرض بكم ، ولأخضبنها بدمائكم ، ولأجعلن عالي منازلكم سافلها ولأتركنكم مثلا للغابرين .

فزع الوفد من صوته ، وارتعشت أيديهم لحدته ، فطأطأوا رؤوسهم لغضبه حتى كأنهم ينتظرون سيف الجلاد في صبر واستسلام .

ثم جمع الحبر (شريح) شجاعته وتقدم نحو العاهل خطوة وأخرى وقال :ـ

حفظ الله الملك ، فانه أجل من أن يستخفه غضبه ، أو تنسيه الوشاية أناته ، أو يضيق بنا حلمه ، أو يخرم

صفحه ، وهذه البلد التي بيت لها من بيتوا مهجر نبي عربي .

حاشية الملك في فرح – نبي عربي ؟ ،

شريح – نعم نبي عربي منكم يبعث بدين ابراهيم عليه السلام .

رئيس الحاشية زه (زدنا)

فانشد شريح يقول :–

شهدت على احمد انه
نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه
وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور
وأمته هي خير الأمم

ثم طأطأ شريح رأسه ، وراح يغالب عبرة تجول في محاجره وكادت تغلبه . لولا أن بادره تبع اليمن بقوله وهل نشيجك هذا حنين الى هذا النبي المنتظر ، أو رعب من سوء المصير ينتظرك ومن ورائك من بني جنسك لسوء ما تقومون به نحو أبناء عمومتنا من شره وطمع وظلم وجشع .

● شريح – لا وحق الملك ، ما نشيجي رعبا ولا فزعا ، ولكن لأن في إبادتنا وتخريب منازلنا – هدم لما جاءت به التوراة وما نعتقده من ظهور النبي العربي الذي يبعث رحمة للعالمين ، ولقد انشدت فيه ملحمة طويلة ضمنتها ما جاء في التوراة في صفاته ، اذكر منها ما يحضرني الآن ، اذا سمح مولاي الملك –

● الملك – هات ما يحضرك ايها الحبر ما دامت في نبي عربي .

شريح –

ويأتي بعدهم رجل عظيم
نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمد ياليت أنى
اعمر بعد مبعثه بعام

ثم نشج باكيا وبكى معه بعض الاحبار والرهبان ولفيف من بطانة الملك ثم تقدم الحبر شاؤول ، وتبوأ مكان شريح وقال : –

مولاي الملك ، إن هذا البلد مهجر نبي من بني اسماعيل ، مولده بمكة ، واسمه أحمد وهذه دار هجرته ومثواه ، وإن منزلك هذا الذي أنت فيه ، سيكون فيه من قتلى أصحابه – امر عظيم .

تبع – ومن يقاتله وهو نبي ؟

شاؤول – قومه .. ينفسون عليه ويحقدون .

تبع – وأين قبره ؟

شاؤول – بهذا البلد .

تبع – واذا قوتل فلمن تكون النصرة ؟

شاؤول – تكون له مرة وعليه أخرى ، ثم تكون له العاقبة ، وسيظهر حتى لا ينازعه أحد .

تبع – وما صفته ؟

– إنه صاحب العمامة والهراوة .. جعد الشعر .. مفلج الأسنان .. صلت الجبين .. بين كتفيه خاتم النبوة على شكل بيضة الحمام ، ينبت فيه شعيرات وخيلان .

رئيس الحاشية – أرجو أن يسمح

الملك لبعض خدامه من الحاشية ــ في البقاء بهذه البلدة ، حتى ندرك هذا النبي أو يدركه أبناؤنا .

طأطأ الملك رأسه .. وساد المجلس صمت طويل عميق ثم اعتدل الملك وقال :ــ

إن فراقكم علي لعزيز ، ولكني احب لكم ما تحبون لانفسكم ، راجيا لكم طيب الاقامة ، ولكل منكم ألف دينار وجارية ، وإذا ظهر هذا النبي بينكم ــ فاذكروني عنده ، وابعثوا إلي بشأنه حتى أوافيه وأغسل عند قدميه .

***

هرعت قريش من أنديتها على نشيج حزين وبكاء مفزع ، فالفواعن بعد رجلا طويل القامة . عريض المنكبين كبير الهامة ، وقف بين (اساف ونائلة) حيث تنحر الضحايا . وتقدم القرابين ، في إحدى يديه مدية مرهفة ، وفي اليد الأخرى معصم شاب جميل الطلعة ، مشرق المحيا ، هادىء النفس .. فنفروا نحوه مثنى وجماعات ، وما اقتربوا منه حتى عرفوا فيه سمة عبد المطلب ابن هاشم ولحوا في وجه الضحية المنتظرة إشراقة ولده عبد الله .. انضر اولاده جمالا ، واصغرهم سنا ، واسمقهم عودا ، واحفلهم صحة وشبابا فابتدره المغيرة بن مخزوم .

ــ ما الذي تصنع يا ابن هاشم ؟

عبد المطلب ــ أزمع التضحية بولدي هذا قربانا للآلهة .

المغيرة ــ ولم ذلك ؟

عبد المطلب ــ لقد وقفت يوم زمزم بين عناد قريش ومساومتها فيما امرت به من حفرها ، ورأيت منهم روح الاستخفاف بقوتي ، والاستهانة بقلة انصاري ، فتمنيت على الآلهة الأماني ونذرت لهم نذرا : اذا بلغ عدد اولادي عشرة من الذكور ، وشارفوا سنا يمنعونني عندها من الناس ــ ان اضحي بأحدهم .. وهأنذا ابلغ منيتي . ويستجاب رجائي ، ولم يبق الا الوفاء بنذري ، وقد وقعت القرعة على اعز ابنائي علي وهو عبد الله .

المغيرة ــ وحق الآلهة لا تذبحه حتى تعذر فيه ، والا كانت سنة بين العرب ، فاذا أمكن فداؤه بالأموال افتديناه .

عبد المطلب ــ ولكن وقوع القرعة عليه دون إخوته ــ دليل على رضاء الآلهة به ضحية ووفاء .

المغيرة ــ وكذلك قبول البدل سيكون محل رضاء الآلهة ، فها نحتكم إلى كاهنة (خيبر) لترى رأيها في ذلك .

عادوا من لدن الكاهنة ثم عرضوا رأيها على كاهن هبل فراح يبدي ويعيد ويهمهم ويتمتم ، ثم وقف بين الناس وأعلن رضاء (هبل) عن فداء عبد الله بمائة ناقة تذبح وتترك لا يصد عنها إنس ولا وحش ولا طير فكانت الفرحة الغامرة والرضاء المسعد بين الجميع . والهتاف المدوى .. اعل هبل .. اعل هبل .

وشاء عبد المطلب ان يزيد من افراح بني عبد مناف ، فصحب عبد الله إلى دار وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة ، يطلب له يد آمنة بنت وهب .. وكانت عملية الاستعداد

لذبح عبد الله قد طافت أنباؤها بمكة والطائف وما بينهما ، وشدت انتباه الجميع إليه غدوا ورواحا ، وكان له من سمهرية العود . ونهاد الصدر . وجمال الوجه وجلال الطلعة . ومجافاة المجانة ـ ما زاد من شهرته ، واشعل في صدور الغواني نار حبه والترامي عليه ، فرحن يرمقنه بجفون ناعسة . وعيون مريضة . ويخلقن الأسباب للتحدث إليه ، كلما مر بحي بني زهرة بعد أن عرفن مواعيد غدوه ورواحه ، فقالت له إحداهن يوما .

يا مسرعا والناس من حوله
لم يأن لغاد رواح

فالتفت نحو الصوت الحاني ، فقالت الأخرى على البديهة .

يا مطرقا والأرض من حوله
يزينها حسن الوجوه الصباح

وما كاد يلتفت نحوها حتى بادرته الثالثة .

عرج علينا ساعة فعنـ
ـدنا ان شئت روح وراح

وقف عبد الله محاصرا بين الحسان الثلاث يشرقن بوجههن ، ويصدن بأهدابهن ، دون ان يدري من امرهن شيئا ، إلا ان تكون مؤامرة دبرت بليل ، ويأبى إلا أن يعرف سرها ونجواها ، فتحدث إليهن قائلا ما خطبكن ؟

فنظرت اليه عاتكة نظرة تدلل واغراء وقالت .. حيهل فستعرف خطبنا عند اللقاء .. ثم قفت عليها ام قتال وقالت : ومتى رخصت الاسرار حتى تنتشر في الطرقات على كل راغب ؟ .. الينا .. الينا .. ننبئك بنبأ عظيم .

فوقف عبد الله حائرا بين المضي إلى أهله ومطاوعة غريزة التطلع إلى ما وراء هذه الأنباء . فأدركن منه ترددا .. فأخذت فاطمة تكرر على مسمعه في صمت مسه الحب ونبرة شواها الحنان .

عرج علينا ساعة فعنـ
ـدنا إن شئت روح وراح

ثم اختلت فاطمة وصاحبتاها، ولم تكن الخلوة إلا رجاء دامعا .وتوسلا ضارعا ، في أن يدعنها وحدها مع عبد الله إرواء لظمئها . وإطفاء لشوقها ولهما بعد ذلك ما شئن منه .. ولم يلبث عبد الله ان رأى أمامه فاطمة وحدها في أجمل حلة وأبهر زينة علها تستطيع أن تثير فيه غريزته ولكنها لم تصب منه الا الجد المتجهم . والحزم الصارم . ولما لم ينفع معه هذا الاغراء جلست تحدثه .

ـ من أين وإلى أين ؟

ـ من الحرم إلى منزل الأصهار

ـ أصهار !!؟ وهل صاهرت ؟ ومن هؤلاء الأصهار ؟ وبمن بنيت ؟

ـ صاهرت وهب بن زهرة وبنيت بآمنة بنته .

آمنة ؟ يالها من مجدودة سعيدة .

ـ ولكن أما وقد دخلت يافتى دارنا .. فلا بد أن نصيب منك وتصيب منا شيئا .

عبد الله غاضبا .. شيئا ؟ وما هذا الشيء ؟

فاطمة تتراجع شيئا من قرى
عبد الله ـ لست ضيفا على هذا الحي .
فاطمة ـ ثم ماذا أنت صانع بعد الأعراس بآمنة ؟
عبد الله ـ لعلي راحل إلى الشام على رأس قافلة بني عبد المطلب .
فاطمة ـ لست يا فتى أهلا لمرارة الأسفار وضنك الاغتراب .. اقم عندنا ولك من المال ما تهوى وتحب .
عبد الله ـ في مقابل ماذا استولي على هذا المال ؟
فاطمة ـ للتمتع بوجهك الوضيء . وشعرك الفاحم . وقوامك السمهري . ثم زرفت دموعها . وقالت : نادمني يا فتى وتحدث إلي .. ففي وضاءتك ما يشعل صدري بنار الهوى وفي سواد جفونك ما يحز في نفسي حز المدى . وفي محياك ما اطاح بالكرى . وقرح مني الجفون .
عبد الله ـ لقد أعرست وكفى ..
فاطمة ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟
عبد الله ـ

فاطمة ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟
عبد الله ـ

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه
يحمى الكريم عرضه ودينه

* * *

جلست آمنة بنت وهب ـ في بيتها وحولها الكثيرات يتحدثن فيما سوف يعود به عبد الله من أزياء الشام وعطورها وحلواها وما يحمله من وصف انهارها وحدائقها وقصورها وجناها ، وهن فرحات مرحات ، الا ما كان من امر سيدة لاذت بالصمت وتظاهرت بالاحتشام ولم تكن هذه السيدة الا (سمراء) زوجة عبد المطلب وأم الحارث الذي توفي منذ زمن بعيد ، وانها بذلك ثكلى قد خف حزنها عليه على مر السنين وبقى منه صمت واطراق غير ان مرح الحاضرات بقرب وصول قافلة عبد الله أثار حزنها القديم على ولدها الذي كانت ترجو حياته ليكون بين القادمين يحمل خير الشام وأرباح التجارة .

جلست سمراء الى جانب آمنة تلح عليها ألا تكثر من الحركة لأن في بطنها جنينا فتقول لها آمنة : واعجبي من امر هذا الجنين ، فالنساء يحملن فيصبن في الاشهر الاولى بالغثيان ثم بالبهر والثقل والألم ، بينما لم تمر بي هذه الأعراض ، فهل انا واهمة ؟ غير اني رأيت في منامي نورا يخرج مني فأضاء لي قصور بصرى والشام ، ثم رأيت مرة أخرى هاتفا في منامي يقول : يا آمنة .. لقد حملت بسيد ـ هذه الامة ، فاذا وقع على الارض فقولي : **أعيذك بالواحد من كل شيطان مارد ، وعين كل انسان حاسد ثم سميه محمدا .. فاخذت سمراء بمعصم آمنة وضغطت عليه بشدة ، وقالت : لا تحدثي أحدا بذلك حتى لا ينفس عليك ما حباك الله به .**

وبينما كانت آمنة وسمراء تتجاذبان أطراف الحديث ــ كان خيال (هالة) أم عبد الله يستعرض ما مر بولدها خلال اسفاره المضنية من رعاية القافلة وتوفير الميرة والماء لها ، وتسويق ما معه وما هو بحاجة اليه استثمارا للمال وتكثيرا للربح ، كما كانت تستعرض ما ستكون عليه آمنة من مشاعر الفرح والسرور ، ثم ما تكون عليه مشاعر عبد الله حين يرى زوجه الحبيبة لاول مرة بعد سفره الطويل ، وحين يعلم انه اصبح والدا لاول مرة في حياته ، ثم قطعت عليها ــ حبل تصوراتها ــ همسات من الحاضرات ، وشهقات دون وعي وانسحاب مكتئب ، ثم علمت ان القافلة وافت مشارف مكة وان عبد الله تخلف عنها لمرضه ، وحاولت (هالة) أن تتكتم ما علمته حفاظا على مشاعر آمنة ، ولكن هيهات للألسن أن تستطيع التحفظ على مثل هذه الانباء فانفجرت باكية ، وضاقت الدنيا امامها واسلمت رأسها لصدر (سمراء) التي طوقتها بحنانها وراحت تقول : لها : لا عليك يا بنية .. لا عليك .. فعبد الله سليم معاف وسيعود في القريب .

ثم اطلت (سمراء) من النافذة فوقع نظرها على (مربد بن خزيمة) فنادته وخلت به وكان محرما لها وسألته عن انباء عبد الله فقال لها في صوت خافت .

يا عمة ان عبد الله مريض ولكنه لن يعيش طويلا لقد تركناه في يثرب عند اخواله من بني النجار ، وكان جسده كجمرة متقدة بنار الحمى وكأني ارى قبره الان على بعد الشقة بيننا .

سمراء ــ قبره أهو مات ؟

مربد : لم يمت ولكن حاله لا يبشر بخير .

* * *

استيقظ عبد المطلب بن هاشم على قرع بابه الكبير يدوي صداه في هجعة الليل وسكونه ، فظنه طنين رؤيا ثم عاد الطارق يدق الباب مرة اخرى ، حتى بلغ آذان النائمين فنهض عبد المطلب من فراشه ، وأطل من نافذته وعرف أن الطارق هو (فاره) خادم بني وهب وأنه لا بد وأن يكون هناك من الأحداث ما يدعو إلى إيقاظه في مثل هذه الساعة ، وماذا عساه يحدث بعد أن مات ولدي عبد الله ، إلا أن تكون آمنة قد وضعت وهذا شهرها .. لعل هذا أو بعضه ــ ما كان يدور في خلد عبد المطلب وهو في طريقه الى حي بني وهب ، وما هي الا لحظات حتى كان في منزل أصهاره . تستقبله أعراف فوق المسك طيبا ، والعنبر شذى وسهام انوار لم تقو عينه على إشعاعها لا يدري مبعثها ولا أين منتهاها ، فأيقن أنه رجاء موعود ، وآيات مولود غير أنه وجد آمنة كعادتها هدوءا ورضاء وبسمة وضياء ، فلا شحوب ولا دماء . ولا بهر ولا إعياء فكاد ينكر ظنه ويتجاهل حدسه ، لولا أن رأى في زاوية المكان نورا ينبعث من خلف غلالة رقيقة ، كما ينبعث نور القمر من خلال سحاب

شفاف ، فأقبل عليه وحمله وقبله ثم لفه في غلالاته ، وحمله وخرج به إلى الكعبة يطوف به تبركا وهو يرتجز :

الحمـد لله الـــذي اعطاني
هذا الغـلام الطيـب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان
اعيـذه بالبيـت ذي الاركان
حتـــى أراه بالـــغ البنيان
اعيـــذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطـرب العنان

تكشف وجه الصباح عن وافدات البوادي يحملهن رواحل هزيلة عجفاء يسرن صوب مكة في بطء السلحفاة وبينهن امرأة يحملها اتان ويقـود زوجها شارفا وكلهم ضامر ونحيل ، فتوافدت عليهن الأمهات تقـدم كل واحدة رضيعا الى مرضعات البادية ، ومعهن الطـرف والهدايـا واجـور الأرضـاع ، فأقبلت الوافدات عليهن يتعارفـن ويتجـاملن ويســتقبلن الرواضع في جذل وسرور ، ويتناولن من الطعام والهدايا ما يسد الرمق ، ويخفف آلام الجوع .. اللهم الا ما كان من أمر امرأتين : احداهما لم تصب رضيعا ، والثانية تتهيب التقدم نحو المرضعة لقلة ما تحمل من الهدايا واجر الارضـاع ، ثم سعت المرضعة تقول لزوجها .

– اني اكره ان اعود دون صويحباتي بلا رضيع وسأذهـب الى هذه الأم اسألها شأنها وتحذرها فقيل لها : إنه يتيم وفقير .

حليمه – في حزن – أفقير ويتيم ؟ هاته لعل الله يجعل لنا منه بركة ، ثم كشفت عن غلالة وجهه – فشهقت وصاحت بالعناية السماء .. انه لملك كريم ، ما رأيت مثل هذا الوجه على جسد مولود ، واقبلت عليه بثديهـا فشرب .. ثم اعطته الثاني فسمـع بكاء اخيه من الرضـاع ، فعف عن اللبن حتى يرضع اخوه ثم تلفتت عن يمين وشمال وقالت لزوجها .

– واين صويحباتي من نساء بني سعد ؟

الحارث – لقد رحلن برواضعهـن فرحات موفورات .

حليمة – هيا لنلحق بهن .

الحارث – وانى لنا بذلك وهذا أتاننا وشارفنا هزيلان نحيلان من وطأة الجوع .

حليمة – مسرورة – انظـر .. هذه ناقتنا قد انتفخ درها باللبن ، وهذا ثديي يتفصد بما فيه من خير بعد ان شرب منه الرضيع المبارك ، فلعـل الذي فجر اللبن – يخلق من البطء سرعة ، ومن الضعف قوة .

الحارث – صدقت اني لأشعـر يا حليمة اننا قد حملنا نسمة مباركة وانا سنرزق به .

وما هي الا سويعات حتى كانت حليمة ومن معها في مقدمة ركب بني سعد ، وانها تحاول اثناء أتانها حتى لا يتخلف الركب عنها ، والكل في دهشة لما يرون من سرعة الأتـان والشارف ، وما ان حطوا رحالهـم حول الخيام ، حتى هطلت الأمطار وازداد الأدرار ، ثم نبـت الـكلأ ، وفاض الخير لعدة سنين فوق الأرض

التي وطئتها أقدام الغلام المبارك الكريم .

هاهم بنو سعد يتزاحفون ، في خيلهم ، رجالهم ونساؤهم ، وامامهم عبد الله بن الحرث طفلا صغيرا ممتقع اللون ، لاهث الأنفاس ، وامه حليمة خلفه تولول وتقول .
يا يتيماه يا حبيباه ، حتى وقفوا فجأة امام محمد الصغير شاحب الوجه مرتجف الجسم ، فهوت عليه تضمه الى صدرها في حنو وقوة ، ولا ترفعه عن صدرها الا لتقبله ثم تبكي بدموع الحنان والفرح بنجاته ، وتقول : لا زلت حيا بعد كل هذا يا حبيباه بأبي انت وأمي وأبنائي ، حدثني ما دهاك من هذا الرهط الذي اختطفك .

الغلام المبارك ــ بينما كنت مع اصحابي ، اذ أتاني ثلاثة رهط فأضجعوني على الارض ضجعا لطيفا ثم شق احدهم ما بين مفرق صدري الى ما بعد سرتي ، بينما انظر اليهم لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشائي فغسلها بالثلج فاحسن غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها يمنة كأنه يتناول شيئا ، فاذا بخاتم في يده من نور فختم قلبي ، ثم اعاده مكانه ثم قال احدهم لصاحبه تنح عني فمر بيده على موضع الشق فالتأم ، ثم اخذ بيدي فأنهضني انهاضا لطيفا .

الحارث ــ اخشى ان يكون غلامنا قد اصيب .

حليمة ــ وماذا ترى ؟

الحارث ــ ان نلحقه بأهله ، لقد رأيت الغمامة وهي تظله ذهبة وجيأة ، ورأيت احبار اليهود يتنطسون أخباره ، وسمعت ما فعله الرهط به ، واني لأخوف ما اكون عليه .

ــ اردفت حليمة الغلام المبارك فوق أتانها في الطريق به الى مكة ، وكلما دنت منها اشتد الزحام ــ وهي بين كل هذا ساهمة حزينة لقرب فراقها لمحمد الغلام المبارك ، ثم تفقدته فجأة فلم تجده فنزلت عن اتانها تجري هنا وهناك تولول وتقول :ــ

اللهم ادراكبي محمدا
اده الى واصطنع عندي يدا
انت الذي جعلته لي عضدا
لا يبعد الدهر به فيبعدا
انت الذي سميته محمدا

● ● ●

دخل عليه حارسه يستأذن لوفد قريش ، فاعتدل من ضجعته واذن ، فوقف عبد المطلب خطيبا مهنئا بانتصار الملك العربي سيف بن ذي يزن على جيش الأحباش ، فشكره الملك واستبقاه شهرا في ضيافته ثم اغلق الأبواب واستدعاه الملك اليه واجلسه على عرشه ، وقال له :ــ

يا عبد المطلب اني مفض اليك بأمر

لو يكون غيرك لم ابح به ، ولكني رأيتك موضعه واطلعتك مطلعه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ امره .. اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون خبرا عظيما وخطرا جسيما .

عبد المطلب ـ مثلك ايها الملك من سروبر ، فما هو فداك اهل الوبر والحضر زمرا بعد زمر .
سيف ـ اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الأمامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة .
عبد المطلب ـ لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك واكرامه ، ومحبته واعظامه ، لسألته مزيدا من هذه البشارة .
سيف ـ هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد .. يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه .. قد وجدناه مرارا والله باعثه جهارا .. وجاعل له منا انصارا ، يعز بهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه .
عبد المطلب ـ ايها الملك عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل تخبرني بافصاح بعد هذا الايضاح .
سيف ـ والبيت ذي الحجب ، والعلامات والنصب ، انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب .
عبد المطلب ـ يخر ساجدا .
سيف ـ ارفع رأسك ثلج صدرك . وعلا امرك . فهل احسست شيئا مما ذكرته لك .
عبد المطلب ـ ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه مشفقا حدبا . زوجته كريمة من كرائم قومه اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة وفيه كل ما ذكرت من علامة . وسميته محمدا . مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه .
سيف ـ الأمر ما قلت فاحتفظ بابنك . واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء . ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . فاطو ما ذكرت عن هذا الرهط الذي معك . فاني لا آمن من ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لهم الرياسة . فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل . ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار مهاجره . ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه العاهات . لأعلنت امره على حداثة سنه . وأوطأت أقدام العرب عقبه .

ثم امر الملك لكل واحد ممن معه بعشرة اعبد وعشر اماء سود وخمسة ارطال فضة ، وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوء عنبرا . وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك .

ثم عاد وفد قريش الى مكة وقال عبد المطلب لأصحابه قبل ان يغادرهم لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى النفاد ولكن ليغبطني بمن سيبقى لي ذكره ، ويسود بين الناس امره .
امية ـ وما هذا يا عبد المطلب
عبد المطلب ـ سيظهر وستعرفونه بعد حين .

في ذكرى الاسراء والمعراج

للاستاذ : عبد الغني احمد ناجي

سبحان من اسرى بخير المرسلين … اسرى به في صحبة الروح الأمين

من بعد ما لقيت خديجة ربها … ومضى الحمام بعمه في الراحلين

واشتد ناب الكفر في بث الأذى … لمحمد والمسلمين الأولين

لم يرض رب العرش ترك حبيبه … من غير تسرية تصد المشركين

نادى الاله حبيبه في ليلة … فاقت بهذا الدهر آلاف السنين

نادى الاله حبيبه ، وصفيه … ليرى من الآيات ما يمحو الأنين

سمع الاله أنينه ودعاءه … رب اهد قومي ، إنهم لا يعلمون

جازاه بالاسراء أسمى منحة … لم يعطها من قبله للمرسلين

الأنبياء جميعهم صلى بهم … رمزاً لختم الأنبياء السابقين

صعد السموات العلا معراجه … فدنا من الأنوار ، والعرش المكين

هو خاتم ، هو رحمة ، هو نعمة … وهداية للحائرين المدلجين

لم يدع مثل الأنبياء من الأذى … لم يطلب الاهلاك للمتجبرين

من رحلة الأنوار عاد محمد … معه الصلاة طهارة للمسلمين

طلع النبي على الورى بنبوءة … الاسراء والمعراج يمتحن اليقين

نجح الألى قد صدقوا خبر السما … ء وأذعنوا لله ، والحق المبين

ملأ اليقين نفوسهم وقلوبهم … تركوا المراء ، وفرية المتكبرين

أما الذين قلوبهم قد أغلقت … دون الهدى فلهم عناد المفترين

ضربوا الأكف تحيرا ، ولجاجة … قد أذهل الاسراء عقلا لا يلين

حسبوا الذي أسرى به هو مثلهم … فتعجبوا من معجزات المرسلين

إن الذي أسرى به هو ربهم … هو خالق الأكوان رب العالمين

هو موجد الأحياء تسعى في الدنا … هو خالق الانسان من ماء وطين

في الصخرة الصماء تحيا دودة … من ذا الذي منح الحياة لذا الدفين ؟

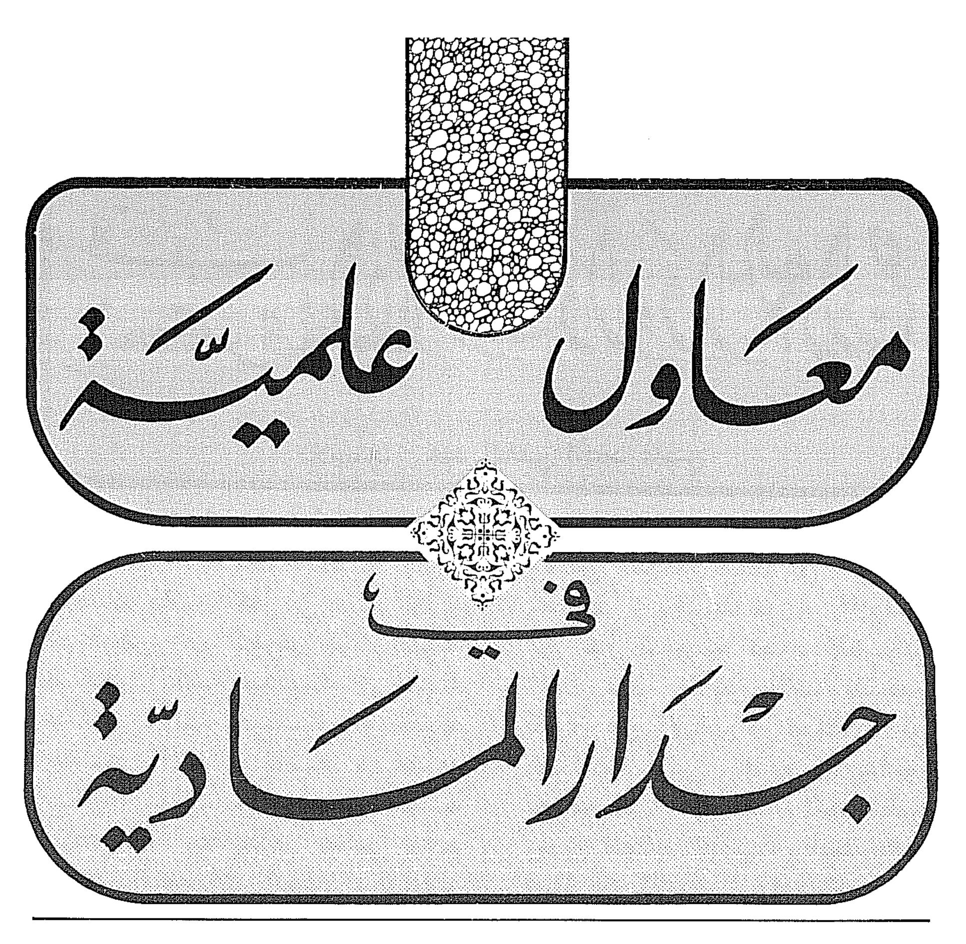
من ذا الذي اعطى العقول بعصرنا … هذا الذكاء لكشف مخبوء السنين ؟

سفن الفضاء بعصرنا قد طوفت … وغزت عنان الكون بالعقل الفطين

أفيعجز المولى عن الاسراء ، قد … خسر الذي مارى بعقل المنكرين

فلنعتقد أن الذي أسرى به … هو خالق الأكوان ، رب العالمين

ولندع رب الخلق أن يهب العرو … بة وحدة الأهداف والصف المتين



للدكتور : عماد الدين خليل

المنعطف الخطير

لقد جاءت محاولات تفسير الكهرباء والضوء منعطفاً خطيراً في تاريخ الحركة العلمية .. لقد استعصت طبيعة الكهرباء على الفهم ، رغم المحاولات المضنية التي قادت جميعها الى حقيقة « أن كل ما نعرفه عن الكهرباء هي الطريقة التي تؤثر بها في أدواتنا القياسية . والوصف المضبوط لسلوك الكهرباء على هذه الشاكلة يعطينا مواصفاتها الرياضية mahematical specifications وهذا بحق كل ما نعرفه عنها » .

الأوصاف وليس الماهيات .. هذا كل ما هنالك .. بمعنى اخر ، أن العلماء الكبار لا يزالون يقفون على الأعتاب ، ولم يفتحوا بعد الباب .. تمكنوا من الالمام بجوانب من تاثيرات الكهرباء ومؤشرات عملها .. أما هي .. كنهها .. تركيبها .. ماهيتها .. فلا يدري احد شيئا .. ومن عجب انهم ، وهم يقفون على الباب ، استخرجوا من الكهرباء هذه المنجزات التقنية العظيمة .. فكيف لو عرفوا الماهية نفسها ، ماذا هم صانعون حقا ؟

إن في الكون لطاقات مذخورة

هائلة ليست الكهرباء والذرة سوى مؤشرين عليها فحسب ، وإن على الانسان ان يحث خطاه الى مزيد من التنقيب والكشف .. وإن من يقرأ المقطع الخاص بتسخير الطاقات الطبيعية لسليمان ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم ، (سورة سبأ ، الآيات من ١٠ ـ ١٤) سيعرف كيف أن هذا التسخير كان بمثابة عطاء كبير جداً ، وسيعرف ـ ايضا ـ أن كتاب الله جاء لكي يفتح أعين الناس وعقولهم على ما ينطوي عليه الكون من طاقات وقدرات .

«لقد قبلت الكهرباء ضمن الأصول والأجسام التي لا تقبل الارجاع الى اصل سابق عليها ، لأنها تستعصي على التحليل والاحالة .. لقد قبل جسم جديد في الفيزياء لا نعرف عنه شيئا سوى بنيته الرياضية structure matematical وقد بدأت منذ ذلك الوقت تدخل في الفيزياء أجسام أخرى بنفس الشروط ، ووجد ان هذه الأجسام تلعب دوراً يماثل بالضبط ذاك الذي تلعبه الأجسام القديمة فيما يتعلق بتشكيل النظريات العلمية ، لقد أصبح الآن واضحاً ان معرفة طبيعة الاجسام التي نتحدث عنها لم تعد مطلباً لازما بالنسبة للفيزياء . بل تكفي بنيتها الرياضية ، وهذا يحق هو كل معرفتنا حولها . وقد جرى التحقق الآن من أن معرفة البنى الرياضية هي كل المعرفة العلمية المتوفرة لدينا حتى فيما يتعلق بأجسام نيوتن المألوفة ، وأن قناعتنا بأننا نعرف هذه الأجسام بصورة قريبة ما هو إلا مجرد وهم » .

العالم أم الفيلسوف ؟

لقد طأطأ العلم الرصين رأسه ، وسلم بالواقع بعد أن تجاوز مرحلة مراهقته العنيفة .. سلم بأن معرفة الاجسام الفيزيائية ما هي إلا مجرد وهم ، وأن ما تمت معرفته لحد الآن يتعلق ببنيتها الرياضية فحسب ، وتلك هي حصيلة قرون من النشاط العلمي !! ونحن نحاول أن نتفحص الجان والشياطين والروح البشري .. أن نخضعها للحصر المختبري .. حتى إذا أعيتنا الحيل اجتهدنا فقلنا : إنها ربما تكون غير موجودة .. وهنالك في أوربا نفسها فلاسفة وأدباء حاولوا أن يتكئوا على معطيات العلم كحقائق مسلمة منزلة من السماء ، وأن يبنوا عليها فلسفاتهم ورؤاهم ، لكي يضفوا عليها ـ هي الأخرى ـ صفة العلمية ..

ويتغير العلم .. ويتغير الاساس .. فاذا بنظرياتهم تتهاوى الواحدة تلو الاخرى .. هذا ما حدث بالنسبة لكثير منها في حقول الاجتماع والاقتصاد والنفس . إن المادية الديالكتيكية التي أقامت صرح نظريتها على معطيات العلم في القرن التاسع عشر ، والتي سميت بالعلمية ، ما لبثت أن تعرضت في القرن التالي ، وبخاصة في العقود الاخيرة ، لكثير من الهزات العنيفة ، لأن الأساس الذي بنيت عليه أخذ يتأرجح ويتمايل وتتهاوى بعض جوانبه .. وإذا كان العلماء أنفسهم ، أبناء المختبر والتعامل

التجريبـــي مع المواد والظواهـــر والأجسام ، يعترفون بأن أحكامهم ليست نهائية ، وأن ما تمكنوا من قطعه لم يتجاوز بدء الطريــق إلى الحقيقة .. فمـا لهؤلاء القـوم من الأدباء والفلاسفة الذين لم يدخلوا مختبراً ، ولم يجربوا ظاهرة ، يدعون بنهائية أحكامهم وثباتها وديمومتها ؟

إننا نقرأ على سبيل المثال عبارات كهذه لمؤلفي كتاب (عرض موجـز للمادية الديالكتيكيـة) : « تثبـت المادية الديالكتيكية إمكانية معرفـة جوهر الاشياء ، معرفة قوانين تطور العالم » « من ذا الذي سيصـدق اللاادريين الآن بأن هناك ما يسمونه (حدود المعرفة) ، في حين اقتحم الانسان الفضاء ، ووسع بصـورة كبـيرة جداً حدود معارفـه عن الكون ؟.. إننا إذ نعرف العلم ، نعلم الحقيقـة عنـه ، ونمتلك المعـارف الحقيقية » .

وإنها حقا لنرجسية فلسفيـة مالها من مبرر .. وإذا قال فيلسوف ما بصدد احدى المسائل شيئا وقال عالم ما شيئا ، فأحرى بنا أن نأخذ بمقولة العالم لأن أساليبه في البحث أكثر جدية وأتقن عملا .. وإننا هنا لنتذكر ذلك التساؤل ذا المغزى العميق الذي يطرحه « سوليفـان » « لماذا يترتب على الانسان ان يفترض بأن الطبيعة يجب أن تكون شيئا يستطيع مهندس القـرن التاسـع عشر أن يستحضره في ورشته ؟ »

لم يكشف النقاب عن العالم

بعد تكشف هذه النتيجة بصدد المعرفة العلمية « لم تعد المسافة طويلة بيننا وبـين موقـف « ادينغتـون » eddington القائـل : بأن معرفـة البنية الرياضية هي وحدها المعرفة التي يستطيع علم الفيزياء أن يقدمها لنا . إن هذا التحليل يبدو لنا اكثر التحليلات الفلسفية التـي ظهـرت للفيزياء الحديثة استنارة ومتانـة . وإنه ليبدو صحيحاً أن العلم المضبوط exect هو معرفة ما يسميه ادينغتون بقراءة المؤشر Pointer Reading أي القراءة التي تشير إليهـا أداة من أدوات القياس » .

أكثـر من هذا .. أن العلمـاء التجريبيـين عادوا الى القوانـين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء ، وكل ما في عالم المادة من كهارب وذرات ، فوجدوا أن لها قانوناً واحداً هو الخطأ والاحتمال . امـا القائمون بهذه التجربة ، كما يحدثنا العقاد في كتابه (عقائد المفكرين في القرن العشرين) ، فقد كانوا ثلاثة من أقطاب العلوم في مطلع القـرن العشرين : « ماكس بلانك » plank max « ألبولوني وورنر هايزنبـرغ » werner heisenberg الألماني و « اروين شرودنجـر » erwin schrodinger النمسوي ، والأولان منهم صاحبا جائزة نوبل في العلوم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ و١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان ، وحجة لا تعلو عليه حجة في مسائل الطبيعيات على العموم .

فبلانك هو صاحب نظرية المقدار او

(الكوانتم) وخلاصتها ان الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة التالية من القفزة الاولى إلا بالتقدير والترجيح ، وان صحة التقدير لا تتفق إلا يسيرا ، لأن أجزاء الكهارب تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير .

وهايزنبرغ هو صاحب نظرية (الخطأ والاحتمال) في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب أن الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقهما في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرب بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تليها ، وأن التجربتين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتيان بنتيجة واحدة ، بالغاً ما بلغ المجرب من الدقة والاتقان .

وأما « شرودنجر » فهو المجرب المحقق الذي اسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية « اكسنر » exner وهي أن تقدير ما سيحدث تطبيقاً للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم . واذا دققنا في التمييز فليس هو بالاحتمال الذي يوصف بأنه جد قريب . ومن مقررات « شرودنجر » في محاضراته العديدة أن القوانين التي تنطبق على الذرات في البنية الحية ، وان الصورة form هي قوام المادة ، فلا يصح أن يقال : إن هذه الذرة الصغيرة في المادة ، هي نفسها التي وجدناها قبل لحظة ، ونرصدها بعد لحظة تالية ، إذ ليس لهذه الذرات ذاتية ثابتة ، تبقى في جميع هذه الأرصاد Sameness .

هل نتيجة ذلك ـ يتساءل العقاد ـ أن نسقط حساب الأسباب والعلل ونلغي القوانين الطبيعية ؟ إن بلانك نفسه لا يقول بذلك ، ويقول في كتابه (الى اين يذهب العلم ؟) (where is science going ?) « إن الاسباب الطبيعية عاملة في كل حال وإنا لو حققنا موضع كل كهرب ، وسرعته ، ووزنه ، أمكننا أن نعرف حركته التالية بغير خلل في الحساب ، فاذا كانت مراقبة الملايين من الكهارب تعطينا نتيجة تقريبية فالنقص ناشئ من جهلنا بحالة كل كهرب على صدق ، لا من خلل القوانين الطبيعية » .

وذلك هو مصداق الأطروحة القرآنية في هذا الصدد : إن العالم محكم التركيب لأنه من صنع الله سبحانه :(**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر /٤٩ (**الذي احسن كل شيء خلقه**) السجدة /٧ (**إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء**) آل عمران /٥ ، وأن المشكلة تكمن في القدرة البشرية نفسها على فهم العالم ، وذلك هو التحدي الذي يدفع الانسان إلى مزيد من الجهد للكشف عن سنن العالم ونواميسه .. باختصار .. إن العالم لم يكشف النقاب عنه بعد ، وسوف لن يكشف بشكل نهائي ، وهذا ما توحي به اكتشافات العلماء آنفي الذكر في حقل الفيزياء الذرية ، لأنه يوم يتكشف العالم أمام وعي

الانسان وإدراكه ، فلن يكون هناك جهد أو إبداع .

تناقض مع معطيات العلم

المادية الديالكتيكية تذهب في مقولاتها إلى عكس هذا ، ناقضة بذلك معطيات العلم التجريبي نفسه .. إن العالم يمكن فهمه ، بل إنه قد فهم فعلا ، وأن الذين يرون خلاف هذا هم بعض فلاسفة من المثاليين اللاأدريين ، يشجعهم البورجوازيون ويعملون على نشر ضلالهم !! « يزعم بعض الفلاسفة المثاليين — تذكر المقولة — بأنه لا يمكن معرفة العالم . وقد أطلق على هؤلاء اسم اللاأدريين . إن اللاأدرية (agnosti cisme) تنكر إمكانية معرفة العالم ، والفلسفة البورجوازية المعاصرة تنشر هذا الاتجاه بصورة واسعة .

« ما هي الحجج التي يسردها اللاادريون لاثبات وجهات نظرهم ، وهل لها اساس ؟ معلوم أنه لا يمكن إدراك العالم إلا بواسطة أعضاء الحواس ، النظر ، السمع ، اللمس ... الخ .. ولكن هذه — كما يقول اللاادريون شهود غير ثقات أبدا . كم من مرة خدعتنا أعضاء الحواس ؟ إن ملعقة الشاي في الكأس المملوء بالماء تبدو لنا مكسورة معوجة ويبدو البيت من بعيد أصغر مما هو عن كثب . ونظرا لهذا لا يجوز تصديق أعضاء الحواس . هذا هو استنتاج اللاادريين ، فهل الامر كذلك في الواقع ؟ لو سلمنا بما يقول اللاادريون لفكرنا أن الانسان لا يقوم بشيء سوى أنه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به .. ففي العمل . في التطبيق ، يحوز الانسان على كل ما هو ممكن وضروري لتدقيق ما تشير اليه أعضاء الحواس ، وبلوغ جوهر الأمر ، والنفاذ إلى أعماق الظاهرات المدروسة . وفي المثل الذي أوردناه يكفي سحب الملعقة من الماء بغية البرهنة على أنها سليمة » .

فها نحن نرى في العقود الأخيرة من عصر العلم أن الذين يقولون بعدم القدرة على معرفة العالم ليس بعض الفلاسفة المثاليين ، أولئك الذين أطلق عليهم اسم (اللاادريين) (وتعبير مثالي ولا أدري ، وغيرهما من المصطلحات التي يعرف الديالكتيكيون كيف يستخدمونها بغزارة ضد خصومهم ، هذان التعبيران مقصودان وقد اريد بهما تعزيز وجهة نظر فريق المادية القائل بالقدرة على فهم العالم ، لأن الطرف الآخر هو — بالضرورة — غير علمي ولا عقلاني ، وإنما هو مثالي .. لا ادري .. هكذا) ، ومهما يكن من أمر فان القائلين بهذا اليوم ، هم العلماء بالدرجة الاولى ، العلماء الكبار ، تلامذة المختبر والتجريب والتعامل العلمي مع المادة ، بينما يبدو زعماء المدرسة المادية الديالكتيكية : ماركس وانغلز وتلامذتهما ، أقرب الى خط الفلسفة ، وهم يطلقون أحكامهم ومقولاتهم (الفلسفية) بعيداً عن التعامل المباشر مع المادة . فمن من الطرفين يا ترى أحق بالتصديق واكثر إقناعا ؟ العلم الذي يقول لا اعرف كنه

العالم ، أم الفلسفة التي تدعي اطلاعها عليه ؟

صيغ جاهزة !!

وثمة معايير وصيغ أخرى في المقولة الديالكتيكية السالفة تتضمن هي الأخرى قدراً من سوء الفهم المقصود ، وأبرزها تلك التي تقول : « بأنه لو سلمنا بما يقوله اللاادريون لفكرنا ان الانسان لا يقوم بشئ سوى انه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به » .. ولكن الذي يحدث هو أن النشاط العلمي الأكثر فاعلية وذكاء ، هو الذي يعلن ــ بتواضع الواثقين ــ أنه لم يئن الأوان بعد للكشف عن سر العالم .. ومع ذلك فانه من موقفه هذا لا يسير ، وينظر بعجز إلى الأشياء المحيطة به ، ولكنه ينظر إليها بصيغ أكثر عقلانية ، ونشاط مختبري لا يعرف الجلوس وراء المكاتب لتدبيج عبارات فلسفية تريد أن تنتزع من العلماء أخص ما يمتازون به ثم تدعيه لنفسها !!

مرة اخرى نلمس في المقولة السابقة تعابير ومواقف تند عن التحليل العلمي المقنع ،وتنبثق عن رغبة المادية وإصرارها إلى حد التشنج على ربط كل مسألة فلسفية عامة بمعضلة الصراع التاريخي الطبقي الذي يجري على ساحة الواقع . وهكذا نجد الديالكتيكية ، هاهنا ، تتهم الفلسفة البورجوازية المعاصرة بنشر اتجاه اللاادريين بصورة واسعة .

حيادية المعطيات العلمية

فاذا ما تجاوزنا التشنج المذهبي ، وجدنا أن الذين يقولون بعدم القدرة على فهم العالم هم علماء المختبر أنفسهم ، وأن معطياتهم لتتخلق في ظروف حيادية وتخرج إلى حيز الوجود ، وهي لم تزل تحمل طابعها الحيادي ، فاذا ما حدث وأن استغلتها فلسفة من الفلسفات او اتكأت عليها لتحقيق أهداف قد تكون غير موضوعية ، أو غير انسانية ، فان هذا لا ينفي السمة العلمية لتلك المعطيات ويدمغها هي الاخرى بالخطأ والقصور والانحياز !!

أما لماذا تقوم الفلسفة البورجوازية بنشر اتجاه اللاادرية بصورة واسعة ، فلأن الأمر ــ كما تدعي الديالكتيكية ــ يقوم على إخفاء حقائق القوانين النهائية التي تتحكم بحركة العالم ، وتاريخه والتي كشفت المادية الديالكتيكية عنها النقاب ، وأبرزها لاريب صراع الطبقات ..

ولكن ألا يجوز أن يثور المظلومون على جلاديهم ، ويربحوا المعركة قبل أن يكشف السر عن قوانين التاريخ الحتمية ؟ إذن كيف نفسر تاريخ البشرية الملئ بالثورات والانتفاضات ؟ كيف نفسر العشرات بل المئات من الانتصارات التي حققها المستضعفون ضد جلاديهم ومضطهديهم ؟

غريبان عن العالم الجديد

إن الفلسفة ، بما فيها الديالكتيك العلمي تميل دائما للتعميم ، لأن تطلق أحكاماً نهائية ، فتقع شاءت أم أبت ، في مستنقع المثالية ، وتقسر

الحقائق على أن تتكيف لكي تجد لها مكانا في قالبها الصارم .. إن « ماركس » و « انغلز » اتهما هيغل بأن فلسفته تمشي على رأسها .. ولكنهما عادا فصمما فلسفة تمشي على بطنها .. على معدتها .. إن أموراً كهذه قد تجد لها مكانا في ميدان الفلسفة ، ولكن الأمر يختلف في ساحة العلم ، ميدان التجربة والاختبار والأناة .. حيث لا يستطيع احد أن يدعي معرفة العالم كله ، واكتشاف سره المكنون بعيداً عن انتماءاته الطبقية ، فالمختبر ليس نظاما سياسيا أو تشريعا دستوريا ، لكي يحمي مصالح هذه الطبقة أو تلك !!

ومن حسن الحظ أن المادية الديالكتيكية تعترف بأنها تبني هيكلها على المقولات الفلسفية ، وأن الفلسفة ، لا العلم ، هي التي تصوغ المفاهيم العامة « .. إن أعم خواص الأشياء تنعكس في المقولات الفلسفية ، في مقولات معروفة لدينا الآن مثل (المادة) و (الحركة) و (الزمان) و (المكان) و(الكيفية) و (الكمية) و(التناقض) .. الخ إن المقولات الفلسفية هي أعم المفاهيم ، وبالتالي يستحيل الاكتفاء بالمقولات التي تصنعها الفيزياء والكيمياء وغيرهما من العلوم الخاصة . ففي عملية المعرفة تتكون مقولات فلسفية عن أعم خواص ظاهرات العالم القائم » .

وفي هذا وحده ما يكفي .. إذ تغدو المادية الديالكتيكية ، كغيرها من الفلسفات ، تقوم على المقولات الفلسفية العامة ، وهي مقولات تنشأ وتتخلق لدى كل فيلسوف بصيغة قد تختلف عن الفيلسوف الآخر ، وقد تكون نقيضة لها تماما ، ومن ثم فان ادعاء احتكار المعرفة الفلسفية لواحد من هؤلاء الفلاسفة ، ووصفها بالعلمية ، وإنكار هذا الحق على الآخرين ، واتهامهم بالمثالية او السفسطائية أو البورجوازية أو ما إلى ذلك من مفردات قاموس الديالكتيك الغني بالتصميمات ، هذا الموقف هو غير علمي على الاطلاق !!

ولا ننسى أن « ماركس » و « انغلز » طرحا مقولاتهما الفلسفية قبل عصر الفيزياء الذرية عصر « بلانك » و « شرودنجر » و « هايزنبرغ » و « اينشتين » .. حيث تهاوت جدران المادية ، واختلط الصواب بالخطأ والاحتمال .. إنهما طرحاها قبل هذا العصر بما يقرب من القرن من الزمان ، ومن يدري فلعلهما لو أتيح لهما أن يرجعا للحياة ثانية فانهما قد يكونان ، إزاء ضغوط حتميات المناهج الفلسفية العامة على ضوء هزات العلم العملاقة ، أكثر تحرراً من تلاميذهم ومريديهم ، لأنهما قد يجدا نفسيهما غريبين عن العالم الجديد العجيب الذي اخذت الفيزياء الذرية تطرق ابوابه ، والذي لم يقدر لأحد ــ بعد ــ الكشف عن سره الدفين ..

العلماء هم أصحاب الثورات العلمية

فكم ياترى سيظل التلامذة

والمريدون يمطون مفاهيم المادية القادمة من القرن التاسع عشر لكي يقسروا القرن العشرين ، وربما الواحد والعشرين ، على ارتداء أثوابها ؟

فاذا ما أضفنا إلى هذا كله الصيغة الانتقائية التي تعترف الديالكتيكية باعتمادها إزاء منجزات العقل البشري لكي تتلاءم ومصالح طبقة محدودة من الناس ، أدركنا القيمة الحقيقية للسمة العلمية التي تدعيها هذه النظرية .. ولنقرأ « لقد استوعب ماركس وانغلز كل ما هو تقدمي وثمين كان العلم قد توصل اليه قبلهما ، ولكنهما لم يقوما بمجرد استيعاب منجزات العقل البشري ، بل صاغا بصورة انتقادية مكتسبات الفكر البشري الطليعي طبقاً لمصالح واهداف البروليتاريا وسائر الشغيلة ، وبما أنهما كانا ثوريين عظيمين فقد أحرزا مأثرة علمية لا نظير لها ، فقاما بانقلاب ثوري في العلم في الفلسفة والاقتصاد السياسي والمذهب الاشتراكي وغيرها من مجالات المعرفة البشرية ، وانشآ علماً ثورياً جديداً هو الماركسية » .

ومعروف ان العلماء لا الفلاسفة هم الموكلون بتحقيق الثورات في ميدان العلم ، ومعروف ايضا أن الفلسفة والاقتصاد وغيرهما مما يسمى بالعلوم الفلسفية لا يمكن اعتبارها علماً بالمعنى الدقيق للكلمة ، وهذا يذكرنا بعبارة « سوليفان » التي ترد في آخر الفصل الخامس من كتابه حدود العلم حيث يقول : « .. إن علم النفس لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن . وللمعارف الأخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك ، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية . والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي ، أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبيا ضعيفة ومتلجلجة » .

إن يتبعون الا الظن !!

إن ماركس في مقولاته الاقتصادية فيما يسمى علم الاقتصاد الماركسي ، لم يكن على تمام الالمام بتاريخ الاقتصاد البشري ، واعتمد في مساحات واسعة منه على معطيات تخمينية وظنية ، وها هو الاستاذ البولندي (اوسكار لانكه) ، أحد أكبر أخصائيي الدول النامية في ميدان الاقتصاد ، وهو يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، منذ عصر ماركس وحتى عصر بورشييف ، يقرر أن « هذه الدراسات جميعها مفككة ، لذلك فان الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعاً منظماً من فروع الاقتصاد السياسي » .

فاذا كان الأمر كذلك في أهم ما يخص الماركسية ، وهو التاريخ الاقتصادي ، فكيف الحال بالنسبة لمعطياتها في المسائل الفلسفية الأكثر شمولية وامتدادا ؟

مائدة القارئ

طريق الجنة

قال صلى الله عليه وسلم :
(تقبلوا الي بست ، أتقبل لكم بالجنة ، قالوا ما هي ؟ . قال : اذا حدث احدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن ، غضوا البصر واحفظوا فروجكم ، وكفوا ايديكم) .

(رواه الحاكم)

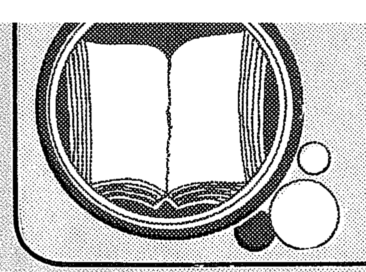
الظريف والرشيد

خرج الرشيد يوما في ثياب العامة ومعه بعض حاشيته في مثل زيه فنزل بهم رجل فثقل على الرشيد وهم بطرده فقال ابو نواس : ساخرجه من غير اساءة اليه . وتوجه الى الجماعة قائلا : على طعامكم . فقال الرشيد : وعلى شرابكم . وقال يحيى بن خالد : وعلى عطركم ، ثم نظر ابو نواس الى الرجل وقال له : وما عليك ؟ فقال : على الا افارقكم من اليوم الى يوم اخر مثله . فقال الرشيد : هذا ظريف لا يحسن اخراجه .

الخير والشر

اذا اراد الله بعبد خيراً :
١) ألهمه الطاعة .
٢) وألزمه القناعة .
٣)وفقهه في الدين .
٤) وعضده باليقين .

أما اذا اراد به شراً :
١) حبب اليه المال .
٢) وبسط منه الآمال .
٣) وشغله بدنياه .
٤) ووكله الى هواه .



صناعة التاريخ

الشباب يصنعون التاريخ بقلوبهم والعلماء يصنعونه بعقولهم والحكماء يصنعونه بارواحهم .

فاذا تعاون القلب والعقل والروح على صنع التاريخ كان تاريخا لا ينطفىء نوره ، ولا تخبو ناره وكذلك صنعنا التاريخ اول مرة .

الدكتور / مصطفى السباعي

المؤمن والمنافق :

قال حاتم الاصم :

المنافق من اذا اخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء .

والمؤمن يأخذ بالخوف ويتمسك بالسنة وينفق خالصا في الطاعة .

فاطلب نفسك في اربعة اشياء .
العمل الصالح بغير رياء .
والاخذ بغير طمع .

موعظة المسؤول

قال هارون الرشيد لأحد الصالحين : عظني ايها الشيخ .
قال الشيخ الصالح : يا هارون ، لودامت لغيرك ما وصلتك .. اي الخلافة .

قال هارون : زدني ايها الشيخ قال : يا هارون تلك قصورهم ، وهذه قبورهم .
قال هارون : زدني ايها الشيخ . قال : كفي بالموت واعظا يا هارون .

فبكي هارون حتى اخضلت لحيته ثم قال : ايها الشيخ ، أعليك دين فنقضيه عنك .
قال الشيخ الصالح : يقضيه عني من هو اقدر على قضائه منك .
قال هارون : فخذ من مالي ما يكفيك رزقا لك ولعيالك .
فتبسم الشيخ الصالح وقال :
ويحك يا هارون ، اتظن ان الله يرزقك وينساني ؟



للدكتور : عبد المحسن صالح

ما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .. اذ لو تجلت لنا خبايا الخلق ، وتكشفت لعيوننا أسرار الكائنات ، لأدركنا ــ عن علم ــ أن الله سبحانه وتعالى قد يسر لكل مخلوق سبل حياته ، وأرسى في تكوينه الحي الخطة أو الخطط المقدرة التي يشق بها في الأرض طريقه ، ساعيا على رزقه ، مطيعا لنواميس ربه ، وكأنما كل كائن قد حمل معه « البروجرام » الذي يجب عليه أن ينفذه بحذافيره ، فاذا أخل بمواثيقه ، كان حتما مقضيا أن يكون الانقراض من نصيبه ، وهذه سنة الله في خلقه : **(ولن تجد لسنة الله تبديلا)** « الأحزاب/٦٢ » ..

لكن الكلام شيء ، والبحث عن الحقيقة شيء آخر له عمقه ومغزاه ... ذلك أن البحث يضع أمامنا ثروة هائلة من المعلومات ، التي توضح لنا سلوك الكائنات .. وعندئذ يتبين لنا أنها ــ أي الكائنات ــ مجتمعات لها حياتها ونظامها وشرائعها ، وكأنما هي أمم أمثالنا ، أو هي ــ كما عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير : **(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون)** « الأنعام/٣٨ » .

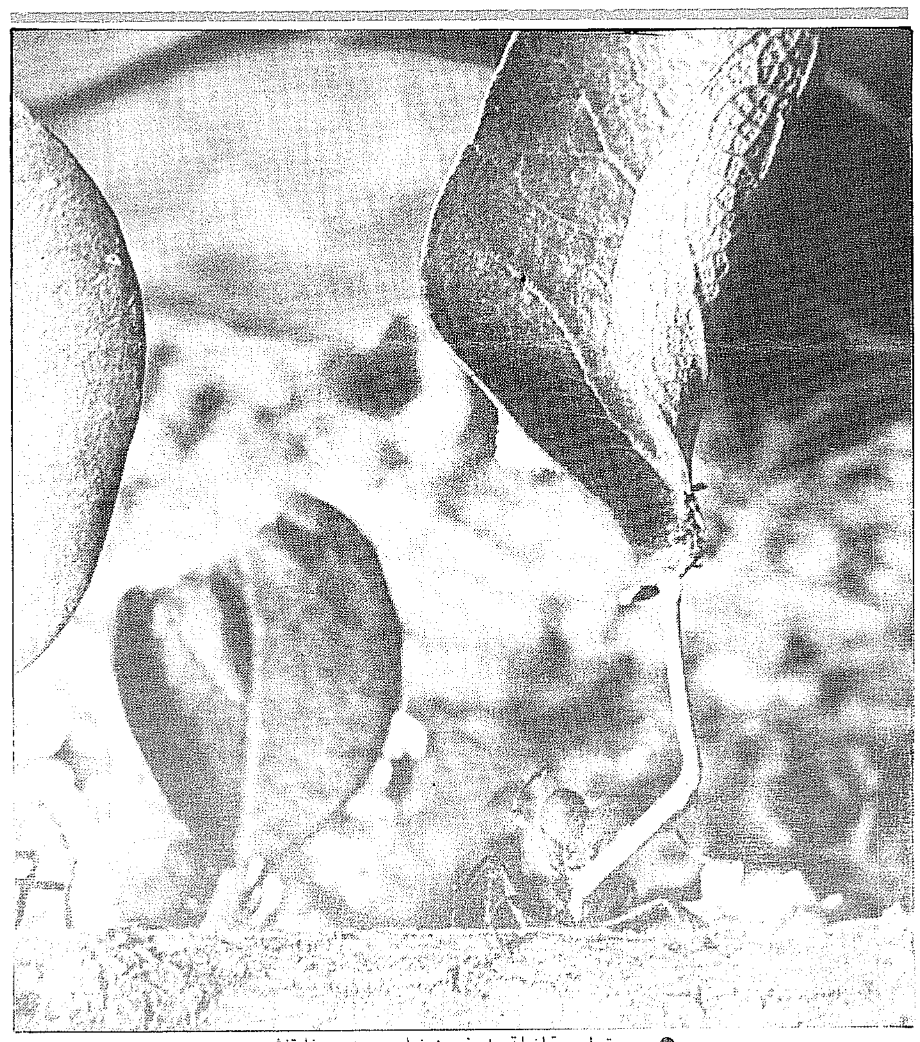
والواقع أن الخالق سبحانه وتعالى لم يخلق خلقا ــ صغر شأنه أو كبر ــ الا ومنحه لقمة العيش التي تناسب حياته ، ولقد كشف لنا العلماء البيولوجيون عن صور من حياة الكائنات توضح أننا لسنا وحدنا على هذا الكوكب ، أو أن الانسان هو وحده صاحب الأفكار المبتكرة ، بل ان الحياة ذاتها غنية بما وضع الله فيها من نظم بديعة تدعونا حقا الى وقفة من وقفات التأمل والخشوع ومراجعة

النفس ، حتى لا يتملكنا الغرور ، فالغرور قتال « لو كنتم تعلمون » .
ولا شك أن من يقرأ آيات القرآن الكريم عن علم ببواطن أسرار المخلوقات ، تتجلى له في ثنايا هذه الآيات معان جميلة لا تظهر لمن ليس له بها علم أو دراية ، وهنا قد يحق القول الكريم : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩

فقد يمر معظم الناس على الآية الكريمة : **(وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)** هود/ ٦ قد يمرون عليها مرا سريعا ، دون أن يفطنوا لما تحتويه من أسرار أرزاق المخلوقات أو الدواب .

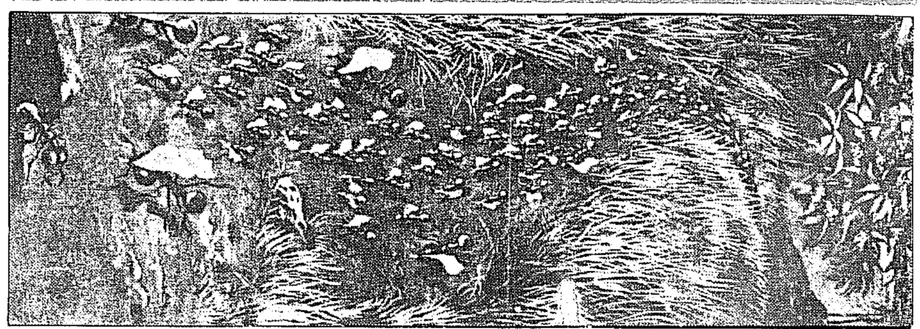
والدابة هنا تعني كل خلـق حي ... فالحشرات دواب ، والأرضة من الحشرات ، ولقد جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنها دابة : **(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته)** سبأ/ ١٤ . وقيل عن دابة الأرض هنا انها الأرضة أو النمل الأبيض أو السوس أو أية حشرة تعيش على الخشب الذي صنعت منه عصا سليمان ــ أو أي خشب آخر ، هذا ومن المعروف أن أنواع الحشرات التي تعيش حتى الآن على كوكبنا يربو عددها على مليون نوع مختلف ، ولكل نوع رزقه أو مائدته أو طعامه المفضل ، ولنتصور ماذا تعني قائمة من الأطعمة تحتوي على مليون نوع من المادة الغذائية التي تناسب حياة النوع الواحد من أنواع المخلوقات ، ودعك اذن من القائمة الطويلة والعريضة التي قدمت لمئات الألوف من أنواع الحيوانات الأقل أو الأعظم شأنا من الحشرات ، اذ لو أردنا أن ندون الطعام المفضل لكل نوع من الأنواع ، وما يحتويه من عناصر غذائية ، فان ذلك يحتاج الى مجلدات من فوق مجلدات ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين ــ خبر أن الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ثم يرزق كل خلق بما يناسب حياته ... ميكروبا كان ذلك أو دودة أو ثعبانا أو فأرا أو غزالا .... الى آخر هذه القائمة التي لا نستطيع لها حصرا ولا تدوينا .

لكن معنى ذلك لن يتضح على حقيقته ، الا اذا قدمنا صورا حية مما كشف عنه العلماء الحجاب ، فهذا من شأنه أن يبين لنا بديع صنع الله في خلقه ، علنا نقدره حق قدره ، اذ لا يكفي أن نتلو آيات كتاب الله تلاوة لا تقوم على تدبر حقيقي للمعاني الكامنة في هذه الآيات ، بل هناك آيات حية هي في الخلق علامات دالات على : **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الأعلى/ ٢ ، ٣ .
ولنأخذ لذلك نملة ... لكن للنمل أنواعا كثيرة جدا ، اذ يبلغ عدد تلك الأنواع حوالي عشرين ألف نوع ، وطبيعي أن كل نوع يختلف عن الآخر في عاداته ولغته وشكله ، والا لما وصفها العلماء ، وصنفوها وأطلقوا عليها الأسماء .... ولنملتنا التي سنقدمها هنا اسم محدد ، واسمها الدارج هو النملة الزارعة ، لأنها تزرع ، وتحصد ما تزرع ، وكأنما تعيش في بساتين قطوفها دانية .



● صورة طبيعية لنملة على غصن نبات . وهي هنا تنشر قاعدة الورقة ، فتسقط بعد قطعها الى الارض ، حيث تستقبلها فرق تقوم بتقطيعها الى اجزاء اصغر ، ثم تنقلها الى مستعمراتها

لكن العلماء الذين درسوا مجتمعات هذه الكائنات الصغيرة ـ التي عرفت الزراعة قبل أن يعرفها الانسان بمئات الملايين من الأعوام ـ بهرتهم الطرق المختلفة التي بها يزرعون ... صحيح أن الطرق تبدو ـ في الظاهر ـ متشابهة ، لكن النمل الذي يزرع له أنواع وصلت أعدادها حتى الآن الى ما يزيد على المائة نوع ، ولنتصور أن هناك مائة طريقة للزراعة ، ومائة محصول يختلف باختلاف النوع ، وهذا يوضح أن الله سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق ـ لا على مستوى البشر فحسب ، بل على مستوى النمل الزارع ، وغير الزارع ، وفي ذلك حكمة لقوم



● فرقة من النمل الزارع ، وقد عادت كل نملة من مهمتها بقطعة من ورق الشجر ، تحملها فوق رأسها ، وكأنما هي تحمل مظلات صغيرة .

يتدبرون ، والحكمة تكمن في عدم تكالب الأنواع (على مستوى النمل أو ما فوق ذلك ، أو دون ذلك من سائر المخلوقات) على رزق واحد ، بل كل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر .

يقدم لنا البروفيسور « كلايد كريستنسين » أستاذ أمراض النبات بجامعة « مينيسوتا » هذا التنظيم المذهل بقوله : « ان أي انسان لديه الاحساس الجمالي بما في الطبيعة البكر من نظام وتوافق وحب راق ، فعليه أن يعتبر بسلوك النمل أو تصرفاته ... فمعظم أنواع النمل تعيش في مجتمعات لو أننا قارناها بمجتمعاتنا ، خاصة فيما يتعلق بالمعاملة والألفة والتعاون ، لوجدنا أن أكثر مجتمعاتنا تقدما تبدو في خبراتها الحياتية ساذجة ... لقد اكتسبت مجتمعات النمل صمودا عظيما ، لأنها طوال مئآت الملايين من السنين مارست طرق الحياة المختلفة ، وكأنما هي قد اختارت السبل الكفيلة بحصولها على طعامها ومأواها ومسراتها ، وبحيث تبدو مجتمعاتنا بجوارها وكأنما هي لا زالت مجتمعات بدائية » .

لكن ... ما الذي دعا هذا العالم الى قول نراه مجحفا بالحقوق البشرية ، ومنصفا « للحقوق » الحشرية ؟

لا بد أن هناك سرا أو أسرارا غريبة في حياة النمل .... وهو بالفعل كذلك ، ولكي ندلل على ذلك ، دعنا نتعرض لسر من هذه الأسرار التي تعلمنا درسا فيه حكمة وابتكار وأصالة ، ولنعلم أن الله قد أوحى في النمل أمره ، ويسر له سبله ، كما أوحى للنحل الشيء ذاته ، بدليل قوله تعالى : **(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون)** « النحل / ٦٨ ، ٦٩ » .

وللنحل سبل في الحياة يتشعب فيها الحديث ويطول ، وللنمل سبل أخرى هي آية أو آيات لقوم يتفكرون ، وليعلموا أن الله لم يخلق خلقا ، الا وقدر له كل شاردة وواردة تقديرا حسنا .

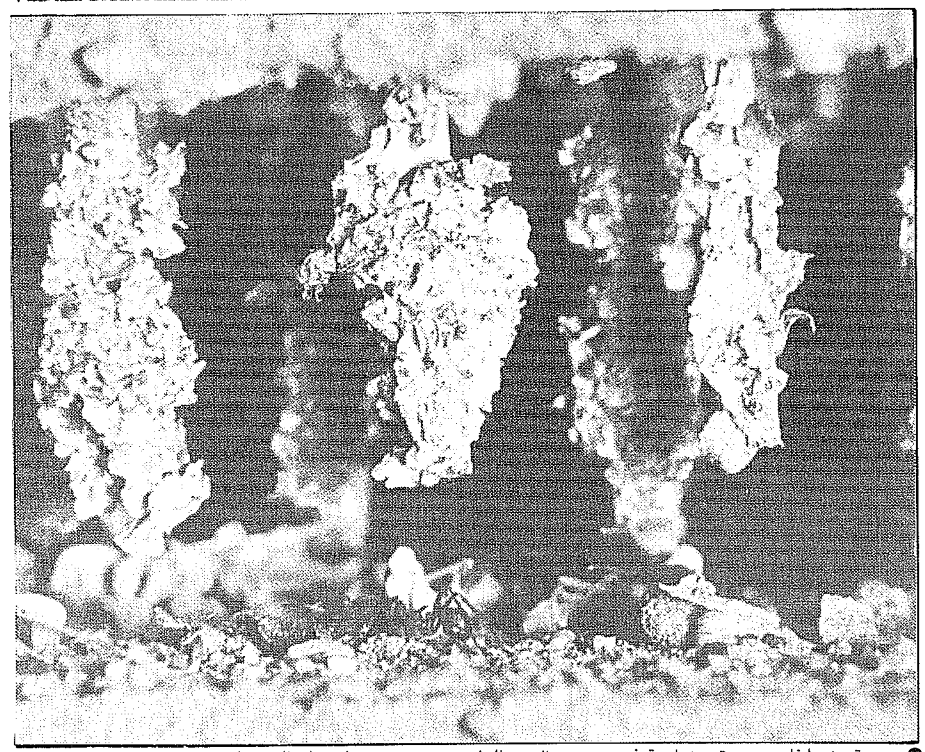
العلماء الذين درسوا أحد أنواع النمل الزارع فكروا وتساءلوا بدهشة تحمل في

طياتها حيرة وعجبا : كيف تأتي له أن يزرع أحد أنواع الفطريات ، ثم يعتمد على هذا النوع كغذاء وحيد ليمده بكل العناصر الحيوية اللازمة للكائن الحي ؟... ثم كيف اختار هذا النوع الوحيد من الفطر من بين مائة الف نوع من الفطريات التي عرفها العلماء حتى الآن ؟

والغريب أن العلماء لم يتفقوا على رأي واحد ، وكانت اجاباتهم مؤسسة على التكهنات والظنون ، وكأنما السر الحقيقي يحتفظ به النمل لنفسه دون أن يصل الانسان الى جوهره ، لكن أكثر التكهنات تقبلا لعقولنا تشير الى أن هذه الأنواع من النمل الزارع (أو غيرها) قد اكتشفت أصول الزراعة ، وانتقت ما يناسبها من هذه الكائنات النباتية الدقيقة (أي الفطريات) ، ثم عرفت كيف ترعاها وتمدها بكل ما تحتاج اليه من أسمدة عضوية ، وتهيىء لها المناخ المناسب ، وتحافظ عليها من « الحشائش » الضارة التي قد تنمو بين مزارعها ، ودون أن تستخدم لذلك المبيدات أو أية وسائل أخرى عرفها الانسان .

صحيح أن الانسان في بداية ظهوره على هذا الكوكب منذ عدة عشرات الألوف من السنين ، كان يعيش على القنص والصيد ، أو ما تجود به الغابات البكر من فواكه وثمر ... وطبيعي أنه أخذ يجرب ويتذوق ويختار ، وعرف كيف يزرع ما وقع عليه اختياره ، وبالتجربة التي استمرت آلاف السنين ، وفيها عرف الانسان الخطأ من الصواب ، وتطورت طرق الزراعة ، واستقر في مجتمعات ، لكن الانسان فعل ذلك بعقله الذي وضع الله نظامه الأمثل في مخه ، وبه شق في الحياة طريقه ... لكن النمل ليس له عقل ولا حكمة كحكمة البشر ، ومع ذلك ــ وكما سيتضح لنا فيما بعد ــ فقد توصل الى انجازات تتسم بالحكمة ... البعض يقول : انها غريزة ، أو هو وحي نظام متقن لا يزال يحيرنا أعظم حيرة ، فعندما نعجز عن تفسير ما تقوم به الكائنات الحية غير العاقلة من أفعال ، نعيد ذلك الى لفظ مبهم المعاني هو « الغريزة » ... والغريزة تعني جهلنا النسبي بما كان ويكون .

لقد لاحظ الانسان بعض أنواع النمل التي تعيش في مناطق مختلفة من العالم ، وهو يتوجه بفرقه الى الحشائش والأعشاب والأشجار ، ثم يعود الى مستعمراته ، وقد حملت كل نملة فوق رأسها قطعة من أوراق بعض نباتات مختارة ، وبها تسير ، وكأنما هي تحمل فوق رأسها مظلة واقية ، ولهذا أطلقنا عليها اسم نمل المظلات ، ظنا منا أن النمل يحتمي بها من أشعة الشمس ، هذا وقد تكون المظلة أكبر من حجم النملة بعدة مرات ، ولقد وصفها لنا العالم « هنري ماك كوك » ــ وكان من أول الدارسين القدامى لهذه الظاهرة ــ بقوله : ان منظر فرق النمل يشبه منظر أطفال المدارس وهم يحملون الأعلام ، ولقد ثبت فيما بعد أن تفكير الناس كان خاطئا من أساسه ، إذ عندما درس العلماء هذه الظاهرة العجيبة ، أدركوا أن الأمر ينطوي على سر كبير ، لأن هذه القطع من الأوراق النباتية



● صورة من داخل « حجرة » زراعية في مستعمرة النمل الزارع ، ومن سقفها يتدلى النمو الفطري ليصبح رزقا حسنا لسكان المستعمرة ، فيعيشون عليه العمر كله .

ستصبح الخامة المناسبة التي سيزرع عليها النمل محاصيله .

لكن الفكرة ليست بسيطة كبساطة هذا الكلام ، فلقد استنبط النمل لذلك « تكنولوجيا » تتسم بالتخطيط السليم ، والتنظيم العظيم الذي يجذب كل فكر قويم ، فلكل نوع من النمل خامته النباتية التي يحصل عليها من نوع من النباتات ، أو نوعين ، أو أكثر ، وهو يعرف الطريق الى ذلك ، وقد يهتدي الى النبات المطلوب بما يطلقه من جزيئات قد لا تحسها أنوفنا ، ولكن النمل قد أوتي ما يشبه « الرادارات » الحية الدقيقة التي توجهه الى الهدف حتى ولو كان الظلام يخيم على الميدان .

وعندما يأتي النمل بالخامة الى مشارف المستعمرة ، يلقي ما حمل ، وبدون تواكل أو كسل ، يكر عائدا الى منطقة العمل ، ليأتي بالمزيد ، والى هذا الحد يظهر لنا التخصص الدقيق في الفئات التي تكون المستعمرة ، اذ أحيانا ما تعرف بعض أنواع النمل أسس الاقتصاد في الطاقة والزمن ، خاصة اذا كانت خامة الأوراق في أشجار عالية ، عندئذ تصعد فرقة لتقطع الأوراق ثم تلقيها الى الأرض ، حيث تنتظرها فرق أخرى ، لتحمل ما تساقط ، ويقال : ان مستعمرة كبيرة قد تعرى الشجرة من أوراقها في يوم وبعض يوم ، ثم ان الذي يقطع غير الذي يحمل ، غير

الذي يطحن .... اذ تأتي فرقة ثالثة لتتخصص في طحن الأوراق ، بمعنى أن هذه الطواحين الحية الصغيرة تبدأ في مضغ قطع صغيرة من القطع الكبيرة المكومة أمام المستعمرة ، وفي عملية المضغ يختلط لعابها بما تمضغ ، وهي هنا لا تستفيد به كطعام ، لأنها لا تستطيع له بلعا ولا هضما ، بل انها « تبصق » ما مضغت ، وترصه داخل المستعمرة ككتل صغيرة ... كتلة بجوار كتلة ، بجوار كتلة ، وهكذا ، ومن هذه الكتل الاسفنجية أو الرخوة تكون مسطحات أشبه ما تكون بالوسادات الرقيقة ، وعلى هذه الوسادات تتم زراعة المحصول الذي يناسب النوع ، ولكي يزرع النمل ، كان لا بد أن يبذر ، والبذور هنا ليست كبذور النباتات التقليدية التي نعرفهـــا ، بل هي جراثيم فطرية لا ترى الا بالميكروسكوب ، وعندما تنبت الجراثيم وتترعرع ، تبدأ في تكوين نسيج فطري (وهو المعروف بين العامة باسم العفن ، وهو الذي نراه يظهر أحيانا على الخبز اذا تركناه في جو رطب ليومين أو أكثر) ، وعلى هذه « البساتين » الفطرية يعيش النمل ، ومنه يحصل على كل العناصر الغذائية اللازمة لحياته .

● ● ● ●

ونحن نعرف أن زراعاتنا أو بساتيننا لا تجود بالخيرات الا اذا أضفنا اليها أسمدة عضوية وغير عضوية ، لكن هذه الفكرة ليست بشرية ، بل هي قبل ذلك كانت حشرية ، لأن النمل قد عرف ذلك قبل أن يظهر الانسان على الأرض بعشرات الملايين من السنين .... ولكي يسمد النمل بساتينه ، كان لزاما عليه أن يخصص فرقة ثالثة لاحضار فضلات الديدان والحشرات التي تتغذى على النبات ، ثم يضع هذه الفضلات العضوية بين نسيج الأوراق المطحونة ، ليس هذا فحسب ، بل نراه أيضا يضيف فضلاته الى مزارعه ، ثم ان النمل يحب النظافة ، ويقضي وقت فراغه في تمشيط نفسه ، أو هو يمشط بعضه بعضا مما علق بجسمه من ادران ، فيكنس ذلك من مستعمراته ، ويضيفه الى مزارعه ، ليستفيد من عناصره في ازدهار بساتينه .... أضف الى ذلك أن أموات النمل ذاته ، تدفن في الوسادات العضوية التي تنمو عليها الأنسجة الفطرية ، فيزيد بذلك من خصوبتها ... وهو ـ أي النمل ـ في سلوكه هذا يشبه ما يقوم به المزارعون من البشر عندما يصنعون من مخلفاتهـم البشرية والحيوانية والنباتية أكـواما من السماد العضوي ، ويتركونها حتى تتخمر أو تنضج ، ثم تنقل لتوزع بين النباتات .

ونحن لا ندري كيف توصل النمل الى هذه الفكرة الكبيرة التي تعتبر نقطة تحول هامة في زيادة المحاصيل عند الانسان ، لأن التسميد يفيد النباتات بعنصر هام هو النيتروجين او مركباته ، اذ بدونه لن يكون هناك بروتين ، والبروتينات أحد الأعمدة الهامة جدا التي تقوم عليها الحياة ... لا يختلف في ذلك الشجر ، عن النمل والبشر .

وطبيعي أن النمل لا يزرع بساتينه الفطرية فوق سطح الأرض ، ولو فعل ، لما حصل على أسود ولا أبيض ، اذ أن محاصيله لا تتحمل تقلب المناخ ، ولا أشعة الشمس الحارقة ، خاصة اذا كانت مستعمراته مشيدة بين أحراش أو غابات المناطق الحارة ... وعليه اذن أن « يدرس » هذا الأمر ، ويتوصل فيه الى الحل ، ثم عليه أن يختار موقع العمل المناسب ، والأرض المناسبة ، وطبيعة الطبقات التي تتكون منها تلك الأرض ، ونسبة الرطوبة فيها ... الخ .... الخ ، فاذا أجرى النمل « حساباته » ، وتوصل الى مراده ، بدأ في تكوين مستعمرة صغيرة ذات ملكة شابة ، وما أن تمر عدة شهور ، أو ربما سنتان أو ثلاثة ، الا وتصبح المستعمرة الصغيرة بمثابة مدينة عظيمة مدفونة يسكنهـا عدة ملايين من السكان ... ولقد قدر أحد العلماء مساحة واحدة من هذه المستعمرات ، فوجدها حوالي مائة متر مربع ، أي أن هذه المساحة تكفي لانشاء منزل من منازلنا به عدة غرف ، ويبدأ النمل في الدخول الى المستعمرة الكبيرة ليس من باب واحد ، ولا عشرة ولا حتى مائة ، بل من ألف باب وباب ، فاذا دلفت النملة من أحد المداخل ، فانها تمر في ممرات أو سراديب أرضية متفرعة ، ومن ممر الى غرفة الى ممر .... الخ ، حتى تنتهي الرحلة الى عمق يصل تحت سطح الأرض الى حوالي أربعة أو خمسة أمتار ... أي كأنما المستعمرة هنا عبارة عن مدينة متكاملة تشبه ناطحات السحاب ... ولكن « ناطحات » النمل « تنطح » طبقات الأرض ، ولا شك أن « التكنيك » عند النمل أصعب ، اذ ليس البناء على السطح عسيرا كالبناء في الباطن ، ومع أن الانسان يستخدم أسياخ الحديد والأسمنت في تقوية مبانيه ، الا أن النمل يعتمد على طبيعة الأرض ، ذاتها ، لأن بناءه الضخم ــ والوصف هنا نسبي ــ قد ينهار ، كما تنهار المناجم مثلا على رؤوس أصحابها ، وأحيانا العمارات، وكل هذا يؤدي الى كوارث في حياة البشر ... والنمل ايضا .

لكن لا تحمل للنمل هما ، فلقد أثبت وجوده على الأرض من قديم الزمن ، ولا يزال وسيستمر على هذا الكوكب الى أن يرث الله الأرض بما ومن عليها ، لأن النمل قد أعد لكل أمر عدته ــ وكأنما هو يقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

ولقد كانت حدائق بابل المعلقة واحدة من عجائب الدنيا السبعة ، وكذلك تكون حدائق النمل المعلقة ، اذ لو قارنا حجم النملة أو وزنها ، بحجم الانسان ووزنه ، ثم أرجعنا ذلك الى منشئات النمل والانسان ، لتوارت ناطحات السحاب أو حدائق بابل المعلقة خجلا ، ولعرف الانسان مقدار نفسه ، وربما يتخلى عن غروره ، اذ يذكر لنا دكتور « بيتر فابر » المتخصص في دراسة الحشرات ــ وزميل الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، وجمعية العلوم والبيولوجية ــ يذكر في أحد كتبه أن الملك سليمان الحكيم قال ينصح من حوله : « تأملوا النمل واذهبوا اليه أيها الكسالى ، ثم اعتبروا بطرقه في الحياة ، وتعلموا الحكمة ... فليس له من مراقب أو حسيب أو مرشد ، ومع ذلك يمون نفسه باللحم صيفا ، ويحصد طعامه من محاصيله شتاء » ... ولقد تشكك العلماء في قول سليمان ، اذ لم يكونوا يعرفون

أن النمل يزرع ويحصد ، لكن أحد العلماء الطبيعيين قد عرف في عام ١٨٧١ أن سليمان كان على حق ، وأنه لا بد قد اكتشف حقيقة النمل الزارع الذي نحن بصدده هنا ... ولقد وصف سليمان من حوله بأنهم كسالى ، عندما قارن سلوكهم بسلوك النمل ، لأن النملة « شعلة » نشاط ، ثم انها تؤدي عملها « بضمير حي » .... ان كان للنمل ضمير على أية حال ، والى هنا يتجلى لنا معنى الآية الكريمة : **(ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم)** « هود / ٥٦ » .

● ● ● ●

إذن ... لقد شيد النمل البساتين ، لتصبح رزقا حسنا للملايين ، وهو رزق قطوفه دانية ، لأن المزارع الفطرية تنتشر داخل المستعمرة في حجرات متجاورة ، وهذه يعلو بعضها البعض في طوابق أو أدوار متتابعة ، وترتبط فيما بينها بدهاليز أو ممرات صاعدة هابطة ... وعلى أسقف أو أرضية الحجرات أو الصوبات النملية (والصوبة تعني البيوت الزجاجية التي تحفظ فيها أنواع خاصة من النبات ، يخشى عليها الأنسان من تقلب الأجواء) ، تنمو الفطريات وتزدهر بفضل الرعاية المستمرة التي يقوم بها « فلاحو » النمل ، وطبيعي أنهم يأكلون مما زرعوا ، فما أن تقضم النملة خيطا فطريا ، الا ويظهر في قمته بعد ساعات « ثمرة » جديدة تشبه القرنبيط شكلا لا حجما ، لأن حجمها دقيق ليناسب أفواه وأمعاء مخلوقاتنا الصغيرة ، ثم انهم كلما قطفوا وأكلوا ، أينعت البساتين من جديد ، أي كأنما هذه الكائنات تعيش في جنات أرضية قطوفها دانية ، وخيراتها دائمة ، لأن المزارع الفطرية ليست كمزارعنا ، اذ كلما أعطاها النمل وسائد عضوية مزودة بأسمدة نيتروجينية ، كلما جادت على الملايين وذرياتهم ، وذرية ذرياتهم بطعام غير مقطوع ولا ممنوع .

لكن الذي يحير العلماء بحق هو الكيفية التي يحافظ بها النمل على بساتينه من أية « حشائش » دخيلة ، أو ميكروبات غريبة ، أو أية كائنات أخرى قد تندس بين « الأحواض » (أي حجرات الزرع) فتقلب الموائد على الفطر وعلى النمل ، وعندئذ تزول دولته ، ولكنها لا تزول ، بدليل أن هذه الأنواع لا زالت تواصل حياتها ، وتنتشر على سطح الأرض شرقا وغربا ، وطولا وعرضا .

وطبيعي أن ما أطلقنا عليه اسم الحشائش الغريبة ليست مثل حشائشنا التي نعرفها في زراعتنا ، بل هي أنواع أخرى من الفطريات الكثيرة والغريبة التي يحمل النمل جراثيمها في خاماته الى مستعمراته ، ولقد أحصى العلماء من هذه الجراثيم الغريبة عدة آلاف من الأنواع ، ولا بد أنه قد لوث بها مزارعه ، هذا بالاضافة الى الكائنات البكتيرية المدمرة ، وكأنما بعضها لبعض عدو مبين ...

ومع ذلك تظل المزارع سليمة دون ظهور أي كائن غريب .

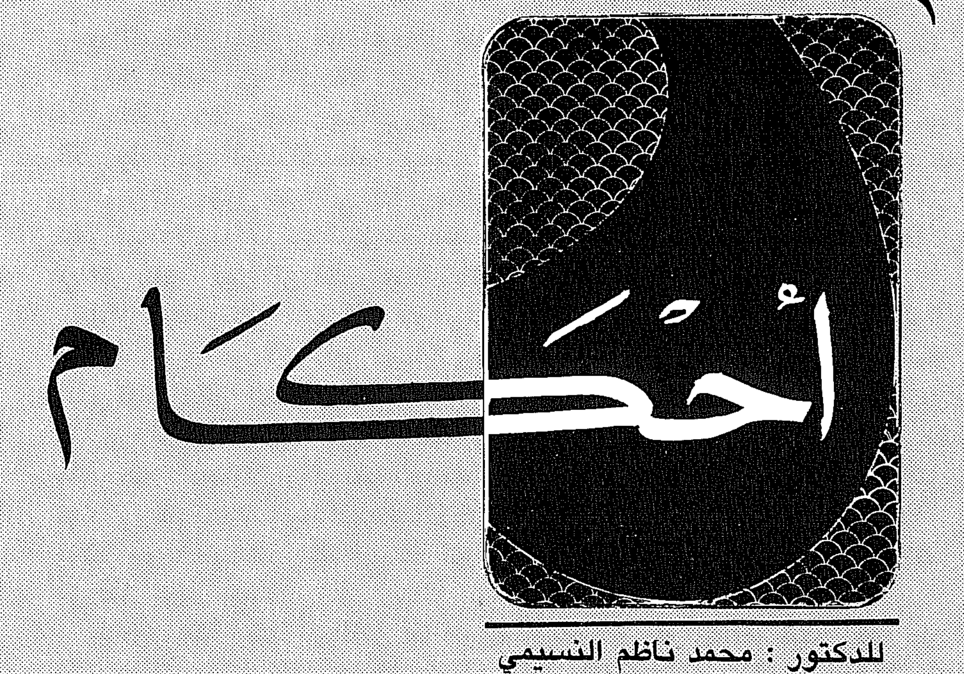
وفكرة النمل في المحافظة على مزارعه أتقن وأكفأ وأحسن من فكرة الانسان في هذا المجال ، لأن البشر هنا يزرعون بعض أنواع خاصة من فطر عيش الغراب الذي يقدم على الموائد كطعام ، وهو غالي الثمن ، لأن انتاجه مكلف ، ويرجع ذلك الى بوار المحصول الفطري ـ أي عيش الغراب ـ بفطريات وبكتيريا تغزوه ، فلا تبقى فيه ولا تذر ، لكن النمل يحافظ على محاصيله شهرا من وراء شهر ، وعاما في اثر عام ، دون أن تظهر فيها كائنات غريبة يمكن أن تدمرها تدميرا .

لكن كيف يتأتى للنمل ذلك ، وهو لم يدرس الأمر في معاهد أو مراكز بحوث أو جامعات ، في حين أن الذين درسوا وعرفوا ، لم يستطيعوا أن يتوصلوا الى السر الذي توصل اليه النمل من قديم الزمن ، وكأنما الانسان هنا يردد : هنيئا للنمل بما زرع فرعى فجنى ، وليبق الانسان حائرا بفكره ، متصارعا مع قوى الطبيعة من حوله ، محاولا أن يجنب محاصيله الكثير من الآفات التي تحوم حولها ليل نهار ، رغم أنه استنبط لذلك سلالات جديدة ، أو مبيدات لا نستطيع لها عدا ، ففشل هو ، حيث نجح النمل .... انه درس عظيم لقوم يتفكرون ويتدبرون في نظم من لدن عزيز مقتدر .

الغريب هنا أيضا أن النمل اذا هجر مستعمراته ، أو ترك بساتينه ، فسرعان ما تدمر وتبور ، والذي يدمرها فطريات وبكتيريا غريبة ، اذ يخلو لهذه الميدان في غياب السكان ، ليزدهر نموها على المادة العضوية ، ثم تكتسح امامها البساتين الفطرية التي ظلت سنوات نقية من أي دخيل يمكن أن يشاركها أرضها ... فهل يعني ذلك أن النمل يخلص مزارعه من أية نباتات دنيئة غريبة ، فيزيلها كما نزيل نحن مثلا الحشائش الضارة من حقولنا ؟

الواقع أن النمل لا يفعل ذلك ، ومرة أخرى تظهر حيرة العلماء وتكهناتهم على مسرح الاحداث ، ومن أكثر هذه التكهنات تقبلا للعقل ، أن النمل الذي يمضغ أوراق النبات ويحولها الى عجينة ، ثم يضيفها الى زراعاته أولا بأول ، انما يضرب عصفورين بحجر واحد ـ أولهما : أن المضغ ذاته مفيد في تحرير مادة الأوراق (أو الخامة) الغذائية ، لتصبح ملائمة في تجهيز أرضية البساتين ، وثانيهما : أن لعاب النمل يحتوي على مادة أو عدة مواد مبيدة لأي كائن غريب ، لكنهما ليست كذلك بالنسبة للنوع الفطري الوحيد الذي اختاره النمل كي يزدهر في مستعمراته ... فهل يستطيع الأنسان أن يتوصل يوما الى أصالة هذه الفكرة الحشرية ؟!

نرجو ذلك ، لأن المعرفة في حد ذاتها ـ حتى ولو كانت من نملة ـ تفتح عيوننا على ما في الحياة من أسرار مذهلة ، أو قد نطبقها في محاصيلنا المقبلة ، وفوق ذلك نعبد الله عبادة خاشعة ، ونعرف عن حق معنى قوله تعالى : **(ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) .**

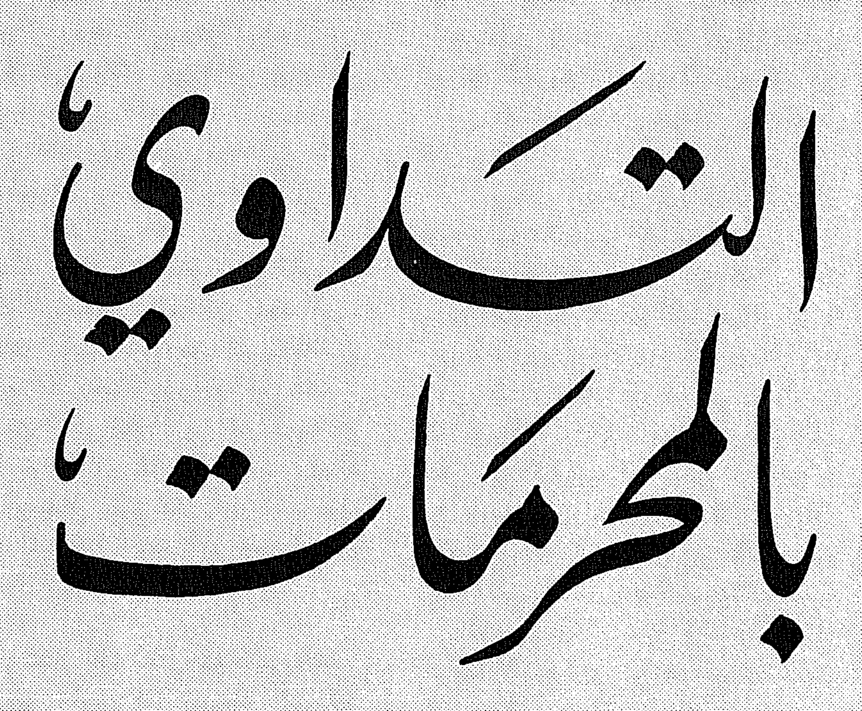


للدكتور : محمد ناظم النسيمي

ان لبعض المحرمات فوائد علاجية ثابتة بالتجارب الطبية ، ولذلك التبس الأمر على بعض المسلمين فظنوا ان المحرم يباح تناوله بمجرد وصفه كدواء دون التحقق من وجود الاضطرار اليه ، فمنهم من يشرب النبيذ المسكر بحجة التقوي ، او يتجرع البيرا بحجة انه مصاب برمال بولية . فرأيت من الواجب ان ابين حكم الاسلام في التداوي بالمحرمات مع عرض وجيز لفهم الفقهاء لنصوص المسألة .

النهي عن التداوي بالمحرمات :

لم يحرم الله تعالى شيئا على هذه الامة الا وفيه خبث مادي او معنوي ، خفيا كان ام واضحا جليا ، اشتمل في منافعه على فوائد علاجية ام لم يشتمل . فالمحرم الذي يملك خاصة دوائية انما يملكها الى جانب آثار ضارة على صحة الانسان الجسمية او النفسية . ومن البديهي ان يحيد الطبيب والمريض عن الادوية ذات الاثار الجانبية غير المرغوبة مع تيسر العلاج الامثل الخالي من الآثار الضارة . ولذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التداوي بالمحرمات فقال : « ان الله خلق الداء والدواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام » رواه الطبراني باسناد رجال



ثقات كما في مجمع الزوائد . وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » ، رواه ابو داود وابو يعلي والبزار ، وصححه ابن حبان . ومن معاني جعل ، حكم ، اي شرع كما بين ذلك الامام محمد فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير قوله تعالى : **(ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)** ، (المائدة ١٠٣) فمعنى لم يجعل شفاء امتي : لم يشرع استشفاء امتي فيما حرم عليها .

وعلى تحريم التداوي بالمحرمات في غير حالات الاضطرار اجمع الائمة المجتهدون والعلماء المحققون .

التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة :

الضرورة هي الحالة المحدقة بالانسان في ظرف سيء والتى تحمله على ارتكاب المحرم الممنوع شرعا للمحافظة على نفسه من الهلاك اوماله من الضياع ، او لدفع اذي لايتحمله اما يقينا او ظنا .

والاصل في استعمال المحرمات في حال الاضطرار قول الله عز وجل : **(ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا ما اضطررتم اليه)** الانعام/ ١١٩ فعمم الله استثناء حالة

الضرورة من التحريم واطلقها من غير قيد ولا شرط ولا صفة فاقتضى وجود الاباحة بوجود الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها ، سواء كان الاضطرار لضرورة التغذي ام لضرورة التداوي ام لغير ذلك .

فاذا خاف المريض على نفسه الهلاك او تعطيل عضو من اعضائه ، او خاف الطبيب عليه من حدوث ذلك ، او بلغ الالم بالمريض مبلغا شديدا لايحتمل ، او تأذى من مرضه او خاف سرايته الى غيره ، ولم يجد دواء مباحا يفيد في علته جاز له ان يستعمل الدواء المحرم اذا غلب على ظنه او ظن طبيبه انه مفيد .

لقد اجاز الله تعالى للمحرم بالحج ان يحلق رأسه اذا اضطر الى ذلك لاصابته بقمل الرأس مثلا ، مع ان الحلق من محرمات الاحرام ، قال تعالى : (**... او به اذى من رأسه ففدية ...**) البقرة/١٩٦ ولقد « امر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة وهو محرم زمن الحديبية ان يحلق بسبب القمل وان يصوم ثلاثة ايام او يطعم ستة او ينسك نسيكة » . البخارى – كتاب الطب .

وللضرورة « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما » رواه البخارى ومسلم .

وللضرورة ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعمال الذهب في التداوي ولو لستر نقص وازالة تشويه ، حتى لاتتأزم نفسية حامل التشويه فعن عرفجة بن اسعد قال :

اصيب انفي يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذت انفا من ورق فأنتن علي ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ انفا من ذهب » رواه الترمذي وقال : حسن ، فاذا جاز اتخاذ انف من ذهب لازالة التشويه من الوجه فمن باب اولى جوازه في تطبيب الاسنان المصابة .

وفي مجمع الزوائد روايات تدل على ان عثمان بن عفان وانس بن مالك رضي الله عنهما طببا اسنانهما بالذهب .

تلكم ادلة الحنفية والشافعية في اباحة التداوي بالمحرمات عند الضرورة . واستدلوا ايضا بوصف الرسول عليه الصلاة والسلام لرهط قدموا عليه من عرينة وعكل بالتداوي بألبان الابل وابوالها .

وذهب المالكية والحنابلة الى منع التداوي بالمحرمات لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » بمعنى ان الله تعالى لم يخلق شفاء في محرم وبقطع النظر عن خصوص السبب لورود الحديث والذي هو حادثة التداوي بالمسكر كما تذكر الروايات الاخرى .

وقالت جماعة من الفقهاء بهذا المعنى ولكن خصصت الحديث السابق بالمسكرات منهم الخطيب الشربيني في شرحه على منهاج النووي رحمهما الله تعالى ، فقال عند ذكر

الحديث : وهو محمول على الخمر .
واضافة الى ذلك فان المعنى الذي اخذت به الحنابلة والمالكية لـ (جعل) ليس مقصورا على (خلق) ليكون النص قطعي الدلالة ، بل ان من معانيها (حكم ، وصير) كما وضح ذلك الامام الفخر الرازي .

تحريم التداوي بتجرع المسكرات مطلقا :

من المعلوم ان الاسلام تدرج في تحريم الخمر والمسكرات على اتباعه لشدة اعتيادهم قبل الاسلام ، وشغفهم بها وادمان الكثيرين عليها ، ولان فطام المدمن عليها لايكون الا بالتدريج . ثم بعد ان حرمها تحريما تاما قطعيا ، ظن بعض المسلمين ان صنعها وتناولها بقصد التداوي لايدخل في نطاق التحريم . فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بين حكم الله تعالى في ان التحريم يشمل المسكر سواء اكان تناوله طلبا للنشوة والسكر ام كان استشفاء وتداويا . ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن التداوي بالمسكرات ، بل نفى عنها صفة الدواء ووسمها بأنها داء . قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : عندنا انبذة انتداوي بها ؟ قال : « اهي مسكرة » قال : نعم ، قال : « انها داء وليست بدواء » . رواه مسلم والبيهقي .

وعلى تحريم التداوي بالمسكرات اتفقت ائمة المذاهب ، غير ان الحنفية استثنوا حالة الضرورة وتعين الشفاء بالمسكر استنادا الى استثناء حالة الاضطرار في الاية الكريمة .

ولقد اشار الامام النووي (في شرحه صحيح مسلم) الى ان المعتمد عند الشافعية هو حرمة التداوي بالخمر ، اي تجرعه وشربه للتداوي ، اما تطبيقه على ظاهر الجسم بقصد المداواة عند الضرورة كالتضميد بالترياق الفاروق فان الشافعية متفقون على جوازه مع ان فيه خمرا ولحم حيات وقد اجازه الامام النووي في فتاويه المسماه بالمسائل المنثورة .

وقيد بعض الشافعية حرمة التداوي بالخمر اذا كانت صرفة غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه ، فاذا استهلكت فيه جاز التداوي بذلك لتعجيل شفاء بشرط اخبار طبيب مسلم عدل ، او معرفته للتداوي وبشرط ان يكون القدر المستعمل قليلا لا يسكر . (كما في مغني المحتاج والفقة على المذاهب الاربعة) وفي اعانة الطالبين : بحيث لم يبق فيه طعم ولا لون ولا ريح .

هذا وان المسكرات وان كانت نجسة عند الشافعية ايضا والنجاسة من اسباب التحريم ، الا انهم اعتبروا بعض النجاسات من المعفو عنها . ففي مشروع الموسوعة الفقهية الكويتية موضوع الاطعمة) الفقرة ١٧٢ في الكلام عن الغازوزة : والزيوت العطرية الداخلة في صناعتها لاتمتزج بباقي موادها الا اذا حلت باضافة جزء من الغول اليها ، والغول (الكحول) هو روح المسكرات كلها فهو نجس عند

الجمهور وبه يتنجس الزيت والغازوزة فيحرم شربها . هذا ما يبدو لاول وهلة ، لكن اذا امعنا النظر امكننا ان نقول : ان اضافة الغول انما هي للاصلاح فشأنها شأن اضافة الانفحة النجسة الى اللبن ليصير جبنا وقد قالوا إ الانفحة لا تنجس اللبن بل يعفى عنها ، هذا كله اذا قلنا إن الغول نجس فان قلنا : انه طاهر كما قال الشوكاني وكما اختارته لجنة الفتوى في الازهر فلا اشكال والله اعلم ا هـ ، والانفحة تنجس عند الشافعية اذا كان الحيوان قد رعى العشب ، اما اذا لم يكن رعاه فانها طاهرة مأكولة عند المذاهب كلها اذا اخذت من مذكى ذكاة شرعية . وقبل الشوكاني قال الامام « ربيعة الرأي » شيخ الامام مالك بطهارة الخمر والمسكرات وان نجاستها معنوية لا حسية لان وصف الرجس كان لها ولما قرن بها في الآية الكريمة من الميسر والانصاب والأزلام . فالآية ليست قطعية الدلالة على نجاسة الخمر . ويرى بعض العلماء الحكم بنجاستها لورود حديث يأمر بغسل الاوعية المستعارة من الذميين ، لكنهم يفرقون بين الغول الصرف او المدد لغرض صناعي ويعتبرونهما طاهرين او من المعفو عن نجاستهما ، وبين الغول المدد لاعداده كمشروب مسكر حيث يتنجس او يبقى على نجاسته الاصلية .

والخلاصة : ان الادوية المهيأة بالغول او الخمر بقصد صناعي صيدلاني ، لا بقصد التداوي بذات الخمر او النشوة بها ، يجيزها بعض الشافعية عند الضرورة اذا كان الغول او الخمر مستهلكة في ذلك الدواء .

اقول والله اعلم : ان استهلاك المسكر في الدواء – المشار اليه في المذهب الشافعي – يتم اما بتغير تركيبه بتفاعله بالعقار او العقارات الاخرى المشاركة في تركيب الدواء ، او باستهلاك التأثير المسكر بغلبة تأثير العقارات الاخرى بحيث لا يمكن السكر بذلك الدواء . وعليه يشترط لشرب الادوية المهيأة بالغول او الخمر ثلاثة شروط :

١ – ان يضطر الى ذلك الدواء لفقدان دواء آخر مباح خال من الغول ومفيد في ذات العلة كفائدة الدواء المهيأ بالغول في القوة وسرعة التأثير .

ومن العلماء من يجعل في حكم شرط الضرورة عموم البلوى ودفع الحرج في صناعة الادوية ، وذلك اذا تحقق الشرطان الآخران ايضا وذلك لاجازة الشافعية استعمال الانفحة النجسة في صناعة الجبن .

٢ – ان تكون الجرعة الدوائية غير مؤدية لعوارض السكر الاولى من نشوة وخفة وجرأة وتقليل حياء .

٣ – ان يكون السكر بالمقدار الكبير من الدواء غير ممكن ايضا ، لان زيادة مقدار الجرعة الدوائية الى حد فائض تؤدى الى حصول التضرر او التسمم بالعقارات المشاركة في ذلك الدواء قبل حصول السكر به ، اي ان تأثير الادوية المشاركة يغلب تأثير الخمر او الغول فأضحت الخمر مستهلكة التأثير في ذلك الدواء .

واضرب لذلك مثلا صبغة اللفاح (بللادون) وصبغة الستركنين فان العقار المؤثر محلول في الغول لحفظه وامكان معايرته وضبط الجرعة الدوائية فيه .

وعلى هذا فانه لا يجوز عند الشافعية مطلقا التداوي بالخمور الصرفة ولا بالادوية المسماة بالخمور الدوائية المهيأة ، لينتشي بها الشارب مع استعمال العلاج اللازم الممزوج بها او المستخلص بواسطتها ، اما ماعداهما من الادوية المعدة للشرب والتى يدخل الغول في اجزائها لاصلاح الدواء ومنعه من الفساد ، او لتسهيل ذوبانه ، او كان وسيلة لاخذ الخلاصة الدوائية من النبات وامكان المعايرة ، فان جواز استعمالها خاضع للشروط الثلاثة السابقة . وان التثبت من تحقق تلك الشروط تابع للطبيب المسلم العدل .

هذا واذكر بأن الطب الحديث في فروعه المختلفة اخذ في اواخر الاربعينات من القرن العشرين بابطال التداوي بتجرع المسكرات بعلة ان فيها فوائد علاجية حتى بطل نهائيا في هذه السنين الاخيرة .

امثلة عملية عن الاضطرار الى التداوي بالمحرمات :

١ ــ استعمال المخدرات في العمل الجراحي يعتبر مما نضطر اليه .

٢ ــ استعمال المخدرات كالمورفين (او مشتقاته) لتسكين الالم الشديد (كالقولنجات البولية الحصوية مثلا) حينما تفقد المسكنات ومضادات التشنج او حينما لا تفلح هذه في تسكين الالم غير المحتمل .

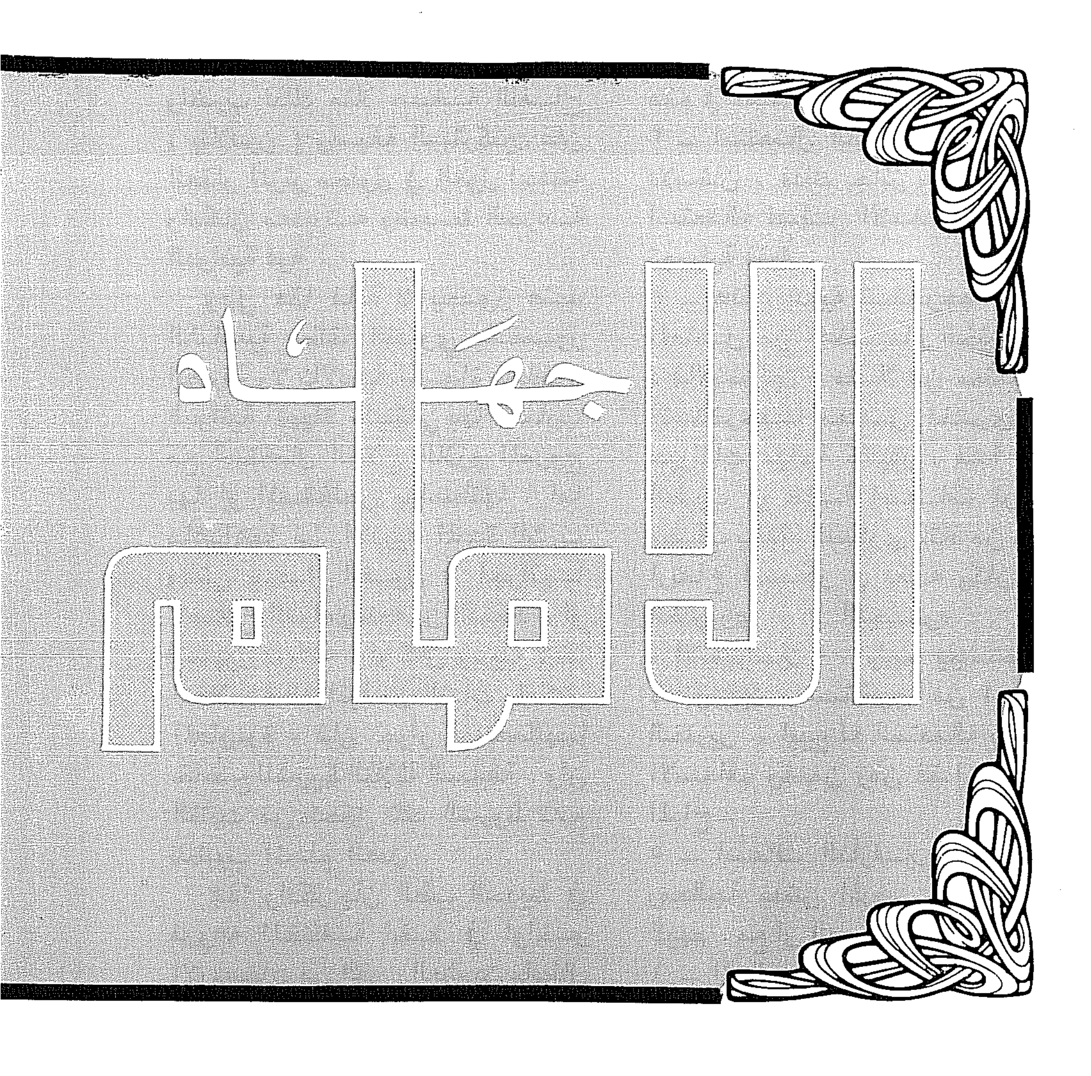
٣ ــ استعمال الذهب في تطبيب الاسنان ، فذلك جائز ، وهو غير استعماله لستر الاسنان لغاية تجميلية فقط .

٤ ــ هناك ادوية تستخرجها بعض المعامل من اعضاء الخنزير « فالانسولين » مثلا من معثكلته وتستخرجها معامل اخرى من حيوانات مباحة كالبقر ، فاذا كان الطبيب في حالة اسعاف لمريض مصاب بالداء السكرى متأذ من شدة ارتفاع السكر في دمه وكان من الضرورى اللجوء الى « الانسولين » ، ولم يجد الا « انوسلين » مستخرجا من اعضاء الخنزير ، ابيح له استعماله بمقدار الاسعاف وضمن زمن فقدان الدواء المباح .

٥ ــ اسعاف النازفين بغزارة ، ومعالجة بعض المرضى بنقل الدم اليهم ، مع ان الدم في الاصل محرم .

٦ ــ المعالجة بالمصول كالمصل المضاد للخناق الدفتريائي ، والمصل المضاد للكزاز ، والمصل المضاد لسم الافعى ، ومصل الناقه من بعض الامراض ، فان الاضطرار اليها يبيحها ، مع انها مستحصلة من دم الانسان الناقه من مرض معين ، او من مصل دم الحيوان كالحصان مثلا .

٧ ــ الاستفادة من اعضاء الموتى في عمليات الزرع ، ولي بحث خاص في بيان جواز هذه الاستفادة عند الضرورة .

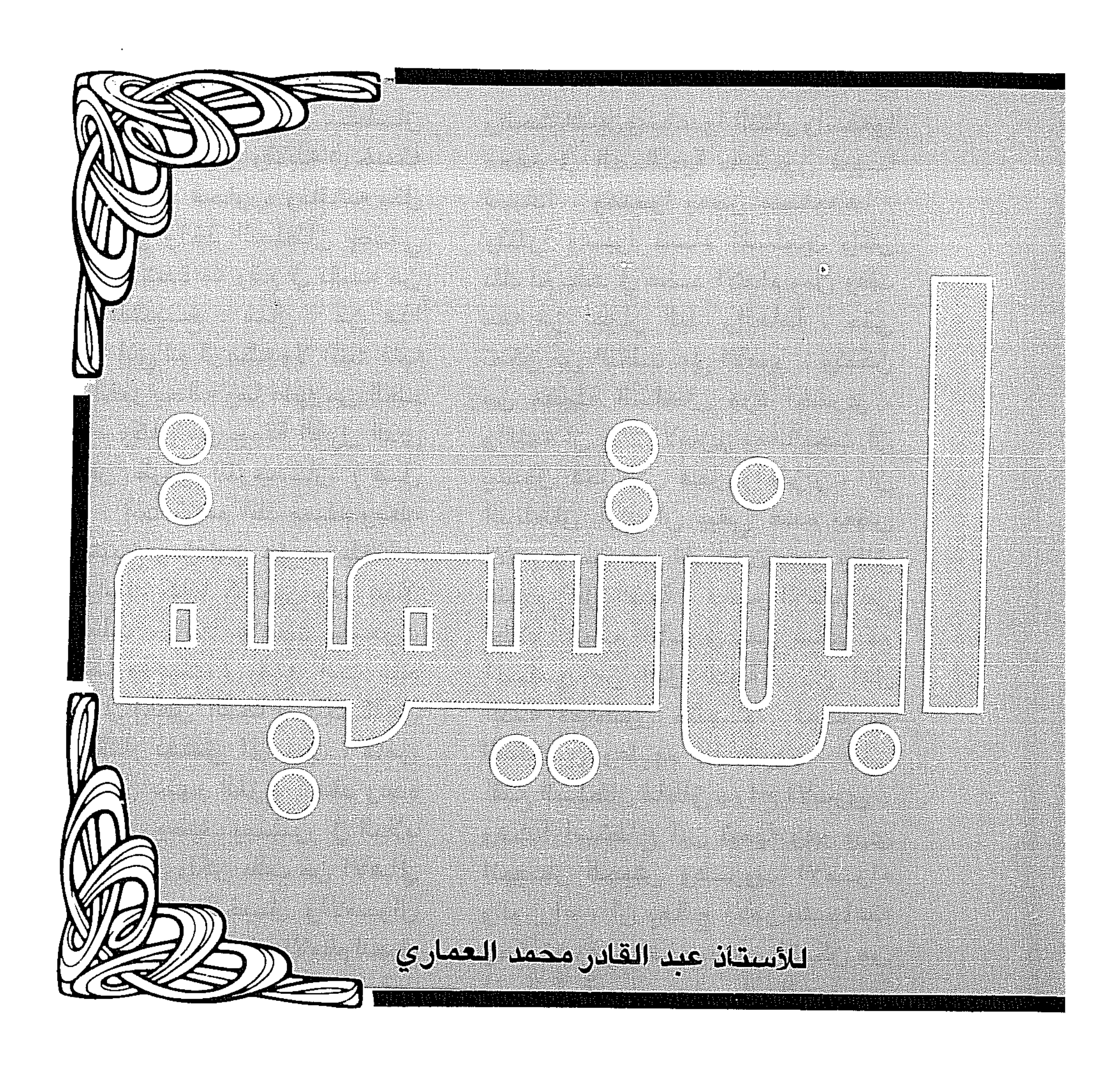


لعلنا في ظروفنا الحالية في حاجة ماسة لأن نستذكر تاريخ أبطال أمتنا الأعلام الأفذاذ ، فانهم المنارات الهادية في ليلنا الدامس ، فما أحرانا أن نستلهم من تاريخهم العبر لنستعين بذلك في الثبات على الحق ،

ودفع غوائل الدهر ، ولنكون في يقظة دائمة من أعداء الأمة الاسلامية والعربية ومؤامراتهم ودسائسهم .

فمن هؤلاء الأبطال العمالقة المتفانين في خدمة أمتهم ودينهم الامام شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المولود ٦٦١هـ /١٢٦٣م)

وكان من جهاده أنه في سنة ٦٩٩ هـ كما جاء في تاريخ ابن كثير ، عندما زحف التتار على دمشق ، وهزموا عساكر الدولة في الشام وشتتوهم ، وفر الجنود من المصريين والشاميين



واجتازوا حدود الشام الى مصر ، وفر مع الجنود كثير من أكابر العلماء بمن فيهم قاضي الشافعية امام الديـن وقـاضي المالكية الزواوي ، ـ وأصبح جنود التتار على أبواب دمشق وأهلها في ذعر وهلع ، واضطرب حبل الأمن في البـلاد حتـى خرج المجرمـون والشطـار من السجـون ينهبـون ويسرقون ، ولكن عالما واحدا بقى مع العامة ، فلم يفر ولـم يخـرج من

دمشق ، لأن له قلبا يحول بينه وبين الفرار ، وشعورا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فتولى هو القيادة وجمع من بقى من أعيان البلد ، واتفق معهم على ضبط الأمور وطلب من الحامية التي بقيت في قلعة دمشق أن تثبت ولا تستسلم ، وتكون وفد هو على رأسه لملاقاة سلطان التتار وقائدهم خارج دمشق لمحاولة منع الجيش التتري من

دخول المدينة ، وذهب الى سلطان التتار وقائدهم قازان وقابله في خيمته خارج دمشق ، فحاوره وناقشه بكل حجة ومنطق وأخذ السلطان يصغي اليه ، ومن شدة ما وقع في نفسه من المهابة للشيخ ، سأل : من هذا الشيخ ؟ إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ، وأخبر بحاله وما عليه من العلم والعمل ، وكان من جملة القول الذي وجهه عن طريق الترجمان (قل للقازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، وجدك وأبوك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، أنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت) وقد أدت هذه المقابلة الى بعض النجاح حيث تأجل دخول التتار دمشق الى حين ، فأمن الناس وزال عنهم الفزع ، فقد وعده قازان خيرا ، وطيف بمنشور في البلاد يتضمن الأمان ولكن طلب من الأهالي تسليم السلاح والخيل والأموال المخبوءة ، بينما انصرف الامام للعمل ليل نهار في تقوية الجبهة الداخلية ، ويحث الأهالي على الثبات والصمود وعدم تمكين القلق والفزع أن يتسرب الى نفوسهم ، فما كان من جنود التتار خارج دمشق بعد ثمانية أيام الا أن عبثوا فأتلفوا الزرع والماشية ، وشحت الأقوات في البلاد ، فتأزمت الأمور فحاول الامام أن يقابل السلطان مرة أخرى ، ولكن وزراءه وجنوده منعوه ولم يمكنوه من المقابلة ، وهنا تحرك الطابور الخامس المتمثل في فرق الباطنية كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والحشاشين وساعدوا التتار واندفعوا معهم في الصالحية يعيثون فيها فسادا ، وهدموا بعض مساجدها ، وقتلوا وسبوا نساء المسلمين ولكن ذلك لم يفت في عضد الامام ومن وقف معه من أعيان البلد والعامة ، حتى تمكن من التغلب على الأمور ، وتمكن من مقابلة السلطان مرة أخرى ، وأقنعه أن يفك الأسرى ومما يجب أن يسجل هنا بكل فخر واعتزاز ، أن السلطان أراد أن يبقي عنده بعض الأسرى من غير المسلمين ممن يطلق عليهم أهل الذمة ، فأصر الامام على اطلاق جميع الأسرى بمن فيهم غير المسلمين من أهل الذمة ، لأن أهل الذمة مواطنون مثلهم . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، حتى أقنع السلطان فأطلق سراح الأسرى ، وهكذا استطاع ابن تيمية وهو يرى انهيار الجيش وهروب الأمراء والوزراء ، أن يعالج الأمر بشجاعته وحكمته وقوة شخصيته ، فتمكن من المحافظة على تماسك الجبهة الداخلية ، ومنع الانهيار الشامل ، ولكن بعد أن عادت الأمور الى نصابها ، وعاد الهاربون الى ديارهم ، فما أن مرت سنة واحدة حتى عاد الخطر مرة أخرى ، فتسامع الناس في سنة ٧٠٠ هجرية أن التتار سيعيدون الكرة ويقصدون الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر بعد ذلك ، فأخذ الأهالي يفرون كالمرة الأولى ، وهم في هذه المرة يفرون على السماع ، وكانوا في المرة الأولى يفرون عند العيان ، ولكن ابن تيمية

الذي استطاع أن يعالج التتار بالسلم في الماضي بعد أن خارت العزائم وتفككت الجيوش ، ولم يكن في الامكان أن يشن عليهم حربا في تلك الظروف لأنهم كانوا أصحاب العتاد والعدة ، وغزوا الديار في عقر دارها ، أما الآن وفي الأمر فرصة لصد الغزو ودحر الأعداء ، فقد أراد أن يتقدم الى الميدان بالسيف لا بالقول ، فبدأ يخطب في الجموع الحاشدة وهي تسمع اليه ، ويحثهم على الجهاد والتصدي للعدو ، ويحذرهم من الاسراع في الفرار ، وطلب منهم بذل النفس والنفيس في الدفاع عن وطنهم وأعراضهم والدفاع عن الاسلام وبين لهم أن ما ينفقونه في الهرب وما يضيع بسببه لو أنفقوه في سبيل الله كان خيرا لهم ، ونودي أن لا يسافر أحد الا بأمر وعند الضرورة ، وأخذ يكتب النشرات المتتالية في الحث على الجهاد في سبيل الله ، ويعقد الندوات والاجتماعات وطمن الأهالي بأن السلطان الناصر بمصر ، قد عزم على الخروج وأن عساكره القوية في طريقها اليهم ، لتحمي الذمار وتدافع عن الديار . وفي هذه الأثناء تناقلت الأنباء أن القوات القادمة من مصر ، قد رجعت من الطريق وعادت الى القاهرة ، وأن السلطان قرر عدم الخروج الى الشام فعاد الرعب والاضطراب بين الناس مرة أخرى وأثار المرجفون أن التتار قد وصلوا الى حلب ، فتلفت الناس كبيرهم وصغيرهم الى البطل الامام ابن تيمية ، فخرج الى جند الشام المعسكرين خارج دمشق يحثهم على القتال ، ويقوي من عزيمتهم ، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الجهاد في سبيل الله والثبات في المعارك ، وتحذر من التولي والادبار عند حماية الوطيس ، ولم ينفك دعاة الهزيمة والمتخاذلون أن يتذرعوا بالحجج الواهية في القعود عن القتال ، ويتسترون أحيانا بالدين ، ويقولون كيف نقاتل المسلمين ، فالتتار مسلمون ، فرد ابن تيمية وهو يستشيط غضبا على أولئك الذين لا يعرفون الدين الا في المناسبات ، ومتى كان يوافق أهواءهم وأغراضهم ، فيرد عليهم بأن الامام علي ومعاوية والصحابة رضوان الله عليهم قاتلوا الخوارج ، مع أنهم كانوا أفضل اسلاما من هؤلاء التتار ثم طلب منه بعض الأمراء ونواب السلطة أن يذهب بنفسه الى مصر ليستحث السلطان على المجيء الى الشام بجيشه وقوته ، فان جحافل التتار لا يمكن أن يقف في وجهها جيش الشام بمفرده . فركب خيله وتوجه الى مصر ، وما أن وصل حتى وجد السلطان قد عاد بعسكره الى القاهرة وخلد الى الراحة ، وتفرقت جموع الجند ، فدخل الامام البطل على السلطان الناصر ، وهو بين أمرائه ، ووزرائه وقال له : « ان كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، ثم قال : لو قدر أنكم لستم حكامه ، واستنصركم

أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطنه ، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم » . ثم التفت الى الأمراء والوزراء ، وحثهم على النجدة ، وقوى جأشهم وعزيمتهم ، وما زال بالسلطان وقواده ، حتى تجمعت الجنود وخرجت من مصر متجهة الى الشام ، وقد سبقها ابن تيمية الى دمشق ليقوي عزيمة أهل الشام ويبشرهم بتحرك القوات المصرية ، وأنها في الطريق اليهم ، لأنه قد ترك دمشق وقد استولى عليها الذعر واشتدت فيها الأراجيف ، حتى نادى دعاة الهزيمة بالفرار وأنذرهم والي المدينة بأنه من قدر على شيء فليخرج به ، وقد وصل ابن تيمية قبل أن يفر الناس وأن يستجيبوا لهذا الوالي الجبان فطمأنهم وأمنهم ، وتأكدوا أن جنود السلطان آتية قبل أن يأتيهم التتار ، فاستقرت البلاد واطمأنت الى قوتها ووحدتها ، فسمع التتار أن خصومهم قد أعدوا العدة وأخذوا الأهبة ، فلاحظوا في أنفسهم الضعف ، فلم يتقدموا لغزو الشام ، وتراجعوا الى معاقلهم .

وبعد أن انقشعت سحب الحرب ، عاد الامام الى دروسه وعلمه ، ولم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد أقام الفضيلة والأخلاق عندما صارت له الكلمة الأولى في الشام ، فحطم حانات الخمور ومواخير الفواحش ، وعزر أصحابها ، فلقى ذلك ترحيبا من العامة ، اذ رأوا أن أحكام القرآن تنفذ وعهد الرسول والصحابة يعود .

وما أن مضت سنتان حتى جاء التتار وزحفوا مرة أخرى على الشام سنة ٧٠٢هـ . ولكن كانت الجيوش الشامية والمصرية على أهبة الاستعداد بفضل ذلك الامام البطل ، ومرة أخرى عاد دعاة الهزيمة والتخاذل ينشرون الفزع في قلوب الناس ، ولكن في هذه المرة قد تحالف العلماء والقضاة والأمراء على أن يلاقوا العدو ولا يفرون من دمشق . ووقف الامام ابن تيمية على رأس الجموع يثبت القلوب ويعدهم بالنصر ، وكان عندما يتلو عليهم قول الله تعالى : **(ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله)** الحج/٦٠ . كان يحلف ويقول : والله انكم لمنصورون فيقول له بعض الامراء : قل ان شاء الله فيقول : أقولها تحقيقا لا تعليقا ، ومرة أخرى يستشيط غضبا على دعاة الهزيمة عندما يقولون له : ان التتار مسلمون ، كيف نقاتلهم ؟ فيرد عليهم بأن هؤلاء يزعمون أنهم أحق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، ويقول لهم في غيظ : اذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني .

وبعد أن حرك الامام فيهم العزيمة وأثار النخوة ، امتطى صهوة جواده حاملا سيفه ، وخرج الى مرج الصفر قريبا من دمشق وقبل أن تبدأ المعركة

التقى بالسلطان الناصر ، يحثه وجنده على الجهاد واحقاق الحق ورد المعتدين ، بعد أن بلغه أن السلطان كاد أن يرجع وقد طلب منه السلطان أن يقف معه في المعركة فقال له : « السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف الا معهم » وقد حث الجنود والأمراء على الفطر ، فقد كان ذلك الشهر شهر رمضان المعظم ليقووا على القتال ، وكان يروي لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح « انكم ملاقو العدو والفطر أقوى لكم » وكان يدور على الجنود وهو يأكل أمامهم ليبين لهم إن افطارهم أفضل في هذه الحال وقد بدأت المعركة ، التي تسمى في التاريخ وقعة شقحب في الرابع من رمضان سنة ٧٠٢هـ . الموافق ١٣٠٣م . وقف البطل الفارس ومعه اخوة في المعركة موقف الموت مع الجنود الشاميين والمصريين ، واشتد القتال وأبلى الامام بلاء حسنا . حتى انتصر جنود مصر والشام وولى التتار الأدبار ، يقتحمون الجبال والتلال وجنود الاسلام تتعقبهم وتطاردهم وتأسر منهم ، حتى قضى على هذا الخطر المستطير ، فقد وصف بعض الأوروبيين الغارات التي يشنها التتار على المدن والشعوب ، فشبهها بهزات الطبيعة التي تقتلع الحياة وتغير وجه الأرض ، ومما يجدر أن نقف عنده هنا موقف الطوائف الباطنية ، فقد مالأت التتار وساعدتهم في هذه الحرب وفي الحروب السابقة ، وموقفهم دائما في مساعدة كل غاز لبلاد الاسلام ، واشتراكهم في السلب والنهب ضد المسلمين ، لذلك اتجه بصر ابن تيمية الى هؤلاء ، لأنهم بفعلهم هذا قد برهنوا أنهم منافقون غير مسلمين ، انهم شوكة في جنب دولة الاسلام الشامية المصرية ، يتربصون بها الدوائر ويمالئون عليها الأعداء ، ومنهم العيون والجواسيس وقد وجه الامام ابن تيمية رسالة الى السلطان الناصر يحذره فيها من شرهم ، ويطالبه بالزامهم بشرع الاسلام واخراجهم من الجبال والعمل على دمجهم في المجتمع ، حتى لا يصبحوا قوة منفصلة تهدد كيان الدولة الاسلامية باستمرار . ومما جاء في تلك الرسالة « لما قدم التتار الى البلاد وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا الى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب وحملوا الى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده الا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما ، يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص (أي الصليبيين المحاربين للمسلمين) وفرحوا بمجيء التتار ولما خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس فيهم ولما نصر الله الاسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء ، كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة ، كان من أسباب خروج جنكيزخان الى بلاد الاسلام ، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ، وفي

قدومه الى حلب وفي نهب الصالحية ، وغير ذلك من أنواع العداوة للاسلام وأهله ، ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرهم منهم في أمر لا يضبط شره ، كل ليلة تنزل منهم طائفة ويفعلون الفساد ما لا يحصيه الا رب العباد ، كانوا في قطع الطرقات واخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد اليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فاما أن يقتلوه وأما أن يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت بالحيلة » . هذا جزء من الرسالة أو التقرير الذي رفعه الامام الى السلطان بشأن تلك الطائفة التي أصبحت كالشوكة في جنب دولة الاسلام ، ولم يكتف الامام بتوجيه الرسائل بل قاد هو كتيبة مع بعض أصحابه ، وذهب الى هؤلاء في معاقلهم يؤدبهم على ما اقترفوا من جرائم في حق الاسلام والمسلمين ، فقد بلغت بهم العداوة الى أن يبيعوا المسلمين الى النصارى الصليبيين عندما حانت لهم الفرصة وهنا يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « « ولعل أشد ما أصاب ابن تيمية من مرارة بيع المسلمين للصليبيين ، ولم يكن ذلك عن تعصب ديني ، بل لأن بيع المسلم حرام وبيعه لغير المسلم كفر ، ولأن الصليبيين كانوا في حرب مع المسلمين فبيع أولياء الاسلام لأعدائه مروق لا يبرره أي اختلاف طائفي أو مذهبي ، وأن ابن تيمية الذي لم يسوغ أسر الذمي بل يعمل على استنقاذه كما يستنقذ المسلم ، لا يتسع ضميره الديني قط لأن يغضي عن طائفة تنتسب الى الاسلام تبيع المسلم الحر لعدوه الذي يقاتله في الميدان ، من أجل ذلك لم يتركها في عبثها واعتدائها ودسها ، ولكن هل قضى عليها ؟ انه خضد شوكتها وأزال مجتمعها في الجبل ولكنه لم يزلها ، فان لم تجتمع في الجبال اجتمعت في الوهاد والرياض ، وهو على أي حال انتصر للحق منها وقلم أظفارها ، كما كشف عن مستور أهل التصوف الذين اتخذوا الشعوذة سبيلا للتأثير على العادة واقامها عليهم حربا شعواء ، وخصوصا أن بعضهم مالأ التتار أثناء حملتهم على الشام وعيثهم فيها فسادا ، كما اتجه الى ازالة البدع والمنكرات ، وقد علم أن صخرة تزار وتنذر لها النذور فذهب مع أصحابه ومعه حجارون يقطعون الصخور فقطعها وهدمها وأراح المسلمين من وزرها » .

واننا إن كنا قد ذكرنا جهاده في ميدان الحرب ، فان له في ميدان الفكر صولات وجولات مع مختلف الطوائف والمذاهب والأفكار ، كانت السبب في كثرة أعدائه وحساده ومناوئيه ، وقد جرت بينه وبين معارضيه ومنتقديه مناقشات وردود أفحمهم فيها بالحجة والمنطق والأدلة الدامغة فجردهم من أسلحتهم وتفوق عليهم ، سلكوا سبيل الوشاية به لدى الحكام والسلاطين وتحريض العامة والخاصة عليه فعاقبوه بالنفي

والسجن ، فكان في السجن يعلم المساجين والحراس أصول الدين ، ويكتب الرسائل والمؤلفات في مختلف علوم الشريعة وفي الرد على خصومه فضاقوا من كتاباته وهو في السجن ، فجردوه عن القلم والمحبرة والأوراق ، وعزلوه في سجن انفرادي فانشغل بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن ومع ذلك فلم يمنعه أن يكتب بعض خواطره بالفحم على أي شيء يتمكن من الكتابة عليه ، ومما كتبه بالفحم قوله « قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب ، فاستعلمهم الله من حيث لا يشعرون حتى أظهروا ما لا يريدون اظهاره ولم يمكنهم أن يظهروا علينا عيبا في الشرع والدين ، بل غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين ، والمخلوق كائنا من كان اذا خالف أمر الله ورسوله لم يجب ، بل لا تجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين » ، وكان من كلامه كلمته الخالدة التي ذهبت مثلا يرددها كل مفكر مصلح يقول كلمة الحق : « **سجني خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة** » . وقد كان رحمه الله عظيما في أخلاقه ، لا يحمل حقدا ولا ضغينة على أحد حتى أنه ليصفح راضيا طيب النفس عن كل مسلم ناله منه أذى ، وقد زاره أمير دمشق لما مرض في السجن ، فلما جلس أخذ يعتذر ويلتمس منه أن يحلله مما عسى أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير ، فأجاب الامام « اني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق وأحللت السلطان الملك الناصر من حبسه اياي ، لكونه فعل ذلك مقلدا معذورا ولم يفعله لحظ نفسه وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه الا من كان عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وقد توفي في هذا المرض رحمه الله بالسجن في تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ . الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٢٨م . وما أن علمت الجماهير بوفاته حتى عمها الحزن والأسى ، وعندما خرجت جنازته أحاطت بها الجماهير وخرجت دمشق كلها عن بكرة أبيها ، تشيع جنازته مودعة امامها وقائدها الى مثواه الأخير . رحم الله الامام ابن تيمية وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . وقد حرم من كثير من حرم نفسه من قراءة تاريخ هذا الامام العظيم ومؤلفاته في شتى العلوم الاسلامية ومؤلفات تلاميذه ، وخاصة تلميذه الامام ابن القيم الجوزية فرحم الله الجميع ونفعنا بعلومهم وعصمنا من معاداة أوليائه الصالحين .

(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون) البقرة/ ١٤٠و١٤١ .

(ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) الحشر/ ١٠ .



كثيراً ما تضيع الاموال ، وتموت الحقوق ، اما بطريق العمد ، واما بطريق التقصير أو الاهمال أو اللامبالاة ، وهذا ما ينهى عنه الاسلام الذي طالب بحفظ الحقوق ، واداء الديون وتبرئة الذمة ، وشرع ما يكفل ذلك ، ويمنع الضياع سواء كان عن عمد أم تقصير ، وذلك عن طريق الوصية الواجبة .

وهذا يدعونا لبحث هذا الموضوع الهام ، والتنبيه عن خطورته ، فنقدم تعريف الوصية وانواعها ، وصلة الوصية الواجبة بالمعاملات ، ثم نبين حكمة مشروعية الوصية الواجبة ، ومسؤولية الدين شرعاً ، ووجوب الاسراع به ، واثر العقيدة في الوصية الواجبة .

تعريف الوصية :

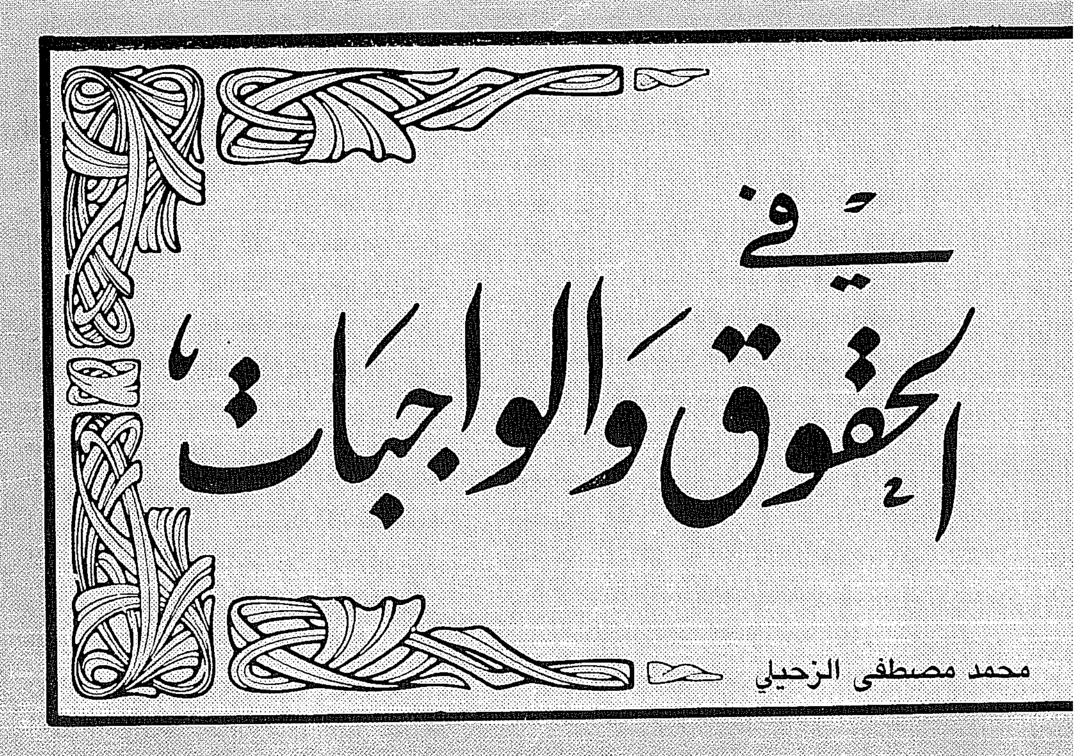
« هي تصرف في التركة مضاف الى ما بعد الموت » ، وذلك : ان يعلن شخص عن رغبته في التبرع والاداء من جزء من ماله بعد وفاته ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وطمعا في ثوابه ، وتكفيراً عن ذنوبه واخطائه التي ارتكبها في حياته ، ووفاء للديون والالتزامات التي وجبت عليه .

انواع الوصية :

والوصية عدة انواع نعدد اهمها وهي :

اولا :الوصية المحرمة :

وهي ان يوصي الانسان بمال ، ويتبرع به ، بقصد اضرار الورثة ومنعهم من استحقاق التركة ، أو تخفيض حصتهم منها ، وهذا



محمد مصطفى الزحيلي

التصرف ممنوع بنص القرآن الكريم ، ويرتكب فاعله الاثم والمعصية ويحرم من الاجر والثواب ، ويختم حياته بالشر والضرر ، قال تعالى : **(من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار)** النساء/١٢ .
وطلب القرآن الكريم من المؤمنين الذين يحضرون مجلس الوصية ان يمنعوا الموصي من الاذى والضرر بوصيته فقال تعالى : **(فمن خاف من موص جنفاً أو اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم)** البقرة/١٨٢ .

ويدخل تحت هذا النوع الوصية لاحد الورثة لتخصيصه بقسم من المال ، وزيادة حصته التي يأخذها من الميراث ، إيثاراً له على باقي الورثة ، واضراراً بهم ، كما يدخل في الوصية المحرمة التبرع بالمحرمات ، والوصية الى جهات الفسق والفجور ، والى الاعداء والكفار ... وغير ذلك .

ثانيا : الوصية المندوبة : وهي التبرع المضاف الى ما بعد الموت للفقراء والمساكين من غير الاقارب أو من ذوي القربى غير الوارثين ، وتشمل التبرع في سبيل البر والخير والاصلاح ، وهذا اهم نوع من انواع الوصية ، وهي التي يريدها الفقهاء والمحدثون والمفسرون عند الاطلاق ، وندب اليها القرآن الكريم ، وحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : **(كتب عليكم اذا حضر**

احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين) البقرة/١٨٠ .

وروى البخاري ومسلم واصحاب السنن وابو يعلي ومالك واحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما حق امريء مسلم يبيت ليلتين ـ وله شيء يريد ان يوصي به ـ الا ووصيته مكتوبة عند رأسه) وذلك حثاً له على التبرع والصدقة ، قبل ان يحزمه الموت فيقول ـ حيث لا ينفعه القول ـ : لو تأخرت لانفقت وتبرعت ، ويصور لنا ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : **(وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون)** المنافقون/١٠ ـ ١١ .

ثالثا : الوصية الواجبة : وهي قسمان .

القسم الاول : الوصية التي جاء بها قانون الاحوال الشخصية السوري والمصري لمعالجة قضية ابن المحروم ، وهو الذي مات أبوه في حياة جده ، ثم مات الجد وله ابنان غير ابنه المتوفي ، فالاصل ان الابن الميت سابقاً لا يرث ، وان ابناء الابن لا يرثون مع وجود الابناء ـ وهم اعمامهم ـ فاجتهد المشرع وأوجب على الجد ان يوصي لابناء ابنه المتوفي وصية من ماله في حدود الثلث من جهة ، وفي حدود حصة المتوفي لو كان حيا من جهة أخرى ، فان مات الجد ولم يوص : أخرجت الوصية من تركته ، ويكون كأنه أوصى حكماً ، لانها واجبة عليه ، فان قصر بها أخرجت من ماله جبراً عنه .

وهذه الوصية اصبحت شائعة في سورية ومصر ، واذا أطلقت الوصية الواجبة انصرف الذهن اليها دون غيرها وغفل الناس عن الوصية الواجبة شرعاً التي تهم سائر الناس وتعالج قضايا المجتمع ، وليس ابن المحروم فقط .

القسم الثاني : الوصية الواجبة في بيان الديون والحقوق التي تثبت في ذمته سواء كانت لحق الله تعالى أم لحق العباد ، وسواء أكانت ديوناً في الذمة ، أم أعياناً يحفظها لغيره كالوديعة .

هذا القسم الاخير من الوصية الواجبة هو موضوع البحث الذي نتناوله الآن ، لما له من آثار اجتماعية كبيرة ، وما يترتب عليه من مخاطر دينية جسيمة على المسلم ، ولن أتعرض للحديث عن أنواع الوصية الاخرى التي اسهب الفقهاء ببحثها وبينوا حدودها واحكامها . ويدخل في الوصية الواجبة ما أمر الله تعالى به في ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين في الآية السابقة ثم نسخت هذه الوصية بآيات الفرائض وحديث (لا وصية لوارث) وهو حديث متواتر كما قال الشافعي رضي الله عنه .

صلة الوصية الواجبة بالمعاملات :

الوصية الواجبة فرع من المباديء

الكبرى التي أقرها الاسلام في وجوب التعاون والتآزر بين افراد المجتمع ، وهي ضمان ومؤيد ديني لمشروعية المعاملات في الاسلام ، وذلك أنه ينشأ عن التعامل ثبوت الديون واستقرارها في الذمة ، فقد ندب الشارع الحكيم الى القرض الحسن في الاموال المثلية التي تستهلك بالاستعمال ، ويجب رد مثلها الى صاحبها ، وحبب بالاعارة بالاموال الاستعمالية التي يستفيد منها المستعير من منفعتها ، ويجب عليه رد العين الى المالك ، ودعا الاسلام الى قبول الودائع وحفظها عند أمين يردها الى صاحبها عند الطلب ، وينتج عن هذا ثبوت الديون في الذمة وترتب الالتزامات في الودائع والاموال عند المستعير والمقترض والوديع وغير ذلك . والاسلام اقر المعاملات بين الناس وبين احكامها وشرع القواعد المنظمة لها ، ونص على المؤيدات لضمان سيرها وحسن الانتفاع منها .

وهذه الديون والحقوق والاملاك حق لصاحبها الذي يتعلق ملكه فيها ، وتثبت في ذمة المسلم الذي يطالب شرعاً برد الحقوق الى اصحابها ، والمحافظة عليها .

حكمة الوصية الواجبة :

بما ان الحياة ليست بيد الانسان ، وانما هي بيد الله تعالى ، وان المرء لا يستطيع قطعا ان يعرف اجله ووقت وفاته لأداء الحقوق والواجبات قبلها ، بل هي من المغيبات التي استأثر الله تعالى بها ، قال تعالى **(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير)** لقمان/ ٣٤ . ومن الامور المسلم بها أيضا أن أنتهاء الحياة لا يتوقف على سبب معين كمرض أو كبر سن ، وإنما يطرأ الموت بسبب وبدون سبب فلا ضمان لاستمرار الحياة لوفاء الديون والحقوق ورد الودائع والاعيان ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فقد أوجب الله تعالى على المسلم أحكاما كثيرة كالصدقات والحج والزكاة ، وقد يتعذر على المرء أن ينفذ هذه الواجبات ، وقد يقصر فيها ، ويريد ان يبرىء ذمته أمام الله تعالى ، قبل أن يقف على الصراط ، ويعرض للحساب ، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، يوم لا يغني عنه مال ولا بنون ، فيرغب ان يستدرك ما فاته من اداء الواجبات والحقوق ، ولا يمهله الموت فتكون وصيته جاهزة عنده .

ومن جهة ثالثة فقد اقرت الشريعة الغراء مبدأ انتقال المال الى ورثة المتوفي ، لأن الورثة امتداد لحياته ولكنهم يضعون ايديهم على تركته وأملاكه التي خلفها وراءه ، ويستحقون ميراثه ، دون أن يعترفوا ويلتزموا بما عليه من ديون اذا كانت مستغرقة للتركة ، أو كانت الديون غير ثابتة عندهم ، فان مات الشخص وعليه دين لآخر ، او عنده أمانة

لغيره ، ولم يبين الدين ، ولم يشهد على الامانة ولم يوص بهما فقد خان الله ورسوله ، وخان الامانة ، وضيع الحق على صاحبه ، وأمات الدين ، وأخذها ورثته مالا حلالا عند جهلهم بأصلها .

وهذه الحالة ندد الشارع الحكيم فيها ، واعتبرها كبيرة من الكبائر التي لا يقرها ـ مهما كانت الاسباب والمبررات ـ وشرع للمسلم الوصية الواجبة ، وفتح الطريق أمامه في الحياة ، وأوجب أن يعين كل ذلك بأسرع وقت ممكن قبل أن يفوته الأوان ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث السابق : (ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين ـ وله شيء يريد أن يوصي به ـ الا ووصيته مكتوبة عند رأسه) ، قال عبد الله بن عمر ـ راوي الحديث ـ (ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي ـ رواه مسلم في صحيحه .

قال القسطلاني في إرشاد الساري : نعم تجب الوصية على من عليه حق لله كزكاة وحج أو حق لآدمي بلا شهود ، وقال أيضا : ان التعبير « بالمسلم » قد يكون من الخطاب المسمى ـ عند البيانيين ـ بالتهييج أي الذي يمتثل امر الله ويتجنب نواهيه انما هو « المسلم » ، ففيه إشعار بنفي الاسلام عن تارك ذلك .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم : ان كان على الانسان دين او حق او عنده وديعة ونحوه لزمه الايصاء بذلك .

وهذا يقودنا للكلام عن موقف الاسلام من الدين ، وأثره في الحياة .

مسؤولية الدين شرعاً :

ان الحديث السابق يؤكد المسؤولية العظيمة التي تقع على عاتق المدين ، وان الدين ملازم له في الحياة ومطالب به بعد وفاته ، ومحاسب عنه أمام الله تعالى ، فاذا مات الانسان معجلا فانه يضمن الامانات المودوعة عنده في الدنيا ، وتعلق روحه ، او ترهن نفسه ، ويحال بينه وبين الجنة في الآخرة بسبب دينه ، روى ابن ماجه والامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد بن الاطول : (ان اخاك محبوس بدينه فاقضه عنه) وروى احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه) .

إضاعة الديون والحقوق من الكبائر :

ومما يؤكد وجوب الوصية لوفاء الحقوق والديون ما ورد في شأن الدين من الأحاديث التي تظهر آثاره الدينية وهي :

اولا : ثبت في كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على رجل مات وعليه دين ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتي بجنازة يسأل عن صاحبها فان كان مديناً ، وليس له تركة ، قال : صلوا على صاحبكم ، والصلاة على الميت إنما هي دعاء واستغفار وشفاعة ، ولذا

كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على مشاركة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على موتاهم ، لأن دعاءه مستجاب ، وشفاعته لا ترد ، روى البخاري والنسائي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل من الانصار ليصلي عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا على صاحبكم فان عليه دينا ، قال أبو قتادة : هو علي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالوفاء ؟ قال : بالوفاء ، فصلى عليه . وفي رواية عن سلمة بن الأكوع قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فقالوا : يا نبي الله صل عليها قال : هل ترك عليه ديناً ، فقالوا : نعم ، قال هل ترك من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : صلوا على صاحبكم ، قال رجل من الانصار يقال له أبو قتاده : صل عليه وعلي دينه ، فصلى عليه . (روى القصة البخاري وغيره)

قال البيضاوي : لعله صلى الله عليه وسلم امتنع عن الصلاة على المدين الذي لم يترك وفاء تحذيراً من الدين ، وزجرا عن المماطلة ، أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الاجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخالق .

ثانيا : وبعد أن قويت الدولة الاسلامية في المدينة ، وفتح الله على رسوله ، وغني بيت المال من الموارد ، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم الدفة ، وصار يقضي الديون عن أصحابها من بيت المال ، فان مات شخص وعليه دين ولم يترك شيئاً وفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة بالميت من العذاب ، وتبرئة لذمته ، وحفاظا على سمعته وكرامته وعرضه وذكره بعد وفاته .

روى النسائي عن جابر في حديث الدين : فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك دينا فعلي ، ومن ترك مالا فلورثته ، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه : فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : « انا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته ».

ثالثا : إن الشهادة في سبيل الله أسمى أماني المسلم ، وهي أعظم تضحية من المسلم الذي يبذل فيها نفسه وروحه ابتغاء مرضاة الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ولذلك فان الشهيد يتبوأ أعلى مرتبة في الفردوس مع الانبياء والاولياء والصالحين ، وان الشهادة تكفر عنه جميع الذنوب والاثام التي اقترفها في حياته الا الدين ، فانه لا يسقط ، ويطالب به يوم القيامة ويحاسب عليه ، روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين) رواه مسلم واحمد ، وروى ابو قتادة ان رجلا قال : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال (نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل عليه السلام قال لي ذلك). رواه مسلم .

وهذا يبين عظمة الدين وأثره في

الشريعة ، وأن إضاعة ديون الناس كبيرة من الكبائر التي لا يكفرها الله تعالى ، ولا تغطيها الشهادة في سبيل الله .

قال النووي في شرح مسلم : ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين ، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين ، وانما يكفر حقوق الله تعالى .

ولا غرابة في ذلك فقد نص علماؤنا أن حقوق الناس مبنية على المشاحة والمطالبة ، وأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة .

الاسراع في وفاء الدين والعقاب على تأخيره :

ولا يفهم من كلامنا أنه يجوز للمسلم أن يتكاسل عن وفاء الديون ، ثم يوصي بها بعد وفاته ، وإنما يجب عليه الاسراع بالوفاء ، فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن على ذلك ، لرد الدين الى صاحبه الذي أحسن اليه ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه : (من اخذ اموال الناس يريد أداءها : ادى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها اتلفه الله) رواه البخاري وغيره . وجعل الاسلام المطل بالدين وتأخير الوفاء به بدون عذر مع القدرة عليه مما يبيح العرض والسب والشتم والعقوبة فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته) رواه أحمد وغيره وقال ايضا : (مطل الغني ظلم) رواه الشيخان .

ومع ذلك فان تأخر عن قضاء الدين عمداً ، مع القدرة عليه ، فهو آثم أمام الله تعالى ، واعتبر مقصراً ، ولكن الشارع الحكيم أراد ان يفتح امام عباده آخر فرصة في هذه الحياة الدنيا التي خلقها للاختبار والامتحان اراد ان يفتح لهم ـ كرما منه وفضلا باب التوبة ورد الحقوق وابراء الذمم ، ولو كان ذلك تصرفا في تركته مضافا الى ما بعد الموت حتى يلقي الله تعالى ، وهو عنه راض ، فشرعت الوصية كآخر سهم في حوزة الانسان .

الوصية الواجبة إقرار بالحق لصاحبه :

إن الحقوق والديون والالتزامات التي لم يحل أجلها ، أو لم يستطع صاحبها أن يقضيها شرعت لها الوصية الواجبة بالاقرار بالدين والاشهاد على الودائع والاملاك ، والاقرار سيد الأدلة في اثبات الحقوق وقد بنى الشارع عليه الاحكام ، وذلك ان كثيرا من الحقوق قد تنعدم فيها الشهادة وتتعذر فيها الكتابة ولا يعرفها الا اصحابها فلا سبيل الى إحقاق الحق ورده إلى أصحابه إلا ذمة المدين وضميره ، فاما أن يقر بها لتصل إلى ذويها ، أو يوصي بها ، وإما أن ينكرها ويهضمها ويختلس حقوق الآخرين فتضيع عليهم ، دون أن يملكوا وسيلة لاثباتها أو يأملوا في الوصول إلى الحق والعدل ، ومن هنا تبرز حكمة الاقرار ومحاسنه في اداء الدين حال حياته والا يجب عليه الايصاء بالكتابة أو المشافهة .

أثر العقيدة في الوصية الواجبة :

نرى من النصوص السابقة أن

القرآن الكريم أوجب اظهار حقوق الناس والاعتراف بها لكفالة الانصاف في التعامل وكلما كانت تربية الفرد عالية ، وعقيدته صافية قوية ، وأخلاقه رفيعة ، وإيمانه حقيقيا ، ومراقبته لله مستمرة في السر والعلن كان الدافع الى الاقرار والايصاء صحيحا سليما ، وهنا نلمس الاثر العظيم للوازع الديني في الحفاظ على الحقوق ، وذلك بمراقبة الله تعالى والخوف من عقابه والطمع في مرضاته ، وفي تنفيذ أوامره بدافع داخلي وباعث ذاتي .

وان المسلم الذي اعتقد بالله تعالى ربا وخالط قلبه الايمان بالله وبالرسول وايقن انه مفارق هذه الحياة وانه يبعث يوم القيامة ليحاسب على اعماله صغيرها وكبيرها ، في يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس – من هول الموقف – سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد في ذلك اليوم يأتي الانسان ليحاسب عن أعماله ، وما فرطت يداه في حقوق الله تعالى ، وما عبثت في حقوق العباد ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

واذا كان الله غفورا رحيما في حقوقه ، واذا طمع المؤمنون في رحمة ربهم وعفوه ، فمن اين للعبد المؤمن ان يحلم بمثقال ذرة من حقوق العباد ، واهمها الدين ، روى ابن ماجه والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : » ان الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة ، إلا من تدين في ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين فيتقوى به لعدو الله وعدوه ، ورجل يموت عنده مسلم لا يجد ما يكفنه ويواريه الا بدين فيموت ولم يقضه . ورجل خاف على نفسه العزب فينكح ليعف نفسه بذلك خشية على دينه ، فان الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة » .

ولا غرابة بعد ذلك اذا رأينا في مصارف الزكاة « الغارمين » الذين استدانوا في سبيل الاصلاح بين الناس والحفاظ على دمائهم ، وبذل المال لارضاء الخصوم .

خاتمة :

ونلخص من هذا الى وجوب الاعتراف بالحقوق ، والايصاء بوفائها وردها الى اصحابها ، وان يكتب الانسان ما عليه من ديون وواجبات ، سواء كانت حقا لآدمي او حقا لله تعالى ، لان قضاء الدين واجب لتفريغ الذمة ، ورفع الحائل بينها وبين الجنة ، والا ارتكب معصية كبيرة في التسبب بضياع حق الناس وترك الاقرار بها ، وضياع حق الاخرين من الكبائر ، فكذا التسبب فيه ، لان للوسائل حكم المقاصد ، وقد اجمع العلماء من السلف والخلف على ان الدين مقدم على الوصية ، وان الورثة لا يأخذون شيئا قبل قضاء الديون .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وارزقنا العمل به ، والحمد لله رب العالمين .



كلما دار الفلك دورته ، وأقبل شهر رجب احتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بحادث جليل لم تنقض عجائبه .. حادث حير الألباب وأدهش العقول حتى صار تسبيحة العقل وأنشودة الزمن .. إنه الاسراء والمعراج ذلك الحدث العجب الذي سطره التاريخ في سجلات الخلود ذخيرة للأجيال المتعاقبة ، ليأخذوا العظة والدرس والعبرة ، وفي كل عام يكتب الكاتبون ويتحدث المتحدثون ولكن المداد لم يجف والكلام لم ينته ويقف الكون أمام الاسراء والمعراج في خشوع ووقار ..

واذا أردنا أن نتحدث عن الحكمة من هذا الحادث الأجل ، فلا بد أن نذكر الفترة العصيبة التي مرت بها الدعوة الاسلامية في أيامها الأولى مرحلة « التأسيس والبناء » ، وهي ولا ريب أصعب مرحلة في حياة كل دعوة جديدة تشق طريقها للأمام ..

لقد أظلمت الدنيا في مكة يوم حاول المشركون إطفاء شعلة الاسلام التي بدأت تنير القلوب وتهدي النفوس وتبدد غياهب الظلام ، وضلت الحقيقة طريقها ، يوم اعتزم دعاة الباطل القضاء على دعوة النور التي انبثقت لتهدي الناس إلى الخير ، وتقودهم إلى الأمان والسلام ، وكاد صوت الحق يختنق في هجير العواصف العاتية من البغضاء والكيد والافتراء ، وفي وسط صيحات الاستهزاء بالدين الجديد ، وهكذا تفاقم العناد وتصاعدت التحديات من مجرد القول إلى الايذاء والتعدي ،

وأخذ المشركون يعتدون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شرح الله صدورهم للايمان بمختلف ألوان التعذيب وصنوف البلاء ، وازدادت قلوب أهل مكة قسوة وصلابة ، فراح الرسول يتلمس لدعوته أعوانا مؤمنين ، وغير مكان الدعوة أملا أن يجد الخير الذي حرم منه في مكة فذهب إلى الطائف آملا أن يجد تربة خصبة طيبة تنبت فيها بذور الايمان ، ولكن أهل الطائف ردوه ردا مؤلما وقابلوه أسوأ مقابلة وكانوا من الحقارة والدناءة أن سلطوا عليه غلمانهم ، وصبيانهم يرمونه بالأحجار والسخرية والسباب ، فلم يجد منفذا ولا طريقا للنجاة إلا أن يرفع يديه وناظريه إلى السماء يناجي ربه ويقول : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك أوسع لي : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »

ويستمر رسول الله في دعوته صابرا محتسبا رغم الصعاب والأعاصير وبينما الدعوة تشق طريقها بطيئة وسط أشواك متشابكة ، إذ مات عمه أبو طالب الذي كان له درعا واقيا من بأس البغاة الآثمين ، وما كادت لوعة الأسى تفارقه ويخف عنه الألم والحزن حتى اختطفت يد القدر زوجته البارة خديجة التي ناصرته بنفسها وواسته بمالها ومسحت بيدها آلامه وأحزانه فحزن الرسول لموتهما حزنا شديدا ، وتراكمت عليه منغصات الحياة وسمى هذا العام عام الحزن ..

في هذا الجو القاتم الملىء بالهموم والحواجز والسدود والذي تنكب فيه القوم للاسلام وظلوا قلوبا قاسية وأفئدة رانت عليها غشاوة الباطل ، في هذه الفترة التي ضاقت فيها أرض مكة رحبت السماء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاءت حكمة القادر العظيم أن تخفف عن النبي أعباءه وآلامه برحلة تكريم وتشريف ، قال تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الاسراء/١ .

وفي هذه الرحلة المباركة وبصحبة جبريل الأمين تم انتقاله صلى الله عليه وسلم بجسده وروحه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ولا خلاف في ذلك فالله القوي القادر أسند عناصر هذه الرحلة إلى ذاته المقدسة وهو وحده الخالق لنواميس الحياة لا يعجزه شيء ، ثم أعقب رحلته الأرضية « الاسراء » ارتفاعه بجسده وروحه الملأ الأعلى طباق السموات ، ثم إلى سدرة المنتهى

وقد توقف جبريل عند مقامه واعتلى رسول الله محمد حتى وصل إلى مستوى تنقطع عنه علوم الخلائق ، وزج به في الأنوار القدسية قال تعالى : **(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)** النجم/٨ ـ ١٨ .

لقد كان هذا التشريف الالهي للحبيب محمد إعدادا له ليحمل لواء أشرف رسالة ، وأسمى مكانة ، فقد التقى في المسجد الأقصى بالأنبياء جميعا وصدقوا برسالته وآمنوا بدعوته وصلى بهم إماما ، قال البوصيري :

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

التمحيص والتصفية : وعاد رسول الله من رحلته المباركة التي رأى فيها مرائي غريبة وشاهد مشاهد عجيبة ، وما يسترعى التأمل والانتباه واستلهام العبرة مرحلة التصفية للمؤمنين وغير المؤمنين ، فأما من دخل الايمان في قلوبهم واستقرت العقيدة بين جوانحهم ، فلم يرتابوا ولم يخامر عقولهم أدنى شك في صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، وأما المنافقون ومن هم على شاكلتهم من ضعاف الايمان ، فقد انطمست بصائرهم وعميت قلوبهم ، فارتابوا وكذبوا ، بل تحدوا وعاندوا ، فاذا النبي بالدلائل المفحمة ، يصف لهم الطريق والمسجد الأقصى فاصبحوا في حيرة ودهشة وذهول ، لانهم لم يدر بخلدهم أن قدرة الله فوق إدراكهم وتصورهم ، وينكشف الأمر عن قلة مؤمنين صادقين مخلصين ، وارتداد ضعاف الايمان وسط جحافل المكذبين والجاحدين ، وهكذا محصت الرحلة القلوب ، ثم انطلقت تلك الفئة القليلة المؤمنة من اليأس إلى الرجاء ، ومن الضيق إلى السعة ومن الركود والخمول إلى الكفاح والجهاد ، وبذل الأرواح في سبيل الدعوة التي آمنوا بها حتى اشتد ساعدها ، وتألق نورها فأقامت على الأرض المجتمع الاسلامي المراد .

معالم واضحة :

الاسراء والمعراج آيتان عظيمتان من آيات الله ، ورحلة تكريم رأى فيها عجائب الكون وأسرار الوجود ، وألقى إليه زملاء الرسالة وإخوة الكفاح زمام الامامة إعلانا بأنه الرسول الصادق والنبي الخاتم .

إي والله إن القلم ليتصبب عرقا ويتعثر حياء وخجلا ، كلما حاول الدنو من عظمة صاحب الرسالة العظمى ، وفي الحقيقة لم تكن دعوة

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الاسراء والمعراج احتفاء بشخصه فحسب ، بل لتعلن مع ذلك حكمة العلي القدير كما أشار القرآن الكريم : (لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) . فلقد كان الاسراء والمعراج إذا وسيلة لغاية هي اسمى واغلى من اختراق الحجب ، ألم تر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن رقى أعلى المنازل وسما فوق كل الدرجات قد انطوى العالم بين يديه ، فرأى ماضيه وحاضره ومستقبله وأزله وأبده ، وتمثلت أمام عينيه وحدة الكون بالغة غاية كمالها وروعتها وجلالها ، وهنالك في هذا الموقف الرهيب في ذلك المستوى العلوي الذي سمع فيه صرير الأقلام في تصاريف الأقدار ، قد انحسرت كل العوالم من ملك وإنس وجان ، وثبتت قوة محمد الروحية وكسى ثياب الجلال ، فما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، وأفيض عليه من أسرار الكون ولطائف الحكم الالهية والمنح الربانية ، ودقائق العلوم اللدنية ما جعله قادرا على احتمال مهمته ناهضا بأعباء رسالته .. رسالته السامية التي لم يقم بها أحد ممن سبقوه ، حيث كان الأنبياء من قبله إنما يبعثون في قومهم خاصة ، أما صاحب الرسالة الخالدة فقد بعث إلى البشرية جمعاء .

قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** سبأ/ ٢٨ . فنبي الاسلام هو الرسول العالمي الوحيد الذي لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل نبيا قبله اضطلع بأعباء رسالة عامة إلى الخلق كافة .

تعقيب :

الحق أقول لقد ادخر محمد صلى الله عليه وسلم لتلك الرسالة العالمية والله يعلم حيث يجعل رسالته ، فقد اعده الحق اعدادا خاصا ليكون مهيأ لمهمته ، فألقى على كاهله الشريف قيادة الأمم وهداية الشعوب وتحطيم الاغلال والقيود التي كانت الانسانية بأسرها ترزح تحت أعبائها ، وتئن من آلامها ، كما كان من مهام رسالته تحرير الانسان من عبوديته لكل شيء إلا لله وحده وتحرير العقول والأفكار والقضاء على الظلم وسطوة الباطل وإزالة الفوارق وإعلان المساواة بين الناس جميعا فكلهم لآدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وجلائل الاعمال ..

بل لقد بعث رسول الله بالخير كله وبالفضائل كلها فكان حلم الانسانية الذي تطلعت إليه في القرون السابقة .. بل كان النور الذي انبثق فبدد غياهب الظلام ، ومحا ظلام العقول وأرشد الانسانية الحائرة إلى شواطىء الأمان والسلام يوم دوى بهذا النداء « الاسلام » في أجواز الفضاء فعرفت الانسانية الضالة طريقها إلى النور ..

فما أحرى المسلمين اليوم أن يعودوا إلى منهاج الله ليهتدوا الى الحق .

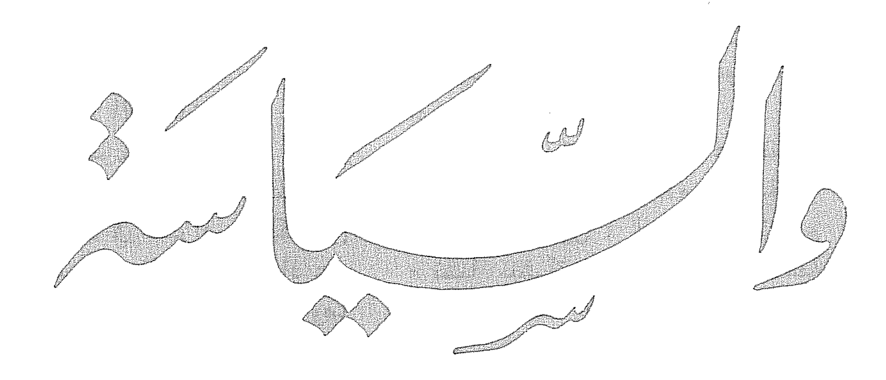


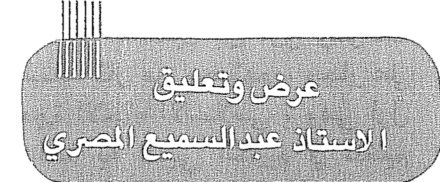
هذا كتاب من سلسلة الدراسات الاسلامية التي تصدرها دار الشعب بالقاهرة إسهاما منها في تقديم المفاهيم الاسلامية في أساليب عصرية ، يتفهمها شباب هذا الجيل الذي عميت عليه هذه المفاهيم .

ويرى الدكتور حسين فوزي النجار ان ما أورده في كتابه من آراء نوع من الاجتهاد الذي ينادي « بفتح بابه من جديد ، حتى نجلي محاسن ديننا ، دين الفطرة السوية ، الذي يتجاوب مع كل زمان ومكان ، فلا نرى فيه ما يجور على العقل أو يناقضه ، وما على الباحثين كل في ميدانه ، الا ان يربط بين الدين والحياة ، رباطا يقوم على الاقناع والعقل لا ينفصم فيه الدين عن الحياة » .

وينعى الدكتور حسين في مقدمة كتابه على الشرق الاسلامي إغراقه في أحلام الخلافة التي قضت وسعيه الى الغرب مستجديا نظمه السياسية .

« ولم يكن الخليفة أكثر من رجل حمل مسئولية المسلمين عن قبول ورضى ، ليس له من ميزة الا الطاعة له فيما





تجب عليهم طاعته فيه ، وعبر عنها ابو بكر رضى الله عنه حين تمت له البيعة بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله ورسولـه فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم » .. فالطاعة تقابلها المسئولية ، والمسئولية تحددها الشريعة بما حددته من قواعد النظام الاجتماعي ، وبما جاءت به من أوامر ونواه تحدد السلوك العام للفرد والمجتمع ، وهي مسئولية مشتركة بين الراعي والرعية ، يعبر عنها ابو بكر في خطبته بقوله : « فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

ويحاول الدكتور حسين أن يثبت في طول الكتاب وعرضه ، أن الاسلام ليس دينا ودولة كما رسخ في أذهان الناس بل « الاسلام شريعة للدنيا وللحياة ، ولم تكن الدولة أو النظام السياسي للحكم مما جاء في كتاب أو سنة » .

وهو يرى في نفس الوقت « أننا لو التمسنا فيما جاء به الاسلام ، من قواعد للسلوك والمعاملات والعلاقات

الاجتماعية لظفرنا بنظرية سياسية متكاملة يمكن ان تتطور وتنمو لتتواءم مع كل زمان ومكان ، فالاسلام دين الفطرة يتوافق مع الحياة ومشاكلها ولا يشذ عنها « وهو قد أقام وحدة دينية ، بنيت عليها وحدة اجتماعية ، على أساس من الحرية والمساواة والعدل وكرامة الانسان .

« وحين نستقرىء أسباب انهيار الدولة الاسلامية : وتخلف المسلمين اليوم لا نراه إلا في انحراف الحكم عن مبادىء الاسلام وغلبة الاستبداد على الشورى ، والأثرة على الايثار وما كان للاستبداد من عواقب وخيمة أدت الى فساد الحكم وفساد المجتمع معا وانقسام المسلمين إلى فرق وطوائف انقساما نال من وحدتهم ، وجار على شعيرة الاخاء الاسلامي ، وهي أول ما أخذ به النبي الكريم في تنظيم الجماعة الاسلامية الناشئة ، وغدت من مبادىء الاسلام الكبرى ولم يكن ذلك الا بسبب التنافس على متاع الدنيا ، وشهوة السلطان كما قلنا من قبل : « وكانت روح الاسلام الحقة – على مدى التاريخ – حين تسري في النفوس ترتفع معها أعلام الحرية الفكرية والعقلية والسياسية ، ويبقى بناء الحضارة شامخا مشدود الأركان ولو « أن المسلمين ساروا على سنة نبيهم ، وتخلقوا بأخلاق الخلفاء ، لأصبحت امبراطوريتهم أوسع رقعة ، وأبقى على الزمن من الامبراطورية الرومانية » .

إلا أن الاسلام بقي حيا في نفوس أصحابه على الرغم من انقضاء عهد الخلفاء الأول .. إذ أنه يمثل أرقى ما وصل إليه التطور الديني للبشرية ، ولم يكن بقاؤه مرتبطا بحياة دولة ، بل كان ذيوعه وانتشاره يفيء خيرا وبركة على كل من يلوذ به من الشعوب في كل عصر ، وفقا لحاجاتها الروحية ، ومداركها العقلية ، كما يقول سيد أمير علي .

ويحدثنا الدكتور حسين عن نشأة التنظيم السياسي الاسلامي في مقدمة الكتاب فيقول : إن هذا التنظيم « نشأ بنشأة الدولة الاسلامية وجاءت نشأة الدولة نتيجة حتمية لقيام هذا المجتمع الاسلامي وامتداده : متأثرة في البداية بجوهر الاسلام ، والحقيقة الكبرى التي قام عليها وهي (التوحيد) وهي التي تؤدي الى تقرير قواعد المساواة والاخاء والحرية ، فالمؤمنون جميعا سواسية أمام الله ، تجري عليهم جميعا سننه بالقسط ولافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهم مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والناس اخوان يجب أن تقوم المحبة بينهم مقام البأس بل مقام القانون ، فلا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا اكراه في شيء ، ولا إيمان إلا بعد اقتناع بالحجة والموعظة الحسنة .

وكانت فكرة الحكم الاسلامي بسيطة غاية البساطة ، استمدت بساطتها من جوهر الدين ، وقد بقي للمسلمين كتاب الله وسنة نبيه دستورا للحكم .. فلم يعترف الاسلام بوجود

طبقة من الكهنة أو بأية وساطة بين العبد والخالق ، ولا يعرف الاسلام حكم الخاصة فلا تمايز أو استعلاء فالناس سواسية كأسنان المشط .. لذلك أقام الاسلام مجتمعا حرا تحكمه عقيدة تمثل أسمى ما وصل اليه البناء الاجتماعي في الوجود الانساني ، ومن هذا المجتمع انبثقت الدولة التي اتخذت من مبادىء الاسلام هديها ونبراسها في تحديد العلاقة بين الفرد وربه ، وبين الفرد وغيره من الناس .

وكان الحكم الاسلامي كما صوره عمير بن سعد - عامل عمر على حمص - لا يزال الاسلام بخير ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، أو ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل .

ولقد بدأ الانحراف عن مبادىء الاسلام والخروج على تعاليمه ، منذ تحول الحكم من الشورى إلى الاستبداد ، ومن الديمقراطية الخالصة في عهد ابي بكر وعمر إلى الأوتوقراطية في عهد معاوية .

وكان من بعض مظاهر هذا الانحراف في العهد الأموي اقتناء الرقيق الذين جاء الاسلام ليحررهم والخصيان لحراسة الحريم (والخصى) جريمة يحرمها الاسلام الذي جاء ليرفع من كرامة الانسان .

« وقد امتد الانحراف الى كافة جوانب الحياة ، وكان الناس يتأسون بأصحاب السلطان ، حتى ادى الانحلال في الدولة الى انحلال في المجتمع وانهيار الحضارة لا سيما بعد ان أصبح النظر في الشريعة من خلال السلطة ، فكل ما يبقى على السلطة هو السائر على ألسنة الناس ، وتفسر الآيات وتختلق الأحاديث والروايات تأييدا له أو لاتجاه سياسي مخالف » .

ويربط الدكتور حسين بين الماضي في عهد الأمويين والعباسيين وما بعدهما ، وما عليه المسلمون اليوم ، فيقول : « فاذا أردنا أن نفسر نكسة المسلمين في حاضرهم فان علينا أن نعود إلى الوراء لنرى الظلام الذي خيم على عالم الاسلام بسبب فساد الدولة وتحيفها ، وتبذل حكامها ، وغلبة السلطان وشهوة الحكم ، ونزعة الاستبداد .

وفي الفصل الأول من الكتاب « الدين والدولة » يحدثنا المؤلف عن نشأة الفكر السياسي الذي لا يكون إلا حيث تكون الدولة ، وحيث يقوم المجتمع الدولي ، فيقول : « السياسة الاسلامية تقوم في الأصل على المبادىء الخلقية والأسس الاجتماعية التي جاء بها الاسلام ، والتي تتمثل في إطارها العام قواعد الدين الحنيف او تستهدي في سلوكها مبادىء الاسلام ، إن لم تستهد فضائله المقررة من الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، مما ندعوه في عالمنا الحديث بالديمقراطية او الاشتراكية ، وبما جمع الاسلام في شريعته السمحة الغراء من مبادىء الديمقراطية والاشتراكية معا أو الشورى والعدالة والتكافل

الاجتماعي كما نحب ان نسميها ، فحين انحرفت الحكومة في الدولة الاسلامية عن الأخذ بمبدأ الشورى وجنحت إلى الاستبداد والحكم المطلق لم تستطع أن تتنكر لمبادىء الاسلام بل كان التستر وراء الدين معوانا لها في أحيان كثيرة على الاستبداد والحكم المطلق ، حيث التبست الخلافة الاسلامية بما يشبه الحق المقدس للملوك ولم تعد البيعة إلا بعض مراسم تولية الخليفة بعد أن كانت هي الانتخاب بمعناه الحديث او صورة من صور الانتخاب ..

ونشأت السياسة الاسلامية بنشأة الدولة الاسلامية ونمت بنموها من رعاية شئون تلك الجماعة الاسلامية الصغيرة التي اعتنقت الاسلام في مكة إلى قيام ما يشبه دولة المدينة حتى قيام الدولة التي وسعت شبه الجزيرة العربية ، وامتدت إلى اطراف اخرى تكونت منها إمبراطورية الاسلام .. ولقد رأى المسلمون في فضائل الشريعة ما يغنيهم عن النظر في علوم السياسة – حينئذ – لأنهم أشربوا من الشريعة فكرة الحرية والاخاء والمساواة .. فالناس سوا سية كأسنان المشط ، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وقد تركهم النبي بعد أن طبع قلوبهم وعقولهم بطابع الاسلام ، فكانت لهم نظريتهم السياسية القائمة على عناصر المساواة والاخاء الاسلامي ، والمسؤولية والواجب ، والتي انشأت مجتمعا لا تفاضل فيه إلا في العلم والعمل الصالح .

وإذا كان الاخاء الاسلامي يمثل الجانب النظري فيما يمكن أن نعده أساسا لنظرية سياسية في الاسلام ، فان المساواة تمثل الجانب العملي .. ومسئولية الانسان في الاسلام هي مسئولية أمام الله مباشرة ، وتمتد الى الظاهر من قول وفعل وإلى ما تخفي الصدور من النوايا ومنها يبرز الواجب كمبدأ أساسي في النظام الاسلامي .

والواجب هو الاساس القويم للديمقراطية في النظرية السياسية الحديثة ، وهو ما يوجب تحقيق تكافؤ الالتزامات في المجتمع .. واقرب مثل على هذا التكافؤ في الالتزام قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وفي الفصل التالي « جوهر السياسة في الاسلام » يؤكد المؤلف هذه المعاني وينتهي الى قوله : « إن المذهب الذي ينشده الفكر السياسي في الشريعة الاسلامية يكتمل في واقعها المثالي ولأنه واقع ملتزم ومكتمل كان التطابق بين النظرية والمذهب كلا لا ينفصل وكانت الشريعة هي التي تقيم المذهب السياسي للدولة وكانت النظرية السياسية للدولة الاسلامية هي التفسير الموضوعي للعلاقات المتجانسة التي تحكمها الشريعة .

وهذا الواقع المثالي للسياسة الاسلامية يستهدف وحدة الوجود منذ الأزل ووحدة البشرية المتمثلة في قوله

تعالى : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣ ، وقوله جل شأنه : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**) الحجرات / ١٣ .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تقيم أول مجتمع مثالي على هذه الأرض يوم قامت الدولة في المدينة ثم في جزيرة العرب على أساس من قول الله تعالى : (**وشاورهم في الأمر**) آل عمران / ١٥٩ . وقوله : (**وأمرهم شورى بينهم**) الشورى / ٣٨ ، وهو ما يترجم في النظرية الحديثة بكلمة « **الأمة مصدر السلطات** » .

والاسلام يتنزه عن دعوى القومية لأنه للناس كافة .. يقول تعالى : (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) الأنبياء / ١٠٧ (**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**) الفرقان / ١ . (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) سبأ / ٢٨ .

فمحمد صلى الله عليه وسلم بعث ليوحد البشرية جمعاء .

ولقد تضمنت شريعة الاسلام من المبادىء والتعاليم ما يكون جوهر الحكم ، وكان لهذا قمينا بأن يتطور مع الزمان والمكان إلى ما تنشده روح الاسلام من تحقيق الخير العام ، وإقامة حضارة إنسانية تمتد وتتسع إلى المدى الذي تؤكده العقيدة الاسلامية لذيوعها وانتشارها كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان ، ليس فيه ما يعوق حرية العقل عن التفكير ، او يقف دون حرية النظر والحكم أو يحول بين الأرادة الانسانية وبين التعبير الحر ولكنه جعل لكل هذا اساسا من التزاوج بين العقل والروح ، وبين العلم والدين ، وجعل من هذا التزاوج اساسا للخير العام ولسعادة العالم » .

وفي فصل من التشريع والقضاء يحدثنا الدكتور حسين عن مبدأ الفصل بين السلطات الذي ظهر في المجتمع الاسلامي ومدى تسامي القضاة .

وما وضعه فقهاء المسلمين من قواعد الاجتهاد واستنباط الأحكام وما كان للقضاء من قدسية وتقدير ، حتى ليمثل في ساحته الخلفاء الى جوار الدهماء وما كان الخلفاء الأوائل ينتحلون لأنفسهم سلطة العفو عن المجرمين الذين يدينهم القضاء .

كما أفرد الدكتور حسين فصلا عن الحرب والعلاقات الدولية في الاسلام ، ومدى تقديس العهود والمواثيق في الاسلام ، وبرهن أن الاسلام دين السلام وانه ما شرع القتال في الاسلام إلا دفاعا عن حرية العقيدة قال تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) البقرة / ١٩٠ .

لكن الكتاب به بعض الهنات نود أن نضعها أمام المؤلف لعله يتداركها في

طبعاته التالية .
وأول هذه الأخطاء أدب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نرى المؤلف قد استباح لنفسه الحديث بضمير جماعة المتكلمين ، نجده يذكر النبي باسمه مجردا من صفات التكريم ، ومن واجب الصلاة عليه ، فتراه على سبيل المثال يقول : « ولا نعتقد أن محمدا جاء ليقيم ملكا ، وينشىء دولة ، فما كان إلا نبيا ورسولا الى الناس » ص ٦٤ .
والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي » رواه الترمذي وبينما المؤلف يتحدث عن نشأة الدولة الاسلامية (ص ٦٢) نراه في صفحة ٦٤ ينكر أن الاسلام جاء ليقيم دولة وليكون للناس عقيدة وشريعة .
ثم يمضي في هذا التخبط حتى ليقول (ص ٦٥) :
« فمحمد صاحب الرسالة غير محمد امام الجماعة وقائدها وزعيمها . فهو في الأولى صاحب دعوة إلى الناس كافة لا يشترط لقيامها أن تقوم في حمى الدولة ، ولا يشترط لأصحابها ان يدينوا بالولاء لحكومة واحدة ، وان كانوا يدينون بأخوة الاسلام والولاء للعقيدة وهو في الثانية مسئول عن جماعة عليه أن يسوسها الى الخير من أمورها ، وإلى ما يكفل لها الأمن والحرية ، فان حملت الدعوة المسلمين على اقامة دولة ، فلأنها قامت في مجتمع لا تحكمه دولة على غير ما كان قيام الدعوة المسيحية ، ولأن الجماعة الاسلامية منذ تكونت كانت في حاجة الى من يدير أمورها ولا يعني هذا اقتران الدين بالدولة ، أو أن الاسلام دين ودولة ، فليس في الشريعة الاسلامية ما يؤيد اقتران الدين بالدولة ، ولم تعرض الشريعة لنظام الحكم ونوعه ، وإن عرضت للحدود والمعاملات بله المبادىء الأخلاقية التي تربط الجماعة الانسانية الى بعضها لتغدو نبراسا للحكم وهديا للحاكم ، فالاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة بالمفهوم الطبيعي للدولة وإن كانت ادارة شئون الدنيا والحياة مرقاة لقيام الدولة » .
وإذا لم يكن تنظيم المجتمع وضبط العلاقات بين أفراده ، وحدود القصاص ، وسياسة الحرب والسلم ، والمعاهدات وغير ذلك مما حفل به القرآن الكريم والسنة النبوية .. هي أسس الدولة فماذا تكون الدولة إذن !؟
إن المؤلف نفسه ليعترف بذلك ويقرره في الصفحة التالية (٦٧) فيقول :
« ويضع محمد مبادىء للحكم والسياسة ولكنه لا يضع نظاما للحكم ولا يتخذ في السياسة قاعدة أو اسلوبا الا ما يتفق مع مبادىء الأخلاق وهدى الرسالة وخير المسلمين والجماعة الانسانية » .
بل إنه ليستشهد بطائفة من المستشرقين فيذكر قول نللينو : « لقد أسس محمد في وقت واحد دنيا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته » .
ويقول دكتور شاخت : » إن الاسلام يعني أكثر من دين ، إنه يمثل نظريات

قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول أرنولد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا للدين ورئيسا للدولة » وغير هؤلاء كثير ممن ذكر ..

ثم يمضي في هذه البلبلة لينتهي إلى القول بأن الاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة !؟ وإني لأتساءل : ما هي الدولة إن لم تكن هي هذا « الدين الذي ينتظم الوجود الأنساني كله ويضع الأسس الأخلاقية والاجتماعية لأرقى حضارة في الوجود ، حضارة تتسق فيها الروح والمادة وتتوازن فيها النزعات الفردية والجماعية وتحقق للانسان متعة الحياة ونعيم الآخرة ويقوم عليه مجتمع كامل يستهدي قانونه من شريعته ، ويسوس دنياه على قواعد دينه » ..!؟ كما يقول المؤلف .

وقد ظل المؤلف يلح على هذه الفكرة .. فكرة أن الاسلام دين ودنيا ، وليس دينا ودولة ، ويناقض نفسه كلما أراد أن يسوق دليلا ليبرهن به على فكرته ، مما يجعلنا نجزم بأن الفكرة لم تكن قد نضجت في ذهنه ، أو أنه متردد في الايمان بها حتى انه لينادي بها ثم يقدم البراهين التي توهنها ولا تؤيدها .. كما جاء في ص ١٣١ « كان أكبر همه ـ الرسول عليه السلام ـ ان يصل بيثرب موطنه الجديد إلى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل في سائر أنحاء الحجاز » .

ومما يؤخذ على الكتاب أيضا التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي ـ كما ذكرنا ـ المؤلف نفسه في شك من صحته .

وكذلك ، ذلك الحشد من القصص الذي يسوقه لضرب المثل على أجهزة الحكومة الإسلامية في أبواب نظام الحكم والولاية والولاة والوزارة والوزراء مما لا يضيف كثيرا الى موضوع الكتاب .

لكن الكتاب ـ بخلاف ذلك ـ قد ضم ومضات ناصعة وصفحات بيضاء يعرضها المؤلف للذكرى وللاقتداء مثل قوله : « ومن اليسير أن ينشد الحاكم ما كان ينشده صلاح الدين منذ ثمانية قرون من تحقيق الوحدة العربية لمواجهة الغزو الصهيوني ، ولكن عليه ان يكون على ما كان عليه صلاح الدين لا من حيث رجاحة العقل وبعد النظر فحسب ولكن من حيث تمثله لروح الاسلام وسمو تعاليمه ، فما كان صلاح الدين كما يشهد له مؤرخوه من الفرنجة قبل العرب إلا مثالا عاليا للخلق الاسلامي ، مروءة ونجدة ووفاء وحلما وتواضعا وطهارة وصلاحا وتقوى » .

وما أرانا اليوم إلا أشد حاجة من أي يوم مضى إلى النظر في تاريخنا وفي روح ديننا القويم ، وتعاليمه العظيمة ، حتى نستهدي طريقنا الى الحضارة الجديدة التي نتلمسها في نور الاسلام ، كما استهداها آباؤنا في صدر الاسلام ، فأهدوا للعالم خير حضارة وزودوه بأكرم قدوة يوم أقاموا دولتهم على العدل والاخاء والمساواة والايثار والتسامح والمودة .



للاستاذ : حسين الطوخي

○ فرغ الشيخ من أداء صلاة العشاء ، ثم عاد الى جلسته الأولى ، وأسند ظهره الى جدار الغرفة ، وأخذ يتمتم بأدعيته مثلما يتمتم بعد كل صلاة ، وكـــانت الغرفة قد اظلمت تماما الا من بصيص ضئيل يتسلل من خصاص النافذة التي تطل على السوق الكبيرة في مدينة الكوفة ..

ولم يحس الشيخ بدخول خادمه « مسعود » يحمل القنديل بعد أن أشعل فتيلته ، ثم يضعه داخل كوته في الركن القريب حيث يرسل مع ضوئه الاصفر الباهت ظلال الاشياء المبعثرة على الأرض هنا وهناك ، بينما ظل مسعود يجيء ويروح وراءه وهو يعيد ترتيب أثاث الغرفة ليهيئ لسيده فراش نومه بعد أن يحضر له طعام العشاء ..

ولما أن فرغ مسعود من مهمته ، وقف بين يدي الشيخ يعرض عليه ما لديه من بقية طعام يمكن أن يقدمه اليه في هذه الليلة . لكن الشيخ لم يرد على خادمه ، بل نظر في وجهه ، واخذ يحدق فيه طويلا

حتى استراب مسعود في نظرات سيده الذي لم يلبث أن قال : أحب يا مسعود أن نتناول معا - على غير المألوف - طعام العشاء فلدي حديث أحب أن أنهيه اليك ..

قال مسعود بعد أن سكــن خاطره : بأبي أنت وأمي يا سيدي ، قد فرغت منذ لحظة من عشائي وما أقدر أن أزيد شيئا ، أما ما تحب ان تقوله لي ، فكلي آذان صاغية ، وستجدني كما عهدت أطوع لك من بنانك .

عاد الشيخ الى صمته لحظة ، وأخذ يدير عينيه في أرجاء الغرفة الواسعة ، وفي النهاية أراح نظراته على وجه غلامه ثم قال : إذن تجلس قريبا مني يا مسعود حتى توفر على رفع صوتي بما لا أحب ان يسمعه غيري وغيرك ..

وجلس مسعود على الأرض بين يدي الشيخ الذي مد يده النحيلة فوضعها على كتف مسعود ثم قال :

- أحب يا مسعود أن ألقى وجه ربي يوم الحساب بكفة راجحة من صالح الأعمال تقربا الى رضائه . ولست تجهل يا بني أو يخفى عليك ما صارت اليه حالي من ذل بعد عز ، وعسر بعد يسر ، وتفرق الأهل والصحب ما بين شرق وغرب . ولقد أضحى بقاؤك معي ظلما لنفسي ولك بعد أن نفد مالي ، ولم أعد أملك ما أنفقه حتى على نفسي ، فما بالك وأنت معي وأنا مكلف بك أمام الله والناس ..

ساعتئذ ، اغرورقت عينا مسعود بدموع غزيرة أخذ يكفكفها بكفيه ثم قال في ألم : وماذا تحب يا سيدي أن أفعله ؟

قال الشيخ : لست احب أن تفعل شيئا الا أن تضرب في فجاج الأرض معتقا حرا تملك أمر نفسك وحياتك ، باحثا عن رزقك في غير صحبتي . وها هي ذي وثيقة عتقك ، قدمها غدا الى قاضي الكوفة مع شهود لك لتصير حرا منذ الغد . وهذان ديناران هما كل ما أملك بعد أن احتجزت لنفسي مثلهما ، ولا تراجعني فيما أبرمت عليه أمري ، فتلك وسيلتي الى قربي ممن يملك كل شيء .

خرج « مسعود » من دار القضاء في الكوفة يحمل بين يديه وثيقة عتقه ، وأخذ يطويها بعناية بالغة ، ثم اودعها مع حوائجه القليلة ، واتخذ طريقه الى مكان القافلة المسافرة بعد صلاة الظهر الى بغداد ..

لم يكن قد شاهد بغداد من قبل ، انما ذكرها العذب كان يسري في أوصاله كلما ذهب الى سوق الكوفة ليشتري حاجات سيده . كان يسمع الناس يتحدثون عن بغداد مثلما يتحدثون عن المدن المسحورة التي شيدت فيها قصور أحجارها من ذهب وفضة ، وقباب أبنيتها تناطح السحاب وتلتف بها الشمس في دورانها فاذا بها متوهجة أبدا يخطف بريقها القلوب والأبصار . كما كان يسمع أهل الكوفة يتحدثون عن بضاعة بغداد

وتجارتها التي تأتيها في قوافل البحر تحمل من الطيبات والخيرات ما تزخر به بلاد الشرق والغرب من الحرير والصوف والديباج ، والبسط والطنافس وألوان الاطعمة وصنوف الفاكهة والأشربة ، وكل ما ينبت في أرض الله الطيبة .

كان حديثا عجبا عن بغداد وما يظلل حياتها من أسباب النعيم وآيات الرغد والهناء ، وما يتهيأ لكل من يعيش تحت سمائها من فرص العمل والكسب والحياة الرخية ..

كانوا يتحدثون عن بر الناس بعضهم لبعض ، وكيف يعين القوي ضعيفهم والثري فقيرهم ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه في الدنيا والآخرة . لم يكن هناك ثراء مجنون ولا فقر همجي يطحن الناس بلا رحمة ، انما كان هناك عدل تقيمه الناس من أنفسهم دون أحكام من القضاة والمشرعين ، ولم يكن أحد يطمع فيما بين يدي أحد آخر ، أو انسان يقطع الطريق على انسان آخر ليسلبه لقمة عيشه أو يقصيه عن عمله ليأخذ مكانه ، انما كان هناك من يعلى صوته ويجهر به حتى يصل الى صاحبه ..

ولم تكـن في بغداد حاضرة العباسيين ازمات في السكـن والمأوى ، ولا ضائقات في الطعام ولوازم الحياة ، انما كانت هناك قواعد وأنظمة يحترمها الكبير قبل الصغير والثري قبل الفقير ، ولم تكن في بغداد أسواق سوداء لأقوات الناس ومساكنهم ، إنما كان كل شيء ميسرا للجميع بالحق ، وبما أمر به الاسلام ، خير دين أنزل للناس .

نعم .. كان عصر « المأمون » آنئذ ، عصرا ساد فيه الرخاء والعدل وحرية الانسان . كان عصرا عباسيا في أوج حضارته بعد ان فرغ جده « المنصور » من بناء بغداد عام ١٤٠ هجرية ، لتغدو في زمن الرشيد ولمن سيجيء بعده ، عروس الشرق وكعبة القصاد من أطراف الارض يبتغون التجارة والرزق والعلم والتثقيف وكـل شئون الحياة ، بعد ان جمعت فأوعت ، وشملت فسادت .

كـان عصر رخاء تنصب فيه الأموال مدرارا على بغداد ، ولم يكن البذخ والتأنق في أسباب الحياة مقصورين على الخلفاء والأمراء والخاصة ، بل كانا يتسللان الى أوساط الناس وعامتهم .

لكم كان « مسعود » يحلم في نومه ويقظته بالذهاب الى بغداد ليقضي في مغانيها أياماً قصارا يئوب بعدها الى دار سادته سعيدا بما شهد وسمع ، ثم لا يلبث أن يصحو من نومه مفزعا على مطارق الحقيقة المرة ، التي يعيش فيها مع الشيخ الفاني رب الأسرة الكبيرة ، التي كانت الى وقت قريب ، أكثر بيوتات الكوفة ثراء ونعمة وخافض عيش ..

لقد أفلس سيده وتعسرت حاله

بعد يسار عريض ورثه عن أبيه وزاد من كده حتى بات مثار تندر الناس في كل بقعة بمدينة الكوفة ، ثم نزلت الحادثات بالمحن ، وتفرق أبناء الشيخ في فجاج الارض بعد أن غرقت للشيخ قافلة له في بحر الظلمات ، ابتلعت معها أغلب ما كان يتجر فيه ، ولم يعد يملك في النهاية غير داره الكبيرة التي انزوى في غرفة منها ينفق من القليل الذي تبقى لديه ريثما يوافيه أجله المحتوم .

على أن مسعود رغم ما نزل بسيده ، لم ينس تلك السنوات الهانئة التي عاشها بين أرجاء هذه الدار العريقة منذ جلبه صبيا صغيرا من أحد النخاسين ذات يوم ، ويافعا درج مع أبناء سيده يلاعبهم ويداعبونه ، ويطعم ويرتدي مثلما يطعمون ويرتدون ، حتى تغيرت بسادته الحال ، ومال بهم الزمان ، فغدوا في عسر بعد يسر ، وألمت بهم عثرات الحياة ، والحياة من قبل ومن بعد ، تأخذ وتعطي حينا ، وتأخذ ولا تعطي حينا آخر ..

ويحدث مسعود نفسه والقافلة تغذ السير لتبلغ مشارف بغداد قبل ان تجثم الظلمة ؛ ترى ماذا يخبؤه لي القدر في هذه المدينة الكبيرة التي لا اعرف فيها أهلا أو صديقا ؟ انني لا أحسن عملا ولا حرفة غير خدمة سراة الناس وأثرياء القوم ، وأنا اليوم حر مثلهم ولا يسيغ لي أن أعود القهقري مثلما كنت ..

وهذان الديناران اللذان لا املك سواهما ، ترى هل سيدفعان عني غوائل الايام وصروف العيش في هذه المدينة التي أسموها عروس الشرق وكعبة القصاد من كل البلاد ؟

ثم لاحت للعين قباب الدور والقصور ومآذن المساجد كأنها أكف مبسوطة وأذرع ممدودة الى رب السماء والأرض داعية اليه ان يديم للاسلام عزته ، وأن يعلي في العالمين كلمته ..

ولم تلبث القافلة أن حطت بركابها ووضعت أثقالها عند أول أبواب بغداد ، فأخذ كل مسافر يجمع حوائجه ثم يأخذ سبيله الى حيث يقصد .

ولم يبق في النهاية غير مسعود الذي وقف حائرا لا يدري أين يذهب بعد أن زحفت ظلمة الليل على المدينة ، ثم مضت لحظات أضيئت بعدها مصابيح الشوارع والحوانيت وقناديل البيوت ، فانبعثت منها أنوار باهرة جعلت من ليل بغداد ما صيرها تبدو كالعروس المجلوة في ليلة الزفاف ..

اقترب مسعود من دليل القافلة يسأله عن مكان خان قريب يبيت فيه ليلته ريثما يطلع الصباح الجديد ، فابتسم الرجل في وجهه قبل ان يجيبه :

ـ اينما سرت يا فتى وجدت الخانات في كل شارع وسوق ودرب ، وأنصح لك بالنزول في خان

الزياتين الذي يديره ابن عم لي ، وسوف لا يأخذ منك « ابو جعفر » كثيرا فهو رجل طيب ويساعد الغرباء ، وأنت فيما يبدو تزور بغداد لأول مرة .

سأل ابو جعفر نزيله الجديد عن هويته وأوراقه ، ثم أثبت اسمه في دفتر بين يديه ، وذكر سنه التي تجاوزت الخمسة والعشرين عاما وأنه قدم من الكوفة سعيا الى العمل والرزق . ونقد مسعود صاحب الخان نصف دينار أجر إقامته بالخان طيلة شهر كامل ، فأرشده الرجل الى مكان مبيته ولم يلبث مسعود ان القى بجسده المنهوك على الفراش ، ثم غاب في نوم ثقيل .

غادر مسعود خان ابي جعفر في صباح اول يوم له في بغداد وفي ذهنه ان يتجول في شوارع المدينة الواسعة ، ويستجلى مغانيها ويجوس في أسواقها لعل الله يفتح له بابا للرزق يعيش من ورائه مثلما يعيش الناس ..

رأى مسعود في تجواله ، الدور العامرة والقصور الباهرة تنطق بأبلغ ما وصل اليه فن البناء الاسلامي من جمال يأخذ بالأبصار والألباب .

شاهد البساتين الخضراء اليانعة تلتف بالعمائر والأبنية لتحمي قطانها من لظى الشمس والهجير في النهار ، وتبعث مع حلول الليل وشوشة انسامها الرخية لأفنان الشجر ..

ورأى مسعود الناس في بغداد يلتقون في مودة بيضاء يسأل بعضهم عن بعض ، ويتبادلون أعذب الحديث عن أحوال التجارة وشئون الدين والدنيا ، وتتخلل الأحاديث دعوات صادقة الى رب العباد ان ييسر الارزاق ، وان يرفع عن المسلمين ما يغضبه ، وان يهدي الناس الى صراط مستقيم .

ثم قادته قدماه الى سوق كبيرة لم يعرف سبيل اولها والى اين آخرها ، ورأى نفسه شيئا ضئيلا في خضم من البشر يروحون ويغدون حاملين السلال والحقائب يبيعون ويشترون من خيرات الله الوافرة التي ازدحمت بها الحوانيت والمتاجر وارصفة الطريق . وانتصف النهار فاشتدت الحركـــة في السوق ، وتعالت اصوات المنادين والدلالين تدعو الناس الى التفرج ومشاهدة البضائع ولو أنهم لا يرغبون في الشراء ..

وأحس مسعود بالجوع ، وتلفت حواليه ، فأبصر بائعا جائلا يبيع فطائر محشوة بالزبد والزبيب ، فاشترى منه واحدة أخذ يقضمها ويجيل ناظريه فيما يجري من حوله ..

وأقبل بائع من بعيد يحمل فوق رأسه قفصا بداخله طائر ملون الريش وأخذ ينادي على طائره : من يشتري البلبل الصداح .. من يشتري سيد المــلاح ؟ البلبل الصداح .. سيد الملاح .

واقترب صاحب البلبل من

مسعود وهو يقول : خير هدية الى أطفالك وأهل بيتك يا سيدي ..

ولم يبرح البائع مكانه ، فالتفت اليه مسعود ثم قال : ليست لي حاجة اليه . اعاد البائع : اتدري انه بلبل طائر وانه جاء من الجزائر ؟ قال مسعود وهو يقضم فطيرته : لا شأن لي بالطيور يا عم .

غير ان صاحب البلبل لم ييأس فأخذ يقول : طاوعني يا سيدي انه بلبل نادر وستندم كثيرا اذا لم تحمله الى بيتك . عما قليل سيغني ويصدح وستدعو لي بالخير . انه رخيص الثمن .. ديناران فقط . قال مسعود : لا حاجة لي الى بلبلك يا عم . قال البائع : انظر الى ريشه الزاهي الجميل .. اتسمع يا سيدي صوته العذب ؟ قال مسعود بعد ان راق له حديث البائع : لا اسمع بلبلك يغني يا رجل ، ويبدو انك سمعت بكاءه وما أحسبه الا جائعا أو صاديا . قال البائع : سترى يا سيدي بعد ان تحمله الى بيتك ثم تطعمه وتسقيه بيديك .. سترى كيف يهز منقاره وذيله ثم يندفع شاديا بأعذب الألحان .. ديناران فقط ثم تملك بلبلا نادرا ، مكـــانه قصور الخلفاء والندمان والأمراء . قال مسعود ساخرا : يكفيني ان سمعت صوتك .. .. انك تبيع كلاما يا رجل اكثر مما تبيع من الطيور .. اليك عني اصلحك الله .

لكن صاحب البلبل لم ينصرف ، وأنزل قفص الطائر من فوق رأسه واختار مكانا الى جوار مسعود ثم قال : يحدثني قلبي يا سيدي ان هذا الطائر من نصيبك ، ولو سمعت نصيحتي ، ذهبت به في صبيحة الغد الى قصر « ابراهيم بن المهدي » عم امير المؤمنين « المأمون » وسيدفع لك فيه عشرة دنانير . قال مسعود : وماذا يمنعك أن تذهب به اليه فذلك اربح لك من بيعه لي . قال الرجل : لولا ان تجهزت الليلة للسفر الى البصرة ، لبقيت الليلة من اجل هذا البلبل النادر .. هات دينارين لتربح ثمانية .

مد مسعود يده الى قفص الطائر الحبيس واخذ يتأمل ريشه وهيئته ، وقد أوشك ان يصدق كلام البائع ، ثم قال في النهاية : لست املك الا ربع دينار يا عم ، اما ان تأخذه ثمنا لطائرك او تنصرف عني لشأنك .

حدق البائع في وجه مسعود وهو يتصنع الألم ويبدي المـرارة ثم قال : ليت الناس يصدق بعضهم بعضا . هات نقودك وخذ بلبلك الغريد مبارك لك فيه .

وسار مسعود يحمل طائره حتى بارح ساحة السوق ، فرأى نفسه في فضاء من الأرض ليس فيها بيت ولا قصر ولا دار . رأى حوله أرضا جرداء الا من بعض بقع خضراء واشجار سامقة عالية مبعثرة عن يمين وعن شمال ، ومن خلفها بدت لعينيه الذاهلتين مياه نهر دجلة تروح وتغدو على صفحته القوارب

والسفن والحرامات تحمل الناس والبضائع الى البصرة وغيرها من الثغور التي ينتظمها النهر الكبير .

وانتبه مسعود الى ما يحمله بين يديه لما ان تحرك الطائر في القفص وأخذ يزقزق في اعياء كأنما يطلب طعاما أو شربة ماء . ساعتئذ ادرك مسعود ما اقدم عليه من حماقة حين انفق آخر ربع دينار يملكه ، ليشتري طائرا حبيسا في قفص لن يجديه اقتناؤه شيئا ! ماذا يفعل بهذا الطائر وهو لا يملك دارا ولا مالا ؟

وقبل ان يستبد به لوم نفسه ويهيم في أفكـــاره السوداء من جديد ، فتح باب القفص فخرج منه الطائر ثم أطلق جناحيه للريح . وأخذ مسعود يتابع الطائر بنظراته الذاهلة ، فرآه قد حط فوق أعلى شجرة وأخذ ينشر جناحيه تارة ويضمهما تارة اخرى كأنما ابتهج باطلاقه من القيد والجوع والظمأ ..

وجلس مسعود فوق نتوء من الأرض يندب حظه العاثر في تلك المدينة التي لم يعرف لها اولا من آخر ، ولا يدري كيف يستقبل غده وهو خالي الوفاض ..

ثم حانت منه نظرة الى حيث حط الطائر ، فأبصره يزايل موضعه من فوق الشجرة الباسقة ويهبط الى الأرض ، ويدور حول جذع الشجرة الغليظ حتى اذا ما دار حوله دورة او دورتين ، اخذ ينبش الأرض بمنقاره الدقيق ، ثم يلف ويدور هنا وهناك ويقترب من مسعود ، ويعود ليعمل منقاره في الأرض الرخوة من حول الجذع الغليظ ..

لم يدر مسعود ماذا دفعه لأن يرقب طائره الذي أبى أن يترك تلك البقعة القاحلة ليلتقط طعامه من مكان آخر مأهول ..

وقام مسعود وبارح جلسته بعد ان ضاقت نفسه بما شهده وما جرى له في يومه الحافل ، واتجه الى حيث كان الطائر ينبش بمنقاره ، ولشد ما عجب حين ابصر أذن جرة من الفخار دفنت في باطن الأرض ولم يبد منها سوى تلك الاذن ..

كـــان الوقت قد جاوز صلاة العصر وبدأ قرص الأرجوان رحلته الدائبة نحو الغروب ، وثمة سحب دكناء تروح وتغدو في صفحة السماء . وتلفت مسعود حواليه فرأى ذلك الفضاء الواسع لا يحتوي انسانا غيره في هذه الساعة . جلس الى جذع الشجرة الغليظ ، واخذ يحفر بيديه حول الأذن الظاهرة من الجرة حتى ظهر عنقها الكبير . التهب حماسه في الحفر من حولها وتبخرت من ذهنه مشقات ذلك اليوم ، وأخذت دقات قلبه تتزايد مع حركـــات يديه النشطتين حتى خلصت الجرة ، فاستوى واقفا ثم جذبها بكلتا يديه من حفرتها الرطبة وأسندها الى جذع الشجرة ريثما يسكن جأشه وتنتظم دقات قلبه المضطرب .

وحين اذن لصلاة المغرب ، كان

مسعود يجوس خلال الشوارع المزدحمة حاملا جرته الثقيلة فوق كتفه ويسأل كل من يقابله : اين سوق الزياتين .. اين خان ابي جعفر ..

واغلق مسعود باب حجرته ، وقضى اغلب ليلته يحصي الدنانير الذهبية التي امتلأت بها الجرة ، ولم يدر في النهاية إن كان قد عد عشرة آلاف قطعة او عشرين الفا من الدنانير ..

وفي الصباح ، اخذ عشرة دنانير ، ثم أعاد غطاء الجرة كما كان ، واودعها مخبأة ضمن حاجياته القليلة ، ومضى الى خارج الخان بعد ان ابلغ صاحبه انه سيرحل الليلة الى الكوفة ويعود منها في مساء الغد .

وصل مسعود الى الكـــوفة ، وذهب من فوره الى دار سيده الشيخ ، فوجده على حاله التي تركــه عليها منذ رحيله يشكــو الوحدة والسقام ، ويغيب في ذكريات ايامه اليانعة التي ذهبت ولن تعود ..

وقضى مسعود ليلته في دار سيده ، وحين طلع الصباح ، امضى وسيده ساعة وبعض ساعة ، ثم خرجا معا الى مكان القافلة المسافرة الى بغداد .

وبدأت القافلة سيرها الحثيث وقد تميزت فيها راحلتان فارهتان استوى الشيخ الطيب فوق احداهما ، والى جواره مسعود يمتطي الأخرى والحديث الضاحك يتداول بينهما حتى لاحت مشارف بغداد من بعيد .

ومضت ايام استقبلت بعدها سوق الزياتين في بغداد ، شيخا وقور الهيئة يشحذ همة عماله ليفرغوا من وضع البضائع فوق الأرفف الكثيرة وفي واجهة المتجر الكبير ، فلم يبق على حلول شهر رمضان الا يوم وليلة .

❊ ❊ ❊

ابتسم « المأمون » بعد ان استمع الى مسعود وهو يقص عليه حكايته مع الطير الحبيس الذي رد الجميل .. جميل اطلاقه من حبسه ، ثم بدا له أن يسأله :

ـ ولكن خبرني .. لماذا يطلقون عليك هنا في بغداد « صديق الطيور » وذاع بذلك خبرك حتى بلغني ؟

اجاب مسعود وهو لم يزل بين يدي الخليفة :

ـ اعز الله امير المؤمنين وعطر بالرخاء ايامه الزاهرة . قد عاهدت الله منذ ظفرت بحريتي الا افعل شرا وأن يوفقني لأفعل خيرا ، ثم عثرت بالجرة المباركـة ، فعاهدته مرة اخرى الا ارى طيرا حبيسا الا أطلقته ولو كلفني شراؤه أضعاف ثمنه ، فليس هناك من شئ أثمن لدى المخلوق من حريته ، ولست انفق يا امير المؤمنين في سبيل ذلك ، الا مما يسره لي صاحب الجود والعطاء ، وواهب الرزق لمــن يشاء .



دعوات هدامة فاحذروها

- وردتنا من الأخ الأستاذ (محمد السيد علي بلاسي) المعيد بجامعة الأزهر الشريف . كلية اللغة العربية مقالة تحت عنوان (دعوات هدامة الماسونية . الرووتاري) كما وردتنا من الأخ الأستاذ (أحمد عبد المقصود عميلة) جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون بطنطا مقالة ثانية تحت عنوان (أضواء كاشفة) تدور حول نفس الموضوع .

أشار الأخوان الكريمان في مقالتيهما بألم شديد لانتشار الجمعيات والأندية التي تقوم الماسونية العالمية بتأسيسها في العالمين العربي والاسلامي تحت ستار مبادىء الانسانية والأخوة العالمية ومن هذه الأندية الماسونية (أندية الروتاري ، أندية اللونيز ، أندية الاكستشانج ، أندية الكيواني) وأوضحا الغرض الأساسي من تأسيس هذه الأندية وهو هدم أركان الاسلام وافساد عقيدة الشباب المسلم عن طريق بث روح الالحاد والاباحية الجنسية بين الشعوب وطالبا بالحذر الشديد من هذه الأندية الهدامة والتصدي لها لحماية تراثنا وعقيدتنا وشبابنا » .

نشكر الأخوين الكريمين لاهتمامهما المخلص في فضح وتعرية هذه الأندية على حقيقتها ونعتذر لهما عن نشر المقالتين بشكل كامل لضيق المجال .

المثالية الانسانية في حديث شريف

تحت عنوان (دعائم المثالية الانسانية في حديث شريف) بعث الينا الأخ (عبد الغني ناجي) - مصر . مقالا طيبا نقتطف منه :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها . أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا) فالنظرة الفاحصة في هذا الحديث توضح لنا أن الرسول الكريم تناول المسلم بالاصلاح والتهذيب من الداخل والخارج وبدأ أولا بالداخل لأهميته فقال (أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية) فمن هذا المنطلق المشع « الاخلاص » تتفجر ينابيع الخير وجميع المعاني النبيلة التي تنتظم حياة الفرد والمجتمع ثم جاءت بعدها التنبيهات تثري باصلاح الخارج بعد أن تجلى اصلاح الداخل بالاخلاص .. والمسلم الذي يتخرج من هذه المدرسة النبوية يحمل

أرقى مؤهلات المثالية في الوجود وأن شخصا يجمع هذه الخصال التى أرشد اليها الحديث الشريف الهادف لهو المثالي دون منازع .

نعتذر للأخ الكريم عن نشر المقال بشكل كامل لضيق المجال .

دعاة الحق وأدعياء التدين

الأخ الطالب ثنين محمد . اتركان ـ أغادير ـ المغرب ، أرسل الينا بمقال عنوانه (دعاة الحق وأدعياء التدين) نقتطف منه :

طغت المادة على الروح في هذا العصر الذي يتعامل فيه الناس بها ويعبدونها ونسوا الجانب الروحي وتفشت الرذائل في المجتمع الاسلامي وكثر أدعياء التدين وقل دعاة الحق ، والاسلام دعوة قبل كل شيء وهذه الدعوة لم تحدث عبثا دون أن يكون هناك داع دعا اليها وتحمل من أجلها وبذل في سبيلها وهكذا كان محمد الداعية الأول في الاسلام كما كان الأنبياء والمرسلون قبلة الدعاة الأول والدعاة المسلمون في تاريخ دعوة الاسلام كانوا هداة يحملون في صدورهم نورا وعقيدة وايمانا يعرضون عقيدة الاسلام بكل بساطة ووضوح لا تعقيد فيها فحققوا ما كانوا يهدفون وظل الأمر كذلك حتى شهد الاسلام ألوانا من الانحلال والترف وكان لا بد أن يقابل هذا الاتجاه اتجاه الى الزهد والتقشف وحمل لواء هذا الزهد جماعة من المسلمين كانوا النواة الأولى للتصوف وبعد الفتوحات الاسلامية دخل الاسلام عناصر كثيرة لم يكن اسلام بعضها خالصا لوجه الله فوجدوا التصوف ضالتهم المنشودة لنشر سمومهم .. والتصوف في حد ذاته كتربية للنفس والضمير لا نكران عليه ولا خلاف فيه وأما الذي ينكره الاسلام دون هوادة هو التصوف الدخيل الذي يحاول عزل الاسلام عن الحياة ويدعو للرهبانية .. واليوم أصبح للتصوف زعامات لا يهمها سوى جمع الأتباع من السذج والبسطاء تنشر بينهم البدع والخرافات ويزعمون أنهم دعاة الى الله ... وما أحوجنا في هذا العصر الى دعاة هداة يهدوننا الى سواء السبيل وينقذون السذج من بحر الخرافات التي طغت على الاسلام فأصبح معظم شبابنا لا يميز بين البدع وبين تعاليم دينه .

المولد النبوي الشريف

الأخ أحمد حسانين جريفل ، بعث الينا بقصيدة تحت عنوان (المولد النبوي الشريف) نقتطف منها :

رسـول الله جئت بخير هدى	وبالنور المبين وبالضياء
وبالقرآن دستورا قويما	وبالأحكام جئت وبالشفاء
ويوم ولدت يا خير البرايا	جثا كسرى على الأرض الخلاء
ولولا مولد الهادي محمد	لظل الشرك يسرى كالبلاء



نقد وتعليق

الأخ السيد حامد الماحي ـ السودان ـ تعليم الخرطوم .

بعث الينا بكلمة شكر ونقد لمقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب المنشور في العدد ١٩٥ ربيع الأول ١٤٠١هـ تحت عنوان (التقليد والمقلدون) .

يثني الأخ حامد على كاتب المقال بتقسيمه هذا البحث الطويل الى فقرات ثم يعلق الأستاذ الماحي على المقال فيقول :

« يعز علينا أن يذهب هذا المجهود الجبار لأستاذنا الجليل هدرا وكنا نأمل أن يركز أستاذنا العلامة في هذا البحث القيم ويراجع ما سجله في تؤدة ومهل فيسقط المكرر ويحذف اللغو قبل أن يقذف بهذا الخلط للطباعة فيهدر كذلك مجهود العاملين ويشغل هذه المساحات الهائلة وهو يبدي ويعيد من غير جدوى ومثال ذلك : ما ورد في الفقرة الرابعة هو نفس ما ورد من ألفاظ ومعاني في الفقرة الثالثة عشرة .

ردود سريعة

الأخ الدجاني مصطفى من فاس ـ المغرب :

أرسل رسالة تنم عن الألم العميق من جراء نشر المجلة في عددها ١٩١ مقالا أو تحقيقا حول كتاب (الشيخان) وجاء العرض بقلم الأستاذ (حمدي متولي مصطفى) ويتساءل لماذا تنشر المجلة عرضا لكتاب (طه حسين) المعروف بمواقفه من الاسلام وننسى كتابا اسلاميين أمثال (هيكل والعقاد والمودودي والبنا وسيد قطب) .

نشكر الأخ على رسالته ونفيده علما بأننا مستعدون لنشر كافة التحقيقات التي تردنا ولا ننسى أحدا من الكتاب الاسلاميين .

○ الأخ موهوب محمد بن رحال ـ الدار البيضاء ـ المغرب

يطلب منا تأمين عمل له في المجلة ..

نعتذر ياأخ موهوب عن طلبك لأن هذا لا يدخل في دائرة اختصاصنا .

○ **الأخ الجزائري محمد علي الجزائري يرجو اعادة صفحة مواعيد اوقات الصلوات ،**
سنعمل على تحقيق ذلك في المستقبل ان شاء الله .

○ **الأخ شحاته حامد احمد علي . كلية الزراعة جامعة القاهرة**

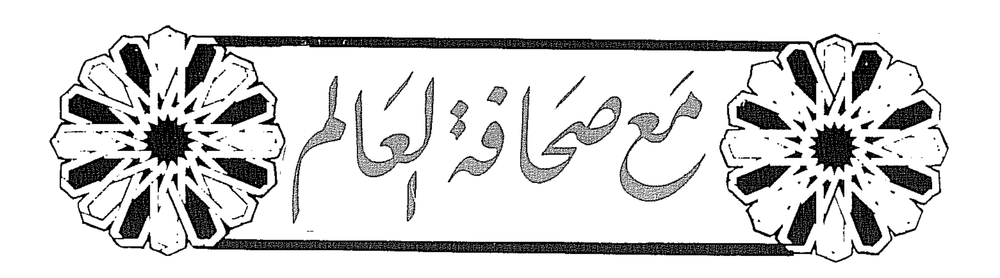
وصلتنا يأخ حامد مقالتك الكريمة التي عنوانها (لغة القبر) وسنعمل بأذن الله على نشرها في الأعداد المقبلة .

○ **الاخ عمران البشلانة مصر** بعث الينا بشكره على ما نشرناه في المجلة تحت عنوان (الاسلام وتحديد النسل) للاستاذ ابراهيم النعمة ويقول اذا كنتم تريدون ان تروا ما حل بالبلدان التي تروج لهذه الفكرة المسمومة فشاهدوا التدهور المستمر في احوالها الاقتصادية .
تحياتنا يا اخ عمران ونسأل الله تعالى الهداية لجميع المسلمين حتى لا ينزلقوا وراء هذه الدعايات المسمومة .

○ **الاخ عبد الرحمن عزيز رئيس مجلة معارف ابن تيمية في سابيوال باكستان** بعث الينا بشكره لادارة التحرير ويعلمنا بانه قام بترجمة بعض المقالات القيمة المنشورة في المجلة الى اللغة الاوردية .
- شكرا للاخ عبد الرحمن على جهوده لخدمة الاسلام والمسلمين .

○ **الاخ السيد حامد الموحي وقيع الله السودان تعليم الخرطوم** اشار الى خطأ ورد في العدد ١٩٥ صفحة ١٤٤ حيث وردت فيها الآية ١١٥ من سورة البقرة (فأينما تكونوا فثم وجه الله) والصواب كما ورد في كتاب الله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) .
شكرا يا اخ حامد على ملاحظتك ونحن حريصون على تلافي الأخطاء ولكن لا يسلم العمل من وقوع بعض الأخطاء المطبعية والخارجة عن إرادتنا ، مما نأسف له .

○ **الاخ الطيب عمر سليمان السودان يسأل :**
لماذا أوقفتم باب (هذا من الحديث) وباب (ليس من الحديث) ويأمل باعادة هذا الباب .
- يا اخ عمر كافة الاحاديث التي ترد في المجلة يشار الى درجتها والمكتبات مليئة بكتب الحديث التي يمكنك الرجوع اليها لمعرفة درجة الحديث هل هو صحيح او حسن او ضعيف .



لماذا هم تائهون ؟
عنوان مقالة افتتاحية نشرتها مجلة التضامن الاسلامي في عددها الصادر في صفر ١٤٠١ هـ قالت فيها :

كلمة نشرتها مجلة المختار في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٨٠ عنوانها (نحن تائهون في الكون) وكاتبها ممثل امريكي شهير يدعى (وودي الن) جديرة بالتأمل .. اذ هي شهادة من الذين اتعبهم الجري وراء حضارة العصر والهتهم الفتنة بالشهوات عن حقيقة انفسهم فلما

احسوا بظلام قلوبهم وانطفاء جذوة ارواحهم ورأوا قبض الريح في ايديهم اخذوا يجأرون بالشكوى من الحيرة والقلق الذي يقصف بهم ويأسون على ايامهم الضائعة سدى وخوفهم من المستقبل وجهلهم بالمصير يقول الكاتب في كلمته « اكثر من اي وقت مضى يقف الانسان اليوم امام مفترق طريقين يؤدي الاول الى القنوط وانعدام الامل ويقضي الثاني الى الابادة الشاملة » .

ويبلغ به اليأس مداه فيقول « اني لا اتكلم كمن فقد احساسه بجدوى الحياة ولكن كمن اقتنع تماما بانعدام اي معنى للوجود » .

ويشير الى خيبة الامل في العلم المادي الذي ظن المفتونون انه يغني عن الدين ويحل مشكلات الحياة فيقول في حيرة : « اين العلم منا حين نتأمل في الغاز الابدية ؟ أيعقل ان يرى الانسان روحه تحت المجهر ؟ وكيف نشأ الكون ؟ وما المقصود بقولنا ان الانسان فان ! »

اليست هذه شهادة من اهل الحضارة المادية بعجزها عن اشباع الروح وبث الطمأنينة في القلوب ؟ فليسمع المفتونون بحضارة الغرب شهادة هذا الشاهد الذي فقد الاحساس بقيمة الحياة ولم يعد يرى للوجود الانساني معنى !!

ويمضي المثل الامريكي في صراحته ويعلن عجز الدين المسيحي عن تقديم الاجابة عن هذه الاسئلة ... بل ويتمنى ان لو كان له عقيدة دينية بسيطة لا تعقيد فيها ولا

غموض فيقول :

« مما يؤسف له ان الدين هو الآخر خذل بعض الناس في مجتمعنا

وكثيرا ما افكر في سعادة الانسان البدائي لانه امن بوجود خالق قادر محب لخلقه ويعني بكل شيء »

يا سبحان الله .. هذا هو الحق نطق به هذا الشاهد عن حضارة العصر ! التي يبشر بها المفتونون التائهون المهزومون امام « التكنولوجيا » وقدراتها العجيبة ..

يقول « وودين إلن » ان ما فعله اولئك الذين فقدوا الايمان بوجود اله خالق هو انهم جعلوا من التكنولوجيا الها ولكن هل لدى التكنولوجيا جواب شاف ؟؟؟

ومن الواضح ان الرجل يبحث عن طمأنينة الروح .. وصفاء النفس بل ويبحث عن حقيقة الانسان التي ضاعت امام الخوف من تحديات العصر ومشكلاته !

ولكن مجتمع الحضارة الغربية له شأن آخر يحدثنا عن ذلك الممثل اذ يقول : وبدلا من ان نواجه التحديات ترانا نتلهى عنها بالجنس والمخدرات .. ونحن نعيش اليوم في مجتمع اكثر اباحية مما ينبغي وليس لنا محور روحي بل نحن تائهون وحدنا في خضم الكون ! فيما ينزل بعضنا ببعض الوان العنف الوحشي والقسوة بسبب يأسنا وألمنا !

تلك شهادة لها مغزاها .. اذ لا بد ان يعرف هؤلاء لماذا هم تائهون ؟!

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية في عددها الثامن كلمة بعنوان :

التجربة الأخيرة

قالت فيها :

●● جرب المسلمون مع مطالع القرن الرابع عشر الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي ، والتجأوا إلى الاشتراكية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ للفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات ، وعمد بعضهم إلى تبني الأنظمة الديكتاتورية ، سواء منها ذات الطابع العسكري والبوليسي أم ذات النزعة العنصرية والقومية الضيقة ، فلم يزدهم ذلك إلا تخلفا واندحارا وامعانا في التخبط والفوضى والتيه . وقامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى ، شرقية وغربية ، مدنية وعسكرية ، متطرفة ومعتدلة ، يسارية ويمينية . فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ، ولم يزدادوا إلا انحرافا وزيغا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد . ومضى القرن الرابع عشر بكل الانتكاسات والهزائم

والتجارب الدامية والفاشلة التي عرف بها . فمن الانقلابات إلى الثورات ، إلى الاضطرابات ، إلى الديكتاتوريات المتعددة الأشكال والأنماط ، ومن القهر إلى الارهاب ، إلى القمع ، إلى امتهان الكرامات وإذلال العباد وإفقار البلاد وتمزيق الصف ، ومن العمالة والخيانة والتواطؤ مع العدو ، إلى التآمر ضد الأمة باسم الثورة والتقدمية ، وإلى التطاول على عقيدة الشعوب المسلمة بدعوى تحريرها وتحديثها وعصرنتها ، وإلى النيل من القيم والمقومات والمقدسات ، ومن تشويه التاريخ وتزييف حقائقه . الى تضليل الأفكار وتخدير العقول تارة بدعوى العلم والعلمانية ، وتارة أخرى باسم التنوير والمدنية ، وفي غالب الأحيان بالضغط والاكراه والتهديد والأساليب الوحشية في التبليغ والدعاية والاعلام والتعليم والتلقين دون مراعاة لحقوق الانسان في التلقي والتعلم والأخذ والاقتباس والحرص على ذاتيته وقيمته الآدمية . وكان من نتائج هذه الغارة على الانسان المسلم على مدى قرن كامل أن تفشت في البلاد العربية أنماط من السلوك الذي يستمرىء الذل الفكري ويستسيغ المسكنة وانحطاط الشأن ويرضي بالخنوع ووضاعة المكانة ، اللهم إلا ما كان من نماذج أبت على الذوبان وانفلتت من الاحتواء والاستيلاء والاجهاض . ورضيت أن تكون حرة وسط غابة كثيفة يفترس فيها وحوش الأنس ذوي الارادات الضعيفة والاستعداد للسقوط في حمأة الضياع الحضاري والارتباط بالقوى الشرسة المتآمرة ضد أصحاب الفكر النير وعزة النفس وقوة الارادة وصلاحية الاختيار . وانتشرت في البلاد العربية والاسلامية أنظمة الجبروت تفتك بالانسان وتقتل فيه النخوة والرجولة والشعور بالذات ، فكان أن نشأت أجيال متعاقبة لا تفقه من أمر دينها مثقال ذرة . ولا تدرك حدود حضارتها ومعالم تاريخها . ولا تكاد تعي وجودها المادي والمعنوي . مما مهد الطريق أمام أعداء الانسان ليعيثوا في الأرض فساداً ويدمروا الشخصية الانسانية من الداخل ويقيموا لأنفسهم هياكل من الوهم والخرافة والاسطورة . وبذلك انقادت الشعوب الاسلامية وراء جلاديها ، وسارت دون وعي في طريق الغواية والضلالة والبهتان . فضاعت فلسطين . وضاعت الكرامة الاسلامية بضياعها . وانزوى المسلمون في جانب ، وخلا الميدان من وجودهم .

● في هذه الاجواء القاتمة الملبدة بسحب الردة والتراجع والانهزام الحضاري مضت القوى الدولية الرهيبة تضرب معاقل الاسلام وحصونه معقلا بعد معقل وحصنا أثر حصن . فتساقط منها ما تساقط . وتضعضع ما تضعضع . وانهار ما انهار . وزلزلت الأرض من تحت أقدام المسلمين فاذا هم في وضع لا يحسدون عليه ، تتناوشهم السهام من كل جانب ، وتتواطأ ضدهم أمم الأرض ، وصدق فيهم حديث رسولهم عليه السلام ، فاذا هم كثرة ، ولكنها كثرة كغثاء السيل ، وتلك من دلائل النبوة في هذا العصر .

● يمكن لنا أن نجزم دون مبالغة أو مغالاة أن الوضعية الراهنة للمسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تبشر وتطمئن القلب ، ذلك أن الازمات الخانقة التي تعيشها الأمة الاسلامية لا يمكن أن تكون إلا إيذانا بزوال أسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والفواجع والحرائق التي تملأ الساحة الاسلامية إلا آلام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله أن يعقبه يسر طال الوقت أم قصر ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

●● ليس من شك أن المسلمين يمرون اليوم بظروف بالغة السوء والشدة والافلاس .

● وليس من شك ـ أيضا ـ أن المسلمين يقفون على مفترق طرق ، وتحاصرهم معارك من شرق وغرب على السواء ، ولكن هذا الواقع الشديد الحلكة والقتامة والسواد لا يمكن ان يمنعنا من التفاؤل طالما ان الاسلام لا يزال هو القوة المحركة والحافز والدافع المباشر في كل ساحة يضطرب فيها الوضع وفي كل ميدان تشتد فيه الوطأة على المسلمين . وذلك بالرغم من غلبة القوى المناهضة لهذا الدين وتفوقها وبطشها . بل ان هذه الصفات جميعها ما هي الا ارهاصات النصر وعلامات الفوز وامارات الغلبة التي كتب الله في اللوح المحفوظ منذ الازل أن تكون للمؤمنين .

● الأمر ، في هذا المستوى يخرج عن نطاق التفاؤل والتشاؤم . أو التخمين والرجم بالغيب أو التنبؤ ، لأنه يتعلق بقضية إيمانية هي جزء من إيمان المسلم في كل عصر ، ذلك أن الاسلام قاهر كل عقيدة . وتبقى مسألة التوقيت . وهذه خارجة عن علمنا وارادتنا وتقديرنا .

من هذه الزاوية نتطلع إلى آفاق المستقبل . وبهذا المقياس نحكم على الماضي والحاضر ونستقرىء ما تموج به حياتنا المعاصرة من صخب وصراع وفتنة واضطراب .

والحق أن التجارب المريرة التي مر بها المسلمون طوال القرن الرابع عشر الهجري ليست إلا دروسا وعبرا وعظات ومن حقنا أن نعمل عقولنا ـ في وعي كامل ـ في تدبر النتائج المستخلصة واستيعابها حتى تكون لنا مصابيح على طريق المستقبل .

●● ان العالم الاسلامي . وهو يعيش السنة الأولى من القرن الخامس عشر يتلمس طريقه في وعي وبصيرة نحو استعادة دوره الحضاري . ولن تفلح كل القوى المعادية في إيقاف زحفه المبارك .

وهو زحف . ما في ذلك شك ، ومبارك لان الله يرعاه ويزكيه ويباركه .

وتلك هي عقيدتنا ....

وذلك هو يقيننا ...

اقرأ في هذا العدد

كلمة الوعي	لرئيس التحرير	٣
الاسلام ماضيه وحاضره	للدكتور عبد الكريم الخطيب	٦
التفسير النبوي للقرآن	للاستاذ جاسر ابو صفيه	١٤
النبي عند سدرة المنتهى	للاستاذ محمد لبيب البوهي	٢١
تقنين أحكام الشريعة	للدكتور عبد الناصر توفيق العطار	٢٦
النبي في أهله	للدكتور اسماعيل احمد الطحان	٣١
ابعاد الاسراء والمعراج	للدكتور محمد رواس قلعه جي	٣٨
العبادة في الدين الاسلامي	للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح	٤٤
الاسراء والمعراج بين الوهم والحقيقة	للدكتور محمد سعد حسن فشوان	٥٢
ادعياء النبوة	للدكتور احسان صدقي العمد	٥٨
منهج الجهاد في الاسلام	للاستاذ حسيني عرابي عطوه	٦٣
الاسراء والمعراج	للاستاذ سعد صادق محمد	٦٨
الوسط في الاسلام	للاستاذ عمر الراكشي	٧٤
اطياف الميلاد	للاستاذ عبد الحميد محمد المشهدي	٨٠
في ذكرى الاسراء والمعراج (قصيدة)	للاستاذ عبد الغني احمد ناجي	٩١
معاول في جدار العلمانية	للدكتور عماد الدين خليل	٩٢
مائدة القارىء	للتحرير	١٠٠
وما من دابة في الأرض ..	للدكتور عبد المحسن صالح	١٠٢
احكام التداول بالمحرمات	للدكتور محمود ناظم النسيمي	١١٢
جهاد الامام ابن تيمية	للاستاذ عبد القادر محمد العماري	١١٨
الوصية الواجبة	للاستاذ محمد مصطفى الزحيلي	١٢٩
حكمة الاسراء والمعراج	للاستاذ سيد خليل الابوتيجي	١٣٤
الاسلام والسياسة (كتاب الشهر)	للاستاذ عبد السميع المصري	١٣٨
طائر يرد الجميل (قصة)	للاستاذ حسين الطوخي	١٤٦
بأقلام القراء	التحرير	١٥٤
بريد الوعي الاسلامي	للتحرير	١٥٦
مع صحافة العالم	التحرير	١٥٨

صورة الغلاف

قبة الصخرة المشرفة

العالم الاسلامي

الجمهورية التركية

○ قامت على انقاض الدولة العثمانية وسقوط الخلافة بعد الحرب العالمية الاولى ورسمت الحدود لجمهورية تركيا الحديثة بموجب معاهدة لوزان وقد تم كل ذلك على يد مصطفى كمال اتاتورك وقد قام اتاتورك بالغاء الشعار الاسلامي للدولة وجرد الرياسات الدينية من اختصاصاتها الحكومية والقضائية واقتبس قوانين الدولة العلمانية من القوانين السويسرية والالمانية والايطالية وقد توفي اتاتورك ١٩٣٨م .

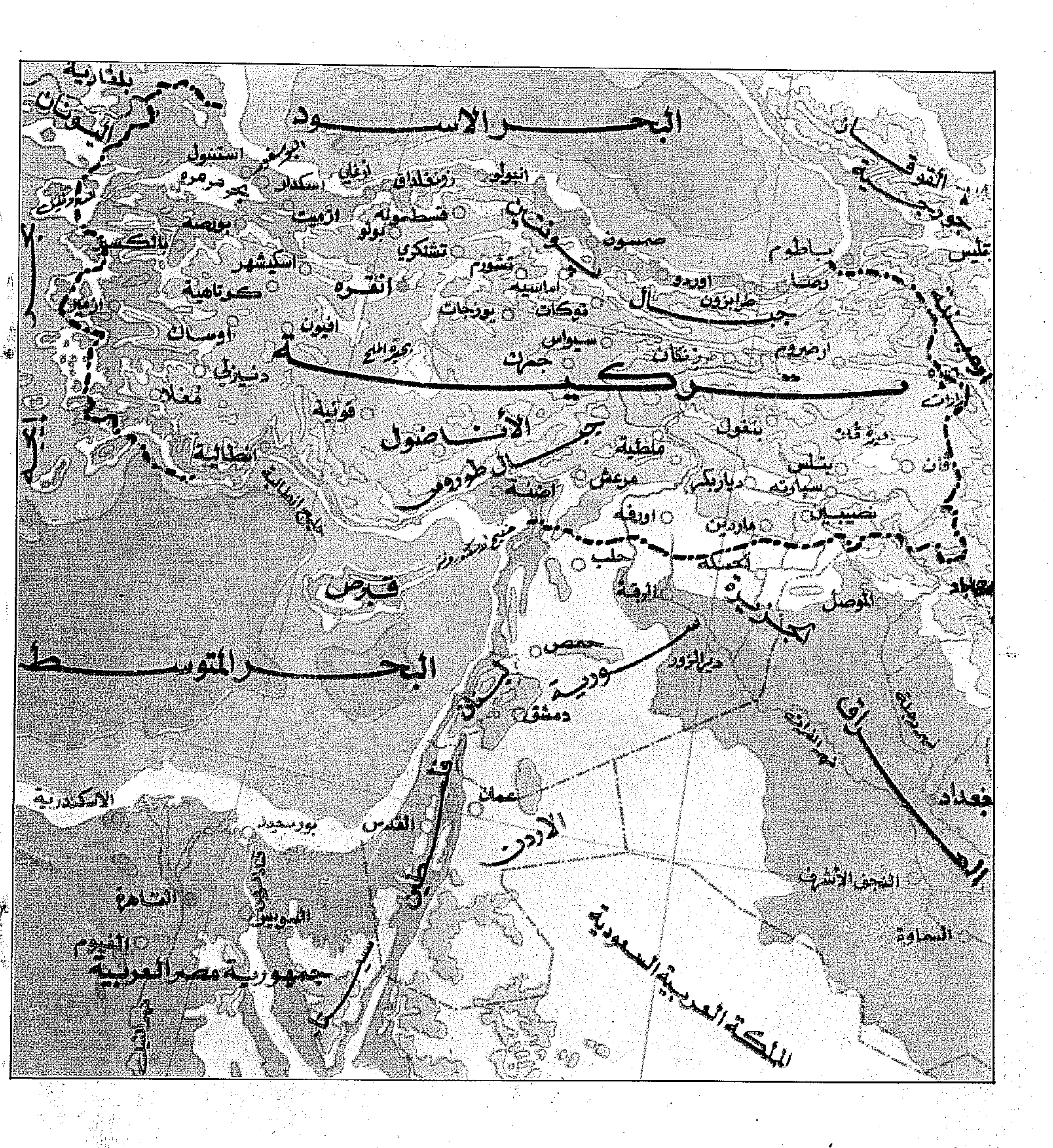
○ تبلغ مساحة تركيا ٧٦٢٧٣٦ كم٢ (بدون المستنقعات والبحيرات) ضمن قارتي آسيا واوربا وتبلغ مساحة القسم التركي الاوربي ٩٢٥٧ كم٢ .

○ السكان ٣٩,٢٧٠٠٠٠ نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة وفي البلاد اقليات عرقية من اليونان والارمن والعرب والاكراد والناطرة .

○ اللغة : اللغة التركية هي فرع من اللغات الجنوبية الغربية اي فرع من المجموع التركماني والتي كان يتكلم بها بالأصل / الاوغوز / وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى جاء اتاتورك فأبطل ذلك واستعاض عنها بالأبجدية اللاتينية .

○ لم تفلح حملات التغريب من اجل ابعاد الشعب التركي الطيب المسلم عن تراثه وعقيدته والتي قام بها اتاتورك ومن حكموا تركيا الحديثة من بعده وظلت العقيدة راسخة في النفوس تنتظر الفرصة للتوثب والانقضاض على العلمانية الكمالية وفي كل مرة تحاول العقيدة الاسلامية الظهور على مسرح الحياة التركية يلجأ حكام تركيا المرتبطون بالغرب للقضاء عليها وتطويقها بمسرحية الانقلابات العسكرية وقد حققت الحركة الاسلامية التركية نجاحات كبيرة في الآونة الاخيرة مما دفع العسكر التركي المشبع بالثقافة الغربية الى الانقضاض عليها وزج قادة هذه الحركة في السجون بحجة مقاومتهم للقومية التركية ظنا منهم بأنهم سيخمدون البركان المتفجر في نفوس الشعب لسنين طويلة مضت وصدق الله العظيم :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .



الجمهورية التركية